

مجلة ثقافية شهرية

AL FAISAL MAGAZINE

ISSUE 94 - EIGHTH YEAR - JAN. 1985.

العدد (٩٤) ـ ربيع الثاني ١٤٠٥هـ ـ السنة الثامنة ـ كانون الثاني (يناير) ١٩٨٥م.



ALFAISAL MAGAZINE

MONTHLY CULTURAL MAGAZINE — مجلة ثقافية شهرية

PUBLISHED BY AL-FAISAL CULTURAL HOUSE — تصدر عن دار الفيصل الثقافية

ISSUE 94 - EIGHTH YEAR - JAN. 1985. — العدد (٩٤) ـ ربيع الثاني ١٤٠٥هـ ـ السنة الثامنة ـ كانون الثاني (يناير) ١٩٨٥م.

رئيس التحرير

علوي طه الصافي

ALAWI TAHA ALSAFI

Editor-in-Chief

All Correspondence To: — المراسلات :

AL-FAISAL MAGAZINE
P.O.BOX 3
RIYADH 11411-Saudi Arabia
Tel: 4653026-4653027, TELEX 202600 DRFATH SJ

مجلة الفيصل ـ ص . ب (٣)
الرياض ١١٤١١، المملكة العربية السعودية
هاتف : ٤٦٥٣٠٢٦ ـ ٤٦٥٣٠٢٧
تلكس : ٢٠٢٦٠٠ DRFATH SJ

EUROPE - AMERICA - ASIA

Country	Currency	Price	Country	Currency	Price	Country	Currency	Price
Belgium	BF	200	Italy	L	4000	Sweden	SKR	30
Denmark	DKR	30	Netherlands	DFL	10	Switzerland	SF	6
Finland	FMK	30	Norway	NKR	30	United Kingdom	£	2
France	FF	15	Pakistan	RS	10	U.S.A.	$	5
F.R.G.	DM	10	Portugal	ESQ	100			
Greece	DR	100	Spain	PTS	150			

أسعار بيع النسخ في البلاد العربية

البلد	السعر	البلد	السعر	البلد	السعر
المملكة العربية السعودية	٨ ريالات	الأردن	٤٠٠ فلس	تونس	٥٠٠ مليم
الكويت	٦٠٠ فلس	ج . ع . اليمنية	٦ ريالات	الجزائر	٥ دنانير
الإمارات العربية المتحدة	٧ دراهم	ج . اليمن الديمقراطية الشعبية	٨٠٠ فلس	العراق	٤٠٠ فلس
قطر	٦ ريالات	مصر	٣٠٠ مليم	سورية	٥ ليرات
البحرين	٥٠٠ فلس	السودان	٣٠ قرشاً	لبنان	٥ ليرات
سلطنة عمان	٦٠٠ بيسة	المغرب	٥ دراهم	ليبيا	٨٠٠ درهم

ANNUAL SUBSCRIPTION RATES

Personal Subscription S.R 150 Others S.R 250

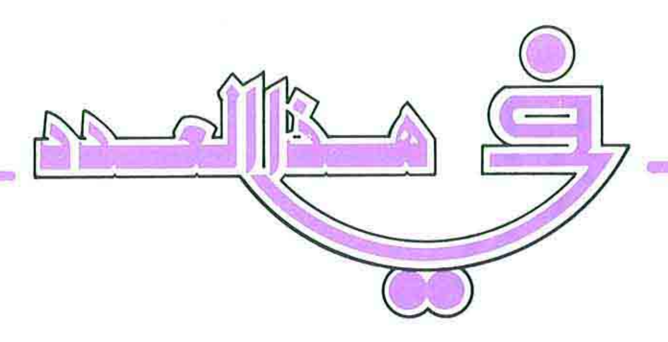
PAYABLE TO AL-FAISAL MAGAZINE

● أسعار الاشتراكات السنوية :

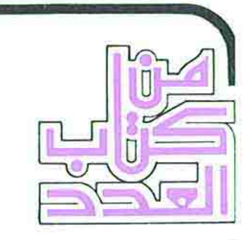
للأفراد ١٥٠ ريالا سعودياً لغير الأفراد ٢٥٠ ريالا سعودياً

ترسل قيمة الاشتراك باسم مجلة الفيصل

طبع في : شركة الطباعة العربية السعودية (المحدودة)
ص . ب ٦٤٦٣ ـ الرياض ، هاتف ٤٦٣٣٤٥٢ ، الفهرية ٤٦٥٨٩٩٠



في هذا العدد



من كتاب العدد





د . فاروق عبد الحميد اللقاني

★ من مواليد الإسكندرية ـ مصر عام ١٩٣٠م .

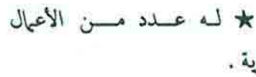
★ دكتوراه في التربية .

★ عمل مدرساً في المدارس الثانوية ، ودور المعلمين والمعلمات ، وكلية التربية ، ثم أستاذاً مساعداً .

★ يعمل حالياً أستاذاً مساعداً بقسم أصول التربية في كلية التربية بجامعة الإسكندرية .

★ عضو مجلس إدارة وسكرتير نادي أعضاء هيئة التدريس بجامعة الإسكندرية .

★ له عدد من الأعمال التربوية .





علي المك

★ من مواليد عام ١٩٣٧م ، أم درمان ـ السودان .

★ تخرّج في جامعة الخرطوم وجامعة كاليفورنيا الجنوبية .

★ له مؤلفات عديدة : مجموعات قصصية وتحقيق بعض أشعار شعراء السودان وترجم للعربية (نماذج من الأدب الزنجي الأمريكي) ، و (الأرض الآثمة) بالاشتراك مع صلاح أحمد إبراهيم .

★ يعمل أستاذاً (بروفيسور) بوحدة الترجمة والتعريب في كلية الآداب بجامعة الخرطوم .



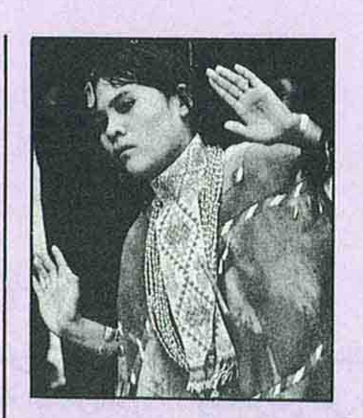
د . صبري محمد حسن

★ من مواليد بيلا كفر الشيخ ـ مصر عام ١٩٣٨م .

★ دكتوراه لغويات .

★ يجيد الإنجليزية والفرنسية ، ولغة الهوسا ، والسواحيلية .

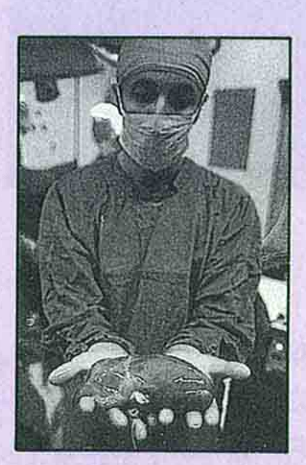
★ عمل مدرّساً للغة



●● من عادة قبيلة «الآباش»، إحدى قبائل الهنود الحمر في أميركا، حين تنتقل الفتاة عندهم، من مرحلة الطفولة إلى مرحلة الأنوثة، وتدخل الطور الذي تكون فيه امرأة «آباشية»، عليها أن تمارس طقوساً وشعائر قبلية مرهقة، في احتفال كبير، يسمى «رقص شروق الشمس». طالع ص (٣٠).



●● إذا كنا في الوقت الحاضر نستخدم أكثر من وسيلة للتعرف على شخصية الإنسان.. فهو يحمل هوية شخصية «بطاقة»، ولأنامله بصمة لا يتكرر شكلها مع بصمة شخص آخر على ظهر الأرض. انظر ص (١٠٧).



●● أقر «الكونجرس الأمريكي» مشروع قانون، سوف يساعد المستشفيات على تحسين قدراتها لإنجاز أكبر عدد ممكن من عمليات زرع الكبد. طالع موضوع: «إنهم يزرعون الكبد!» ص (٩١).



●● من المعروف أن الثعابين تغيِّر جلودها فقط، أما الضفدعة فتستطيع أن تغيِّر، في بضعة شهور، تكوينها الفسيولوجي كله!

الضفادع تفترسها القطاط والفئران، وتبتلعها الأسماك، وتلتقطها الطيور.. ولكن عدوها اللدود: الثعبان!. انظر ص (١٠٢).



الإنجليزية، ثم مترجماً، فخبيراً لتدريس اللغة العربية لغير الناطقين بها.

★ يعمل حالياً مدرّساً ومترجماً بالأكاديمية الأميركية للرياضة.

★ ترجم عدداً من الكتب، وله مجموعة من الأبحاث والدراسات.





عبد الغني محمد عبد الله

★ من مواليد دمياط ـ مصر عام ١٩٣٨م.

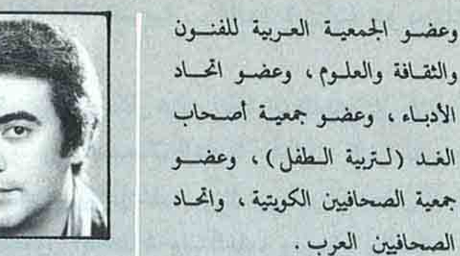
★ درس التاريخ بكلية الآداب ـ جامعة القاهرة.

★ دراساته العليا في الآثار والفنون الإسلامية بكلية الآثار ـ جامعة القاهرة.

★ عضو اتحاد كتَّاب مصر، وعضو الجمعية العربية للفنون والثقافة والعلوم، وعضو اتحاد الأدباء، وعضو جمعية أصحاب الغد (لتربية الطفل)، وعضو جمعية الصحافيين الكويتية، واتحاد الصحافيين العرب.

★ له الكثير من الكتابات المنشورة والمسموعة والمرئية في الوطن العربي.





أحمد فريد

★ من مواليد القاهرة ـ مصر عام ١٩٤٧م.

★ ليسانس آداب ـ قسم اجتماع.



★ عضو اتحاد كتَّاب مصر، ونادي القصة، ورابطة الأدب الحديث.

★ حصل على ثلاث جوائز تقديرية.

★ له خمس روايات مطبوعة، والسادسة تحت الطبع.





زراعة أعضاء الإنسان

في هذا العدد يُطالع قرّاء المجلة موضوعاً مصوراً في باب «موضوع خاص» عن زراعة الكبد للإنسان .. وقد سبق للمجلة أن نشرت موضوعاً عن «زراعة القلب»، وآخر عن «زراعة البنكرياس» .. وستحرص على ملاحقة ومتابعة كل تطور علمي يعود بالخير على أمتنا وبلادنا.

والمجلة بنشرها مثل هذه الموضوعات تسعى لتقديم آخر ما توصل إليه علماء زراعة الأعضاء مصحوباً بالصورة التي أصبحت تشكل مظهراً هاماً من مظاهر الصحافة المعاصرة.

كما تسعى إلى ربط القارئ العربي ـ المتخصص وغير المتخصص ـ بالتطورات العلمية في موضوع زراعة الأعضاء الذي يشغل أذهان العلماء، ويدفعهم إلى مزيد من التجارب والمحاولات.

ولا نستطيع أن ننفي أهمية هذا الموضوع لكل إنسان، ناهيك بالأشخاص الذين قد يشكل لديهم أهمية خاصة.

ولعل القارئ قد لاحظ الاهتمام الواضح للمجلة في تركيزها على الموضوعات والقضايا العلمية، هذا الاهتمام النابع من قناعتنا بدور العلم ومعطياته في عصرنا هذا.

فالعلم اليوم يسيطر ليس على اهتمام العلماء فحسب، بل يسيطر على اهتمام كل إنسان في أي مكان من الكرة الأرضية.

ولكي لا يكون القارئ العربي بعيداً عن التطورات السريعة في المجالات العلمية والطبية، فإن المجلة سوف تحرص على تقديم كل ما يفيد القارئ ويشبع فضوله العلمي والمعرفي لمواجهة الشعوذات والخزعبلات التي تحكم بعض المجتمعات النامية ومنها المجتمعات العربية .. فالعلم في رأينا هو وسيلتنا لمواجهة الخرافات من ناحية وإشاعة المعرفة الصحيحة من ناحية أخرى.

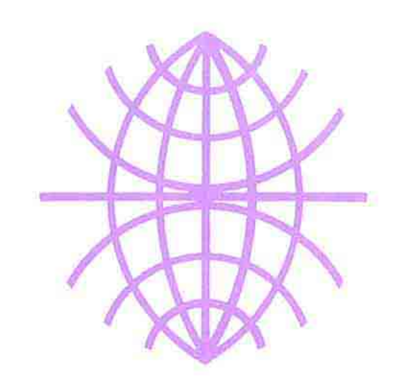
والمجلة بتركيزها على مثل هذه القضايا تتطلع إلى خلق مناخ علمي يسود أوساطنا الاجتماعية لتحريرها من الأمراض الاجتماعية التي تسود المجتمعات النامية عادة .. كما تساعد هذه المجتمعات على الاستفادة من أوقات الفراغ فيما يعود بالفائدة على الأفراد والجماعات، بدلا من ممارسة بعض العادات المختلفة، واستشراء بعض الخرافات والشعوذات والخزعبلات الموروثة من عصور الانحطاط والتخلف والجهل والأمية.

ولكي لا نكون أمة متخلفة تسيطر عليها الخرافة، وتحجب الرؤية أمامها انشغالها بالقضايا الهامشية، والاهتمامات الصغيرة، فإننا ندعو إلى الاستزادة من العلم النافع، وتوظيف ذلك لخدمة أنفسنا وبلادنا.

ولكي لا نكون أمة همها الوحيد المشاهدة والجلوس في صفوف جمهور المتفرجين للتصفيق والتصفير، فإننا مطالبون بتوفير كل الوسائل العلمية لأبنائنا وباحثينا لإثراء وجودنا بالعلم وبما يساعدنا على التحرر من التسلط والتخلف والعنجهية والغطرسة.

ولا شك أن القنوات الثقافية العامة ـ وعلى رأسها الصحافة ـ من الوسائل المساعدة لخلق المناخ العلمي السليم تطلعاً لتنمية وإيجاد شرائح جديدة من القرّاء في مجتمعات تحكمها المعرفة، ويسودها الحوار العلمي بعيداً عن عناد الجهل، وجدل السفسطة، ونقاش الطرشان .. والله المستعان.



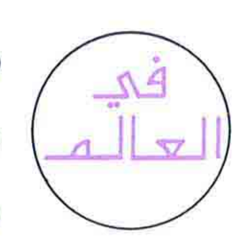


** من خلال هذا «الملف» سوف نحاول رصد الحركة الثقافية من اصدارات جديدة .. وندوات .. ومؤتمرات .. ومعارض .. ومناسبات .. وأحداث ثقافية .. وادبية .. وفنية بصورة نطمح أن تكون مسحاً شهرياً لمجريات الحركة الثقافية ليس في «الوطن العربي» فحسب ، بل في «العالم» الانساني .

أملنا أن نجد من المؤسسات العلمية .. والتربوية .. والفنية .. الى جانب الأدباء .. والمفكرين كل عون في إمدادنا بالجديد الدائم من النشاطات لتحقيق الأهداف التي تسعى اليها المجلة لخدمة القارىء .. لإضافتها الى ما يزودنا به مندوبونا ، والله الموفق **



- انتخاب أول رئيس للمجمع الفقهي في السعودية .
- وفاة الشاعر الكويتي عبد الله سنان .
- أسماء الفائزين بجائزة الملك الحسن الثاني بالمغرب .
- أخبار عن كتب التراث والندوات والأمسيات الثقافية والمعارض .
- كشوف أثرية في مصر والإمارات المتحدة .
- قرية للفنانين التشكيليين في مصر ومتحف لآثار النوبة .



- أسبوع للثقافة العربية في إسبانيا .
- مؤتمر عن السيرة النبوية في أميريكا .
- وفاة شاعر باكستان الأول .
- سنغور .. رئيساً لجمعيات المؤلفين .
- جائزة دولية في الهند للسلام .



السعودية :

أول رئيس للمجمع الفقهي

انتخب الشيخ بكر عبد الله أبو زيد وكيل وزارة العدل في المملكة العربية السعودية **ليكون أول رئيس للمجمع الفقهي الإسلامي** الذي يتخذ من **مكة المكرمة** مقراً له ، وقد جاء هذا الانتخاب خلال جلسة أعمال المجمع الأولى الذي يضم مندوبين من مختلف الدول الإسلامية . هذا وقد تم انتخاب ثلاثة نواب للرئيس من **الأردن وغينيا وماليزيا** ، كما تم انتخاب أعضاء المكتب (مكتب المجمع) ويمثلون ست دول تشمل **الكويت والجزائر وتركيا وباكستان والسنغال ومالي** بالإضافة إلى الأمين العام لمنظمة المؤتمر الإسلامي والأمين العام للمجمع الفقهي .

معرض لفنان فرنسي

أقيم في الرياض «معرض فوتوغرافي» للفنان الفرنسي **تشيكوف مينوزا** استمر سبعة عشر يوماً وذلك خلال الفترة من ٢٨ صفر إلى ١٥ ربيع الأول ١٤٠٥ هـ ، ولقد كان موضوع المعرض **« تقاليد المملكة العربية السعودية ـ وتراثها الشعبي »** حيث ضم ٨٠ لوحة مُعدَّة على الطبيعة منذ عام ١٩٧٧ م .

والجدير بالذكر أن هذا الفنان الفرنسي الذي يطلق عليه **« صاحب المليون صورة »** قد تجوّل في مناطق مختلفة من المملكة العربية السعودية .

معرض المخطوطات

أقيم في (الخبر) ، على صالة **(التراث العربي) معرض للمخطوطات الأثرية والحديثة** ـ والمقصود من المخطوطات هنا ما يكتب ككتابة وفن من فنون الخطوط ، لا ما يقرأ من الكتب القديمة ـ وذلك خلال شهر نوفمبر (تشرين الثاني) من هذا العام الميلادي ١٩٨٤ م ، حيث عرضت فيه خطوط قديمة ونادرة يصل عمر بعضها لأكثر من مائتي عام إضافة لمجموعات خاصة من خطوط الخطاط **« محسن فتوني »** .

معرض اللوحات الشرقية

أقيم في الرياض معرض للوحات الشرقية للبلاد العربية التي رسمت خلال القرن التاسع عشر الميلادي ، حيث احتوى المعرض على أكثر من مائة عمل فني للعديد من الفنانين منهم :

★ **جان ليون جيروم .**

★ **لودفيغ دويتش .**

★ **رودلف أرنست .**

كما ضم المعرض أعمالا لفنانين معاصرين تتحدث عن البيئة السعودية وصور لبعض الشخصيات السعودية .

والجدير بالذكر أن المعرض قد أقيم خلال الفترة من ٢٧ صفر إلى ٦ ربيع الأول ١٤٠٥ هـ .

معرض كتاب للسيدات

أقيم بجامعة أم القرى بمكة المكرمة معرض **للكتاب خاص بالسيدات** وذلك تحت إشراف وتنظيم وإعداد **دار الإصلاح للطبع والنشر والتوزيع بمكة المكرمة** ، عرضت فيه عدة عناوين وفي مختلف التخصصات ، استمر المعرض خمسة عشر يوماً خلال الفترة من الرابع من شهر ربيع الأول حتى التاسع عشر منه لعام ١٤٠٥ هـ .

أمسية شعرية

أقام النادي الأدبي بجيزان أمسية شعرية في مدينة أبي عريش اشترك فيها كل من الشعراء :

★ **أحمد إبراهيم الحربي .**

★ **غالب الأمير .**

★ **أحمد عائل الفقيه .**

علّق على الأمسية محمد عواد ، كما ألقى الدكتور محمود شاكر سعيد كلمة موجزة عن « النقد وفنونه » .



★ طاهر زمخشري ★ ★ د . زاهر الألمعي ★

ندوة عن التجديد في الشعر

عقدت **ندوة أدبية** في رحاب **جامعة أم القرى** بمكة المكرمة عن **« التجديد في الشعر العربي المعاصر »** اشترك فيها :

★ الدكتور محمد مريسي الحارثي .

★ الدكتور عبد الواحد علام .

★ الدكتور صابر عبد الدائم .

حضر الندوة عدد كبير من المهتمين والدارسين .

كتب جديدة

● **« الوظيفة الإعلامية للشعر الإسلامي المعاصر في قضية فلسطين »** ، تأليف **محمد منير الجنباز** ، صدر عن **دار عالم الكتب بالرياض** .

● **« طاهر زمخشري ـ حياته وشعره »** ، تأليف **عبد الله عبد الخالق مصطفى** ، صدر عن **نادي مكة المكرمة الثقافي** .

● **« الوقوف على الأطلال »** ، تأليف **الدكتور مصطفى عبد الواحد** ، صدر عن **نادي مكة المكرمة الثقافي** .

● **« نفحات الصبا »** ، **ديوان شعر** جديد **للدكتور زاهر عواض الألمعي** ، صدر في **الرياض** .

● **« ديوان حمام »** ، **ديوان شعر** للشاعر **محمد مصطفى حمام** ، صدر عن **تهامة ضمن مطبوعاتها** .

● **« شواهد القرآن »** ، ج ١ ، تأليف



★ د. محمد الرشيد ★ ★ أبو تراب الظاهري ★

أبي تراب الظاهري ، صدر عن **نادي جدة الثقافي** .

● **«ملف نادي الطائف الأدبي الرابع والخامس»** ، صدر عن **نادي الطائف الأدبي** ويمثل الجزء الأول .

● **«الشعر الحجازي في القرن الحادي عشر الهجري ١٥٩١ ــ ١٦٨٨م»** ، **القسم الثاني** ، تأليف **الدكتور عائض الردادي** ، صدر في **الرياض** .

● **«الاقتصاد السعودي في مرحلة بناء التجهيزات الأساسية»** ، تأليف **حسين علي الشرع** ، صدر عن **الجمعية العربية السعودية للثقافة والفنون** .

صدرت الكتب التالية عن المركز العالمي للتعليم الإسلامي بجامعة أم القرى :

★ **«تصور إسلامي للتعليم الثانوي»** ، تأليف **الدكتور سعد الحصين** .

★ **«اللغة العربية والتربية الإسلامية»** ، تأليف **الدكتور توفيق الشاوي** .

★ **«نحو مناهج إسلامية»** ، تأليف **الدكتور محمد حامد الأفندي** .

★ **«إعادة بناء وتربية المدرس في المجتمع الإسلامي»** ، تأليف **د . ن . أ . بلوش** .

★ **«دور كليات التربية في إعداد المعلمين»** ، تأليف **الدكتور أحمد رفعت عبد اللطيف** .

★ **«علم النفس في التصور الإسلامي»** ، تأليف **الدكتور محمد الأحمد الرشيد والدكتور أحمد رفعت عبد اللطيف** .

★ **«التربية الإسلامية بين المنهج والمدرّس»** ، تأليف **الدكتور محمد القروس** .

★ **«التصور الإسلامي لمناهج التربية والتعليم»** ، تأليف **الدكتور أحمد السبيلي** .

★ **«تخريج المعلمين حسب التربية الإسلامية»** ، تأليف **الدكتور عبد الحليم خلدون الكتاني** .

★ **«الدراسات العربية في البلاد الإسلامية غير العربية»** ، تأليف **الدكتور محمد يوسف** .

★ **«التعليم حسب المناهج القديمة ومقاصدها في عصرنا الحاضر»** ، تأليف **الدكتور محمد عبد القدوس** .

★ **«أضواء على تعليم المرأة المسلمة»** ، تأليف **الدكتور منير نجيب غضبان** .

★ **«الفقه الإسلامي وأطواره في**



أدبنا .. هل يصلح للتصدير

الأدب السعودي ظالم ومظلوم ، هو السكين والضحية ، كيف ؟! .

الأدب السعودي ظالم ، لأنه كسول ، يتحرك ببطء شديد داخل نطاق وطنه ، وحتى داخل هذا النطاق فهو يتحرك بتثاؤب عجيب .. لا ينتشر إلا بدافع قوي ، من صلة بين صديقين ، أو بين زميلين ، وإلا ظل حبيس أدراج المكاتب لفترة الله أعلم بها .. مع أن الوسائل كثيرة ــ الآن ــ ومبسوطة أمامه .

والأدب السعودي مظلوم ، لأنه في مستوى يرقى إلى أعلى المستويات بين الآداب العربية الأخرى في بلداننا العربية ، **مصر ، والعراق ، ولبنان ، وسورية ، واليمن ، والمغرب العربي** .. وكل شبر في الوطن العربي من **صنعاء** إلى **بغداد** ، ومن الخليج إلى **تطوان** .

الشعر السعودي مثلاً ، في المقدمة حتى بين الآداب العربية الأخرى ، لدينا شعراء بالمملكة في الصف الأول من الشعراء العرب .. لدينا **حمزة شحاته ، والعواد ، والفقي ، وابن خميس** وزملاؤهم من الرعيل الأول ، إننا إذا استثنينا **حافظ ، وشوقي ، ومطران ، وبشارة الخوري** .. وزملاؤهم من جيل النهضة العربية ، فإنه لا يوجد في البلاد العربية من هو أرق شعراً ، وأصفى ديباجة ، وأعلى مستوى من شعراء الرعيل الأول في المملكة .. ثم يأتي الرعيل الثاني مثل **سمو الأمير عبد الله الفيصل ، والقرشي ، والزمخشري ، والحجي** .. وهؤلاء هم تلاميذ المدارس الأدبية (ممتزجة) في البلاد العربية ، فهم تلاميذ الروّاد في المملكة ، وشعراء **أبوللو** في مصر ، **والمهجريين** الأوائل .

ثم هذا الحدث الجديد في الشهر الماضي ، عن شعراء الشباب السعوديين .. الذين حصلوا على **الجائزة الأولى في مؤتمر بغداد** .. هل هذا حدث بسيط .. يمر دون رصد وتحليل ؟! .

حقاً إن الجوانب الأخرى من الأدب تظل أقل في مستواها من مثيلاتها في البلدان العربية **كالرواية والقصة القصيرة** .. فنحن ما زلنا في البدايات .. أما **المقالة ، والبحث والنقد** .. فنحن نملك من القدرات السعودية ما نستطيع به أن نساوي إخواننا في كل البلدان .

لقد أطلق الشيخ **عبد القدوس الأنصاري** ــ صاحب **المنهل** ــ رحمه الله .. سؤالا قديماً .. منذ أكثر من ثلاثين عاماً على صفحات منهله ، وما زال السؤال قائماً كرمح عنترة بن شداد ! ينادي ويصرخ قائلاً :

أدبنا .. هل يصلح للتصدير ؟

وكانت إجابات أدبائنا ــ كلها بدون استثناء ــ في ذلك الوقت تضج بالفخر ، والتحدي ، ولكننا ما زلنا مكاننا منذ ثلاثين عاماً ، وصدى سؤال شيخنا الأنصاري رحمه الله يتردد في أنحاء مملكتنا .. مع أن وسائلنا قد زادت ، وأصبحت مجلاتنا الشهرية والأسبوعية .. تغزو أسواق العالم العربي بكل ثبات وإقدام ! . وشعراؤنا جابوا كل واد .. وأصْدِرَتْ عشراتُ الدواوين .. وبعض الكتب ! . فمتى ؟ . متى يصلح أدبنا للتصدير ؟! .

عبد الله القرعاوي ــ الرياض



الماضي والحاضر والمستقبل»، تأليف **الدكتور زكريا البري**.

★ **«توصيات المؤتمرات العلمية الإسلامية العالمية الأربع للمركز»**.

★ **«التفسير بالمأثور ومناهج المفسرين»**، تأليف **الدكتور محمد أبو النور**.

★ **«معجم فقه السلف»**، الجزءين الأول والثاني، تأليف **الشيخ محمد المنتصر الكتاني**.

● **«معركة التحدي والحضارة»**، تأليف **عبد الكريم عبد الله نيازي**، صدر في **جدة**.

● **«لغز الزمردة المكسورة»**، **قصة طويلة** من مجموعة قصص الرمانة، **للقاص صالح عبد الله**، صدرت عن **شركة المدينة المنورة للطباعة والنشر**.

★ **«مراكز المعلومات في جامعات الخليج العربي»**، صدر عن **مكتب التربية العربي لدول الخليج العربي**.

الكويت

وفاة الشاعر سنان

انتقل إلى رحمة الله تعالى الشاعر عبد الله سنان عن (٦٧) عاماً، وقد ولد رحمه الله عام ١٩١٧م، وكان عضواً بارزاً في رابطة الأدباء وأحد أعضائها المؤسسين، وقد مثّل الرابطة في عدة مؤتمرات أدبية، عربية وغير عربية، من مؤلفاته الشعرية:

★ **«نفحات الخليج»**، ديوا شعر، وهو عنوان عام لمجموعات شعرية هي كالتالي:

★ **«بواكير»**، صدرت عام ١٩٨٣م.

★ **«الله والوطن»**، صدرت عام ١٩٨٣م.

★ **«الإنسان»**، صدرت عام ١٩٨٣م.

★ **«الشعر الضاحك»**، صدرت عام ١٩٨٣م.

★ أما الجزء الخامس من الاسم العام «نفحات الخليج» التي صدرت عام ١٩٨٣م، فقد كان تحت اسم «عمر وسمر» وهي مسرحية.

ولقد كان الشاعر محل اهتمام الأدباء في الكويت، حيث صدر كتاب تحت اسم «عبد الله سنان ومختارات» بقلم **خالد سعود الزيد والدكتور عبد الله العتيبي**.

رحم الله الفقيد، وأسكنه فسيح جنانه وألهم أهله ومحبيه الصبر والسلوان، وإنا لله وإنا إليه راجعون.

دورة في التراث الإسلامي

تحت إشراف وتنظيم **دار الآثار الإسلامية ومتحف الكويت الوطني**، عقدت **دورة دراسية في التراث الإسلامي** وذلك بالتعاون مع **قسم التاريخ بجامعة الكويت**.

حضرها العديد من المهتمين، والجدير بالذكر أن هذه الدورة قد عقدت خلال شهر ربيع الأول ١٤٠٥هـ.

مصر

كتاب باللغة القبطية

عثرت بعثة الآثار المصرية في منطقة (محافظة بني سويف) في صعيد مصر على **كتاب ديني مخطوط باللغة القبطية القديمة** وبالحبر الأسود الواضح، ومكتوب على جلد

في دائرة الضوء

● **الكتاب: الصحافة العربية المعاصرة**

● **المؤلف: ياسر الفهد**

أصدر الأديب والناقد **ياسر الفهد هنا في دمشق**، كتابه الجديد **«الصحافة العربية المعاصرة وآفاقها الثقافية بين النقد والتوثيق»**، ولا أجد في نفسي مبرراً لتعريف القراء بالمؤلف، فهو معروف لدى قراء **«الفيصل»** وسواها من المجلات العربية التي تصدر في هذا القطر أو ذاك، وذلك من خلال أعماله الأدبية التي ينشرها في هذه المجلة أو تلك، وكتابه هذا ما هو إلا خطوة ثانية يخطوها المؤلف نحو دراسة تقييمية لدور الصحافة العربية، واقتراح الحلول الكفيلة بجعلها قادرة على تحمل مسؤولياتها كاملة، وخطوة المؤلف الأولى في هذا الاتجاه تمثلت في إصدار كتابه **«مواقف مع الصحافة العربية»** منذ بضع سنوات، وندع المؤلف يحدثنا عن كتابه هذا حيث يقول: نحن لم ننح في كتابنا هذا أو سالفه نحو أي من الكتب الأخرى التي ألّفها غيرنا في موضوع الصحافة العربية ومعظمها إن لم تكن جميعها تتمحور حول **فن الصحافة** ومهنتها والتاريخ الوصفي لنشأتها، بل سلكنا مسلكاً جديداً كل الجدة **وانتهجنا نهج الكشف والنقد والدعوة إلى الإصلاح**.

ترى هل كان المؤلف واقعياً في وصف كتابه ومنهجه فيه؟

من خلال قراءتنا للكتاب قراءة هادئة متبصرة مواطن الضعف والقوة فيه نقول: نعم دون أي تردد، ذلك لأن الكتاب من وجهة نظرنا يمثل خطوة رائدة في بابه، فالمؤلف استند فيه إلى خبرته الشخصية في مجالي الأدب والصحافة، فقد قيّم المؤلف فيه الممارسات الصحفية لكل من هيئات التحرير في المجلات العربية من جهة، وحملة الأقلام صانعو

الغزال ، غلافه من الخشب ، وكعبه من الجلد ، وشكله لا زال جيداً .

هذا وقد تم العثور على هذا الكتاب الذي يعتقد بأنه نسخة من الكتاب المقدس الإنجيل بجوار عظام طفلة في أحد القبور الأثرية التي تعود إلى العصر القبطي المبكر .

معرض دولي لكتب الأطفال

أقيم في القاهرة خلال الفترة من ٥ إلى ١٨ من شهر ربيع الأول ١٤٠٥ هـ ، معرض دولي لكتب الأطفال وذلك **بأرض المعارض** ، عرضت فيه أعمال ناشرين عرب وأجانب حيث كوّنت سوقاً دولياً لكتب الأطفال حيث شملت الكتب المعروضة عدة عناوين كتبها العديد من المؤلفين والكتّاب الذين يهتمون بالطفل .

والجدير بالذكر أن هذا المعرض يقام سنوياً وذلك بمناسبة أعياد الطفولة .

قرية للفنانين التشكيليين

ستقام في مصر (أول قرية للفنانين التشكيليين) وذلك في **البر الشرقي من مدينة الإسماعيلية** على مساحة (١٥) فداناً موزعة على (١٨٠) مرسماً إلى جانب صالة عرض كبرى للفنون التشكيلية ، وأماكن لحفظ أعمال الفنانين التشكيليين ، كما سيخصص بها مراسم للفنانين الزائرين من الدول الأخرى ، عربية وغير عربية ، كما ستضم القرية أيضاً نادياً وقاعة للمؤتمرات ، ومكتباً لنقابة التشكيليين .

كتب جديدة

● **«الثقافة والفكر»** ، إعداد **الدكتور أنيس الزمان والدكتور أنور عبد الملك** ، صدر عن **هيئة الكتّاب** .

● **«الحلم والواقع»** ، تأليف **نيكولاس برديائف** ، ترجمة **فؤاد كامل** ، مراجعة **علي أدهم** ، صدر في **مصر** ضمن سلسلة **«نصوص فلسفية»** .

● **«مشاهداتي في الهند»** ، تأليف **محمد المجذوب** ، صدر عن **دار الاعتصام بالقاهرة** .

المغرب

جائزة الحسن الثاني

أعلنت **وزارة الشؤون الثقافية بالمملكة المغربية نتائج جائزة «الحسن الثاني للمخطوطات والوثائق»** لعام ١٩٨٤م ، وهي عبارة عن ثلاث جوائز تقديرية وعدد من الجوائز التشجيعية الأخرى .

هذا وقد فاز بالجوائز التقديرية الثلاث المحققون :

★ **«الحاج محمد السقاط»** من الدار البيضاء ، وقد فاز بالجائزة التقديرية الأولى وقدرها خمسة آلاف درهم مغربي ، وذلك عن كتابيه :

● «منتخب الأحكام» لأبي عبد الله الحري الألبيري .

● «قطعتان من تفسير القرآن الكريم» من خطوط القرن السادس الهجري .

★ **«السيد مولاي عبد اللطيف الشرعي»** ، من مراكش ، وقد فاز بالجائزة التقديرية الثانية وقيمتها أربعة آلاف درهم مغربي ، وذلك عن كتابيه :

● «إتحاف ذوي الذكاء والمعرفة بتكميل أبي الحسن وتحليل تقييد ابن عرفة» ، لمؤلفه ابن غازي المكناسي .

● «مجموع» بخط العلامة أحمد بن يحيى الونشريسي ، ويضم مجموعة من المؤلفات منها :

ـ وصية لسان الدين ابن الخطيب لأبنائه .

ـ تقييدات على صحيح مسلم ، لابن الشاطر البجائي .

الكلمة المطبوعة في المجلات والصحف العربية ، بروح موضوعية لا تميل إلا إلى الحق السديد ، كما أنه حلل الممارسات الصحفية ودور كل من المجلة والكاتب في إطار العمل الصحفي سواءً بسواء .

وقد قسم المؤلف كتابه إلى ثمانية عشر فصلاً هي على التوالي : ـ في العمل الكتابي ـ اهتمامات القارئ العربي المعاصر ـ النشر والاستكتاب ـ العرض والطلب في المادة الصحفية ـ التواصل الصحفي والأدبي العربي ـ المجلات العربية ـ الصحف اليومية العربية ـ إنصاف الكتّاب ـ أحاديث عن الكتّاب ـ السلوك الأخلاقي للكاتب العربي ـ اتحاد الكتّاب في خدمة الكلمة وصاحبها ـ مشكلات الصحافة العربية ـ نحو تشريعات لحماية العمل الأدبي ـ بين الصحافة والسياسة ـ بين الصحافة والتربية ـ من قضايا الترجمة ـ الكتاب العربي اطلقوا سراحه ـ الموسوعات العربية المعاصرة .

والحقيقة أن المؤلف أحسن كل الإحسان حين تحدث في الفصل الأول من كتابه عن **مشكلة الأخطاء الإملائية** من جهة ، والضعف في هضم **قواعد اللغة** من جهة أخرى ، لدى الجيل الناشئ من كتّاب أقطار عالمنا العربي عموماً ، تلك المشكلة التي تنذر بخطر جسيم يهدد لغتنا العربية العريقة على المدى البعيد ، ولعمري إن المؤلف قد أجاد وأفاد ووضع يده على الجرح الذي يعاني من تورمه وتقيحه الكثيرون من أرباب صناعة الكلمة في ساحتنا العربية ،

وذلك من خلال كلامه في الفصل الثاني عشر من الكتاب الذي يحمل عنوان (نحو تشريعات لحماية العمل الأدبي) ، ولا أكون مبالغاً إذا قلت إن الكتاب بفصوله الممتعة قد شدني إليه بقوة حتى أني لم أبرح طاولتي خلال عطلة الأسبوع إلا وأنا منهياً قراءة صفحته الأخيرة ، وقد خيّل إليّ من خلال قراءة الكتاب وكأني أستمع إلى ياسر الفهد وهو يحاضر وأنا أحد مستمعيه ، وإن أفضت على غير عادتي في الثناء على الكتاب والكاتب فما ذلك إلا نتيجة إعجابي بمادة الكتاب الدسمة ، وفي تقديري أن كل من يمتهن العمل الصحفي في عالمنا العربي يجد في هذا الكتاب فائدة .

بقي أن أشير أخيراً إلى أن تقديم الكتاب قد تولاه الأديب والصحفي المعروف سعيد الجزائري .

محمود الأرناؤوط
دمشق



ـ إضاءة الحلك في الرد على من أفتى بتضميد الواعي المشترك .

ـ مثلى الطريقة في دم الوثيقة ، للسان الدين ابن الخطيب .

ـ أجوبة عبد الله القوري المكناسي .

★ « **السيد محمد حماد الصقلي** » من الرباط ، فاز بالجائزة التقديرية الثالثة ، وقيمتها ثلاثة آلاف درهم مغربي ، وذلك عن مجموع الكتب التالية :

ـ الكوكب الوقاد في فضل المشايخ وحقائق الأوراد ، للمختار الكنبتي .

ـ إنسان العين في الحفظ من العين .

ـ كناشة لبعض العلماء .

ـ كتاب في التصوف ، لأبي عبد الله الساحلي .

ـ نظم في أصل الطريقة الشاذلية التي بيّنها الشيخ زروق في الأجوبة .

ـ السيف الحاد في الرد على ما أتى به بن رمضان من الإلحاد .

ـ استكمال القصد في شرح منظومة ابن رشد ، لأبي العباس أحمد الحساني .

تاريخ الموسيقى العربية

عقدت في الرباط ندوة عن « **تاريخ الموسيقى العربية** » ، وذلك خلال الفترة من ٢٨ صفر إلى ٣ ربيع الأول ١٤٠٥ هـ ، تحت إشراف وتنظيم **منظمة اليونسكو** ، في نطاق مشروع « الموسيقى في حياة الإنسان ـ تاريخ الموسيقى في العالم » .

شارك فيها نخبة من المهتمين من بينهم :

★ « **الدكتور باري بروك** » رئيس المجلس الدولي للموسيقى .

★ « **الدكتور حبيب حسن توما** » باحث ألماني .

★ « **الدكتورة سلوى الشوان** » من مصر .

★ « **الدكتور لويس الفاروقي** » من أميركا .

★ « **الدكتور شهرزاد قاسم** » من العراق .

★ « **الدكتور لويس الحاج** » من لبنان .

★ « **الدكتور محمود قطاط** » مدير المعهد العالي للموسيقى العربية بتونس .

★ « **الدكتور يوسف شوقي** » من مصر .

★ « **الدكتور منير بشير** » أمين المجمع العربي للموسيقى .

★ « **الدكتور عباس الجراري** » من المغرب .

بالإضافة إلى عدد آخر من الأساتذة في هذا المجال .

تعريب التعليم العالي

عقدت في الرباط ندوة عن « **تعريب التعليم العالي والجامعي في الربع الأخير من القرن العشرين** » ، حيث نظمها **اتحاد المجامع اللغوية العلمية العربية** . استمرت الندوة أربعة أيام حيث عقدت خلال الفترة من ٤ إلى ٧ من شهر ربيع الأول ١٤٠٥ هـ ، نوقشت خلالها الموضوعات التالية :

★ « تعريب المناهج الدراسية في الجامعات العربية » .

★ « تثبيت دعائم الحضارة والثقافة العربية » .

هذا وقد حضرها عدد من المختصين والمهتمين بهذا المجال .

كتب جديدة

● « **الاستيطان والحماية بالمغرب** » ، تأليف **محمد بوشعراء** ، صدر جـ ١ ، عن **مديرية الوثائق الملكية بالرباط** .

● « **أهداف التنمية الوطنية** » ، تأليف **الدكتور عزيز بلال** ، صدر ضمن **منشورات النشرة الاقتصادية والاجتماعية بالمغرب** .



★ د. عباس الجراري ★ ★ د. عبد الكريم خليفة ★

الإمارات العربية

كشف أثري

عثرت بعثة تنقيب فرنسية على آثار هامة في موقع « **الرملية** » الأثري **بمدينة العين** ، وتتمثّل هذه الاكتشافات في :

★ مجموعة ملتصقة عبارة عن خلخالين من النحاس ، وقطعة أخرى يعتقد أنها مقدمة فأس ، وكذا جرة صغيرة وإزميل .

★ مجموعة من الصناعات المحلية النحاسية .

★ جزء من جرة محفور عليها ثعبان .

★ مبخرة .

هذا وتعود هذه الاكتشافات على ما يعتقد إلى القرنين الخامس والسادس قبل الميلاد .

ندوة عن الفن التشكيلي

عقدت بالشارقة ندوة بعنوان « **مفهوم للفن التشكيلي الحديث وطبيعته** » ، وذلك تحت إشراف وتنظيم **جمعية الإمارات للفنون التشكيلية** بالتعاون مع **اتحاد كتّاب وأدباء الإمارات** .

شارك في الندوة ثلاثة من الفنانين التشكيليين هم :

★ **عبد الرحيم سالم** .

★ **عبد اللطيف الصمودي** .

★ **حسن شريف** .

حيث نوقشت في الندوة عدة قضايا متعلقة بالفن من أهمها :

★ أهم مدارس الفن التشكيلي .

★ المفهوم الفلسفي والفكري لهذه المدارس .

★ أهم التيارات التي تأثرت بها ، خاصة الفنون الشرقية بما فيها العربية والإسلامية والصينية واليابانية .

الأردن :

كتب جديدة

● **« عصافير المخيم » ، مجموعة قصصية للأطفال** ، تأليف **أحمد حسن أبو عرقوب** ، صدر في **عمان** .

● **« حكايات عن طيور البطريق »** ، تأليف **جينادي سينجريوف** ، ترجمة **يوسف ضمرة** ، صدرت في **عمان** .

● **« رسائل أبي العلاء »** ، تحقيق **الدكتور عبد الكريم خليفة** ، صدرت في ثلاثة أجزاء عن **مجمع اللغة العربية الأردني** .

● **« تعريب رموز وحدات النظام الدولي ومصطلحاتها »** ، صدر عن **المجمع** .

صدرت الكتب التالية عن مجمع اللغة الأردني ، وذلك ضمن **« حملة تعريب التعليم الجامعي »** :

★ **« التفاضل والتكامل والهندسة التحليلية »** ، تأليف **سودكوفسكي** ، ترجمة **عدد من الأساتذة** ، صدر الجزءان الأول والثاني .

★ **« الفيزياء الكلاسيكية والحديثة »** ، تأليف **كنيث فورد** ، ترجمة **همام غسيب وعيسى شاهين** .

★ **« الكيمياء العامة »** ، تأليف **فريدريك لونغو** ، ترجمة **عدد من الأساتذة** .

★ **« البيولوجيا »** ، تأليف **غولد سبي** ، ترجمة **عدد من الأساتذة** ، صدر الجزء الأول والجزء الثاني .

★ **« الجيولوجيا »** ، تأليف **فوستر** ، ترجمة **عدد من الأساتذة** .



● « اتجاهات القصة العربية الحديثة » ، محاضرة ألقاها الدكتور نصر عباس بالرياض .

● « استخدام الاستشعار عن بعد في مجال علوم البحار » ، محاضرة ألقاها الدكتور ريتشارد جريجوري زيمارك بمعهد البحوث بالظهران .

● « الخسائر البشرية والمادية والاجتماعية الناتجة عن حوادث الطرق » ، محاضرة ألقاها إبراهيم عبد الله المهان بمعهد الضباط بالرياض .

● « المعاصي وأضرارها » ، محاضرة ألقاها الشيخ عبد الله بن إبراهيم الفارس بالرياض .

● « آثار التقدم التكنولوجي على الحياة الأسرية في المجتمع السعودي » ، محاضرة ألقاها الدكتور عبد الله صالح البنيان بالمركز العربي للدراسات الأمنية .

● « تاريخ تونس القديم من خلال تاريخ مدينة قرطاجة ــ ودور الكنعانيين في إحياء الحضارة التونسية كجزء من التاريخ العربي » ، محاضرة ألقاها الدكتور محمد سنطري بجامعة صنعاء .

● « ظاهرة انتشار الشعر العامي في الجزيرة العربية » ، محاضرة ألقاها الدكتور مرزوق بن تنباك بالرياض .

● « الرواية الشفوية في الشعر الجاهلي » ، محاضرة ألقاها الدكتور فضل عمار الدوسري بالرياض .

● « الشباب والسموم الاجتماعية ــ نظرة علمية تحليلية » ، محاضرة ألقاها الدكتور أحمد نبيل أبو خطوة بالرياض .

● « القرآن الكريم ... ترتيله وتجويده » ، محاضرة ألقاها الدكتور عبد الفتاح شلبي بمكة المكرمة .

● « الاستشعار عن بعد » ، محاضرة ألقاها الدكتور جون تيلر بكلية العلوم الزراعية والأغذية بالأحساء .

● « تربية الشباب على ضوء الكتاب والسنة » ، محاضرة ألقاها الشيخ عبد الله بن عبد الرحمن الغريان بالرياض .

● « البعد الفني والموضوعي للشعر السعودي المعاصر » ، محاضرة ألقاها حسن عبد الله الفهد الهويل ببريدة .

● « بدايات التعليم الأهلي في المملكة » ، محاضرة ألقاها عبد الله خوجه بمكة المكرمة .

● « إنشاد شعري » ، محاضرة ألقاها الدكتور الشاعر نذير العظمة بالرياض .

● « في رحاب الآثار الإسلامية » ، محاضرة ألقتها الدكتورة سعاد ماهر بجدة .

● « تطبيق الشريعة الإسلامية في السودان » ، محاضرة ألقاها الدكتور حسن الترابي بنادي مكة المكرمة الثقافي .





★ «الجبر المجرّد»، تأليف **ديفدسون وجيوليك**، ترجمة **ديب حسين**.

★ «**مقدمة لتكوين الجنين**»، تأليف **ستيفن أوبنهايمر**، ترجمة **رمسيس لطفي**.

البحرين

معرض لرسوم الأطفال

بهدف تشجيع الأطفال وتنمية مواهبهم، وتشجيع ملكة التّخيل والإبداع لديهم، فقد أقام **نادي المحرق** بالبحرين **معرضاً لرسوم الأطفال** استمر أسبوعاً، شارك فيه أطفال من هيئات مختلفة بأعمال متعددة، والجدير بالذكر أن المعرض قد بدأ من يوم ٢٨ من شهر ربيع الأول ١٤٠٥هـ، وسيستمر إلى الرابع من هذا الشهر.

السودان

كتب جديدة

● «**السياسة التعليمية والثقافة العربية في جنوب السودان**»، تأليف **حسن مكي محمد أحمد**، صدر عن **المركز الإسلامي الإفريقي بالخرطوم** ـ شعبة البحوث.

ليبيا

كتب جديدة

صدرت الكتب التالية عن **المنشأة العامة للنشر والتوزيع بطرابلس**:

★ «**صحتنا بين الوقاية والعلاج**»، إعداد **الدكتور عيسى سليم بن عمران**، صدر ضمن سلسلة **مصوّرة عن التوعية الصحية**.

★ «**دليل الباحث**»، إعداد كل من **الدكتور أبو القاسم العزابي، والدكتور فوزي الأسدي، والدكتور بشير أبو قيلة**.

● «**صبراته ... في فلك التاريخ**»، تأليف **نجم الدين غالب الكيب**.

العراق

كتب جديدة

● «**جهاز الدبلوماسية الإسرائيلية .. وكيف العمل؟**»، تأليف **نجدة فتحي صفوة**، صدر عن **جامعة بغداد** ضمن منشوراتها ضمن سلسلة «**دراسات فلسطينية**».

● «**الإنسان ... من هو؟**»، تأليف **قاسم حسين صالح**، صدر عن **دائرة الشؤون الثقافية والنشر ببغداد**.

● «**أغرب القضايا الجنائية**»، تأليف **مدحت الجادر**، صدر عن **مكتبة الفكر العربي ببغداد**.

سورية

كتب جديدة

● «**مصدر تشريح الجهاز العصبي وأعضاء الحواس**»، تأليف **محمد بشار عزت وعبد الناصر نور الله**، صدر في **دمشق**.

● «**فضاء شاسع للحب**»، **مجموعة شعرية** للشاعر **فيصل خليل**، صدرت عن **اتحاد الكتّاب العرب بدمشق**.

الباكستان

وفاة الشاعر فايز أحمد

انتقل إلى رحمة الله تعالى الشاعر الباكستاني (فايز أحمد فايز) عن (٧٣) عاماً، وذلك إثر إصابته بنوبة قلبية، ويعد هذا الشاعر **شاعر باكستان الأول**.

كان رحمه الله يكتب شعره باللغة الأوردية مؤيداً لمنظمة التحرير الفلسطينية فيه، وقد فاز في حياته بعدة جوائز منها «جائزة لينين للسلام».

رحم الله الفقيد، وأسكنه فسيح جناته.

أسبانيا

أسبوع للثقافة العربية

نظم القسم العربي بجامعة مدريد المستقلة خلال الفترة من ٣ إلى ٧ ديسمبر (كانون الأول) ١٩٨٤م، (**أسبوعاً للثقافة العربية**) الذي يعتبر الخامس من نوعه حيث تضمن عدة نشاطات منها:

★ ندوات حول الجذور العربية لفن الفلامنكو وموضوعات أخرى بالإضافة إلى احتفال سيقام بمناسبة يوم التضامن مع الشعب العربي الفلسطيني.

والجدير بالذكر أن مكتب الجامعة العربية في العاصمة الإسبانية قد شارك في إعداد الندوات مع القسم العربي بالجامعة.

أمريكا

مؤتمر عن السيرة النبوية

عقد بمحافظة (أورانج) بكاليفورنيا

المؤتمر الدولي الثاني عن السيرة النبوية وذلك خلال الفترة من ١ ـ ٣ من شهر ربيع الأول ١٤٠٥ هـ .

دعي لحضوره عدد كبير من الشخصيات الإسلامية ، ونوقشت فيه قضايا متعددة تهم الإسلام والمسلمين .

والجدير بالذكر أن هذا المؤتمر قد عقد تحت إشراف وتنظيم **الجمعية الإسلامية** بالمحافظة .

جائزة لطبيب سعودي

حصل الدكتور خالد طبارة وهو أستاذ ورئيس **لقسم العيون في كلية طب جامعة الملك سعود** ، ورئيس **قسم الأبحاث في مستشفى الملك خالد التخصصي للعيون بالرياض ـ المملكة العربية السعودية** ، حصل على **جائزة الشرف من الأكاديمية الأميركية لأمراض العيون** ، وذلك **نتيجة لمساهماته في تقدم علم أمراض العيون** .

والدكتور طبارة سبق أن ألقى عدة محاضرات في مجال مرض العيون منها :

★ «**التهابات الشبكية وأمراض القرنية ـ ومعالجاتها**» .

★ «**التهابات العين الداخلية**» .

كما أسهم في **عدة بحوث** منها :

★ «**بحث شامل عن أمراض العيون في المملكة العربية السعودية**» .

★ «**دراسة ندوب القرنية**» .

كما شارك في إعطاء مقررات دراسية عن الطرق الحديثة لمعالجة أمراض العين ، وذلك في أثناء اجتماعات الأكاديمية الأميركية لأمراض العيون في الولايات المتحدة الأميركية .

والجدير بالذكر **أن دراسة الدكتور طبارة المتعلقة «بأمراض القرنية في المملكة العربية السعودية»** ، قد حصلت على «**جائزة أحسن دراسة علمية في أمراض العيون**» ، وذلك في المعرض العالمي لآخر التطورات في طب العيون الذي عقد مع اجتماع الأكاديمية السنوي في (أطلنطا جورجيا) خلال الفترة من ١١ ـ ١٥ من شهر نوفمبر (تشرين الثاني) ١٩٨٤ م ، حيث اشترك فيه أكثر من ١٤٠٠٠ طبيب وأستاذ ومستشار في أمراض



●● «**التيار الإسلامي في القصيدة الأموية**» ، موضوع رسالة دكتوراه نوقشت بكلية آداب جامعة القاهرة ، تقدمت بها السيدة **مني يوسف خليف** .

●● «**حل مشكلة البرمجة التربيعية المعقدة**» ، موضوع رسالة ماجستير نوقشت بكلية تربية البنات بالرياض ، تقدمت بها السيدة **خديجة عبد الرحمن** .

●● «**تمايز الاقتصاد الإسلامي في الفكر المعاصر في مجال توزيع الثروة**» ، موضوع رسالة ماجستير نوقشت بكلية الشريعة والقانون بالأزهر ، تقدم بها السيد **عز العرب فؤاد حافظ** .

●● «**دور ابن تيمية في الجهاد ضد المغول الإيلخانيين**» ، موضوع رسالة ماجستير نوقشت بكلية الشريعة بجامعة أم القرى في مكة المكرمة ، تقدمت بها السيدة **مريم محمد عوض بن لادن** .

●● «**أثر الدراسات الدينية في تفكير ابن خلدون**» ، موضوع رسالة دكتوراه نوقشت بكلية الزيتونة للشريعة وأصول الدين في تونس ، تقدم بها السيد **محمد العلاني** .

●● «**الإعلان في أحكام البنيان لابن الرامي ـ تحقيق ودراسة**» ، موضوع رسالة ماجستير نوقشت بكلية الشريعة التابعة لجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض ، تقدم بها السيد **عبد الرحمن بن صالح الأطرم** .

●● «**المنقول والمعقول في تفسير الرازي**» ، موضوع رسالة دكتوراه نوقشت بكلية الشريعة بالأزهر ، تقدم بها السيد **عارف مفضي المسعر** .

●● «**منهج الرسول صلى الله عليه وسلم في دعوة أهل الكتاب**» ، موضوع رسالة دكتوراه نوقشت بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة ، تقدم بها السيد **محمد ولد سيدي ولد حبيب** .

●● «**إمارة مكة في عهد الشريف غالب بن مساعد**» ، موضوع رسالة ماجستير نوقشت بمركز الدراسات الجامعية للبنات بجامعة الملك سعود بالرياض ، تقدمت بها السيدة **سامية أسعد بشاوري** .

●● «**الرضاء عن العمل بين المدرسات وعلاقته بمستوى الطموح**» ، موضوع رسالة ماجستير نوقشت بمركز الدراسات الجامعية للبنات التابع لجامعة الملك سعود بالرياض ، تقدمت بها السيدة **موضي النعيم** .

●● «**إعادة تقنين اختبار ستانفورو بينيه على عينة من تلميذات الابتدائية** في مدينة الرياض من ٧ ـ ١٢ سنة» ، موضوع رسالة ماجستير نوقشت بمركز الدراسات الجامعية للبنات التابع لجامعة الملك سعود بالرياض ، تقدمت بها السيدة **الجوهرة السليم** .

●● «**نظم استخلاص الطاقة للتناضح العكسي في عملية تحلية المياه**» ، موضوع رسالة ماجستير نوقشت بجامعة البترول والمعادن ، وذلك بقسم الهندسة الميكانيكية ، تقدم بها السيد **محمد إنعام** .

●● «**مقياس رقمي متعدد الوظائف يعتمد على الحاسبات الدقيقة ـ** مايكرو بروسيسور» ، موضوع رسالة ماجستير نوقشت بجامعة البترول والمعادن ـ قسم الهندسة الكهربائية ، تقدم بها السيد **محمد حسن شبندري** .



العيون ، وقد قدّم خلال الاجتماع (مائتي) بحث عن دراسات أجريت في الولايات المتحدة وبلدان أخرى .

معرض لفنانة عراقية

أقامت الرسامة العراقية سعاد العطار معرضاً للوحاتها في واشنطن ، وذلك خلال الفترة من أول ديسمبر (كانون الأول) ١٩٨٤ م ، وسيستمر إلى أول يناير (كانون الثاني) ١٩٨٥ م ، حيث عرضت فيه أكثر من (٤٠) لوحة تمثّل الفولكلور العراقي والطابع العربي .

والجدير بالذكر أن اللوحات كلها زيتية ، باستثناء لوحتين محفورتين على الزنك .

أحدث الكتب

● **«حفائر منطقة الأهرام خلال عامي ٧٨ و ٨٠»** ، تأليف **زاهي حواس** ، صدر عن **متحف بوسطن للفنون الجميلة بأمريكا .**

السنغال :

سنغور .. رئيساً لجمعيات المؤلفين

انتخب الرئيس السنغالي السابق والشاعر العالمي المعروف ليوبولد سنغور رئيساً للاتحاد الدولي لجمعيات المؤلفين والملحنين ، وهو الاتحاد الذي عقد مؤتمره العالمي في **طوكيو** باليابان من ١٢ إلى ١٨ من شهر نوفمبر (تشرين الثاني) ١٩٨٤ م .

الهند :

جائزة دولية للسلام

تقديراً ووفاء لدور أنديرا غاندي التاريخي في حياة الهند قررت الحكومة الهندية إنشاء جائزة دولية للسلام تحمل اسم السيدة **«أنديرا غاندي» رئيسة الوزراء السابقة** التي أغتيلت أخيراً ، وسوف تمنح هذه الجائزة **لمن يسعى في خدمة السلام في أي جزء من العالم .**

بريطانيا :

أسبوع ثقافي فلسطيني

أقيم في لندن أسبوع ثقافي فلسطيني خلال شهر ربيع الأول/ نوفمبر (تشرين الثاني) ١٩٨٤ م ، وذلك تحت إشراف وتنظيم **اتحاد الكتّاب والصحافيين الفلسطينيين** حيث شارك فيه من الشعراء :

★ **محمود درويش .**

★ **سميح القاسم .**

★ **أحمد دحبور .**

بالإضافة إلى فرقة الفنون الشعبية الفلسطينية التي قدمت عروضاً فولكلورية ، وعدد من المسرحيين والرسامين والأدباء .

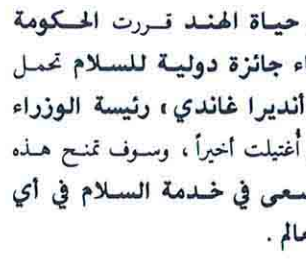
كان الأسبوع فرصة لتعريف الإنجليز وغيرهم بشيء من الواقع والتراث الفلسطيني .

اكتشاف طريق تاريخي

اكتشف علماء الآثار في بريطانيا أدلة تثبت لهم بأن هناك طرقاً تجارية مباشرة من الصين إلى أوروبا الغربية عبر العالم العربي تعود إلى ما قبل القرن السادس الميلادي .

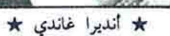
وقال الباحثون إنه تبيّن أن قطعة قماش حريرية عثر عليها في قبر روماني قديم شرقي إنجلترا قد جاءت من **شينجيانج** أو المملكة المتوسطة نفسها وهي أقدم قطعة قماش حريرية تكتشف في أوروبا .

ولذلك قرر العلماء أن الحرير أو القطعة الحريرية المكتشفة ليست من بريطانيا ، ذلك لأن الحرير قبل القرن السادس الميلادي لم يصنع خارج الصين ، والطريق المحتمل لوصوله إلى بريطانيا عن طريق بحر العرب ثم البحر الأحمر ثم الإسكندرية ، فالبحر الأبيض المتوسط إلى مرسيليا مروراً بسهل الرون إلى بحر الشمال وأخيراً إلى بريطانيا .





★ سنغور ★


★ أنديرا غاندي ★

إيطاليا :

وفاة كاتب مسرحي

توفي في روما الكاتب والممثل المسرحي **«إدواردو دي فيليو»** ، الذي يعد من **أشهر الممثلين وكتّاب المسرح في إيطاليا** عن عمر **يناهز الثمانية والأربعين عاماً .**

من مسرحياته :

★ عيد الأشباح .

★ عيد الميلاد في بيت كوبيللو .

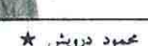
★ عائلتي الأشباح .

وقد اقتبست بعض مسرحياته إلى العربية ، ونظراً لتأثيره الكبير على الجمهور فقد اختاره الرئيس الإيطالي عام ١٩٨١ م ، ليكون عضواً مدى الحياة في مجلس الشيوخ .

والجدير بالذكر أن إدواردو قد ظهر لأول مرة على المسرح عندما كان في الرابعة من عمره ، ولم يتوقف عنه خلال فترة دراسته ، تغلب على مسرحياته تصوير الحياة اليومية في نابولي ، ومن **أشهر مسرحياته** على الصعيد العالمي مسرحية **«فيلومينا مارتيرانو» .**

كنوز الفراعنة في معرض

أقيم في قصر دوكالي بإيطاليا بمناسبة الاحتفال بالذكرى الخامسة والعشرين لتوقيع الاتفاقية الثقافية بين مصر وإيطاليا **معرض «كنوز الفراعنة»** ، وذلك خلال الفترة من ٢٣ نوفمبر (تشرين الثاني) وسيستمر إلى ٣٠ ديسمبر (كانون الأول) ١٩٨٤ م ، اشترك في إعداده وزارة الثقافة وهيئة الآثار المصرية والمتحف المصري ، ووزارة الخارجية الإيطالية والمعهد الثقافي الإيطالي بالقاهرة .

★ محمود درويش ★ ★ سميح القاسم ★

والجدير بالذكر أن المعرض قد أُقيم في (١٤) قاعة بالقصر، وضم (٦٩) قطعة أثرية.

قبب إيطاليا في معرض

أقيم في روما معرض فني دولي استمر حتى السادس من شهر ديسمبر (كانون الأول) ١٩٨٤م، حيث اشتمل على (٢٠٠) عمل فني بين لوحة زيتية ومائية ونحتية وفوتوغرافية، وكلها تتناول موضوعاً واحداً هو «القبب» التي تشتهر بها روما مثل **قبة سيستيا** في حاضرة **الفاتيكان**.

والجدير بالذكر أن المعرض قد اشترك فيه أكثر من (٨٣) فناناً من كافة أنحاء العالم، حيث أقاموا عملهم هذا تحت إشراف وتنظيم محافظة العاصمة، بالتعاون مع عدد من الهيئات الثقافية.

مجموعة شعرية عربية للإيطالية

صدرت في مدينة (ميلانو) أول **مجموعة من الشعر العربي باللغة الإيطالية بعنوان «أبكي أرضي» للشاعر الطبيب الفلسطيني خليل مصطفى**، الذي يقيم في إيطاليا منذ خمس عشرة سنة، كتب مقدمة المجموعة المترجمة **السيد جوليو أندريوتي وزير الخارجية**.

روسيا :

أحدث الكتب

● **«التركيب اللغوي للشعر الغنائي العربي»**، تأليف **المستشرقة رادلغابا باريسفانا فرلوفا**، صدر في **موسكو**.



أخبار الغد

●● متحف لآثار النوبة ●●

سيقام في منطقة المقابر الأثرية جنوب مدينة أسوان على مساحة ١٠,٠٠٠ م٢، **متحف أثري لآثار النوبة** ليحوي أكثر من ٣,٠٠٠ قطعة أثرية تم تجميعها منذ عشرين عاماً وذلك ضمن حملة اليونسكو لإنقاذ آثار النوبة، كما تقرر إنشاء منزلين على الطراز النوبي في حديقة المتحف ليعرضا صورة الحياة اليومية في النوبة القديمة ونماذج من الفولكلور النوبي.

الجدير بالذكر أن المشروع ستنفذه **منظمة الأمم المتحدة للتربية والعلوم والثقافة** (اليونسكو) كهدية لمصر.

●● تاريخ العلوم عند العرب ●●

بدعوة من جامعة حلب «معهد التراث العلمي العربي» وبالتعاون مع **محافظة الرقة**، سيعقد **المؤتمر السنوي التاسع لتاريخ العلوم عند العرب** وسيحتفل خلاله بمرور عشرة قرون على وفاة العالم العربي الرقي **«أبي عبد الله البتاني»**، وذلك خلال يومي ٤، ٥ من شهر شعبان القادم ١٤٠٥هـ.

المؤتمر سيعقد في مدينة الرقة والهدف منه تقديم أبحاث جديدة في موضوعات تاريخ العلوم والطب والتكنولوجيا عند العرب، وذلك تمشياً مع أهداف معهد التراث والجمعية السورية لتاريخ العلوم، ومن الموضوعات التي ستناقش في المؤتمر:

★ تاريخ العلوم الأساسية وتشمل: الرياضيات، الكيمياء، الفيزياء، النبات، الحيوان، الجيولوجيا.

★ تاريخ الفلك والتنجيم.

★ تاريخ الطب والطب البيطري والصيدلة والعلوم الطبيعية.

★ تاريخ التكنولوجيا والصناعات العربية وتشمل: الهندسة الميكانيكية، الهندسة الحربية، الصناعات الكيميائية.

★ موضوعات تتعلق بالعالم الرقي.

●● كتب جديدة ●●

● **«منية الراضي برسائل القاضي»**، تأليف **أحمد بن محمد الميداني**، تحقيق **الدكتور سعود محمود عبد القادر**، سيصدر في **قطر**.

● **«الإفصاح»**، لابن هبيرة، تحقيق لجنة من المحققين بإدارة الشؤون الإسلامية، سيصدر عن **إدارة الشؤون الإسلامية في رئاسة المحاكم الشرعية بقطر**.

● **«تاج العروس»**، **للزبيدي**، تحقيق **عبد الكريم العزباوي**، مراجعة **محمد خليفة التونسي**، سيصدر الجزء العشرون عن **وزارة الإعلام الكويتية**.

● **«المفصل في صنعة الإعراب»**، تأليف **جار الله محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي**، تحقيق **كمال جبري أمين**، سيصدر عن **مركز بحوث المناهج بالكويت**.

● **«النيل»**، **مجموعة شعرية للشاعر طاهر زمخشري**، ستصدر عن **تهامة**.

مسابقة الرسم السنوية السادسة للأطفال

يسر إدارة العلاقات العامة بأرامكو أن تعلن عن إجراء مسابقتها السنوية السادسة في الرسم للأطفال من البنين والبنات، إسهامًا منها في تشجيع القدرات والمواهب الفنية لدى الأطفال في المملكة العربية السعودية

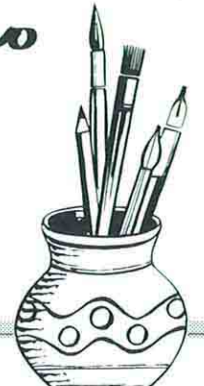
شروط المسابقة:

١. يستطيع أي طفل لا يزيد عمره على ١٤ عامًا. ويقيم حاليًا في المملكة أن يشترك في المسابقة.
٢. يتقدم المتسابق برسم واحد فقط.
٣. يُراعى أن لا تقل مساحة ورقة الرسم عن ٤٥ سم طولاً و ٣٠ سم عرضًا.
٤. يُرسم المشهد بالألوان التي يختارها المتسابق.
٥. تُرسل الرسوم في مظروف مقوى حفاظًا عليها من التلف.
٦. يكتب المتسابق اسمه خلف الرسم بخط واضح بالإضافة إلى عمره وعنوانه واسم مدرسته ليسهل الاتصال به.
٧. يُرسل المظروف في موعد أقصاه: ٢٦ جمادى الأولى ١٤٠٥هـ الموافق ١٦ فبراير ١٩٨٥م

إلى العنوان التالي:
مبنى الإدارة - العلاقات العامة - غرفة رقم ٢٢١٦
أرامكو - الظهران. ويكتب في أعلى المظروف:
«مسابقة الرسم السنوية السادسة للأطفال»
تبقى جميع الرسوم في حوزة إدارة العلاقات العامة مع الاحتفاظ بحق نشر أي منها حسب ما تراه الإدارة.

موضوع المسابقة:

اختيار موضوع الرسم متروك للطفل



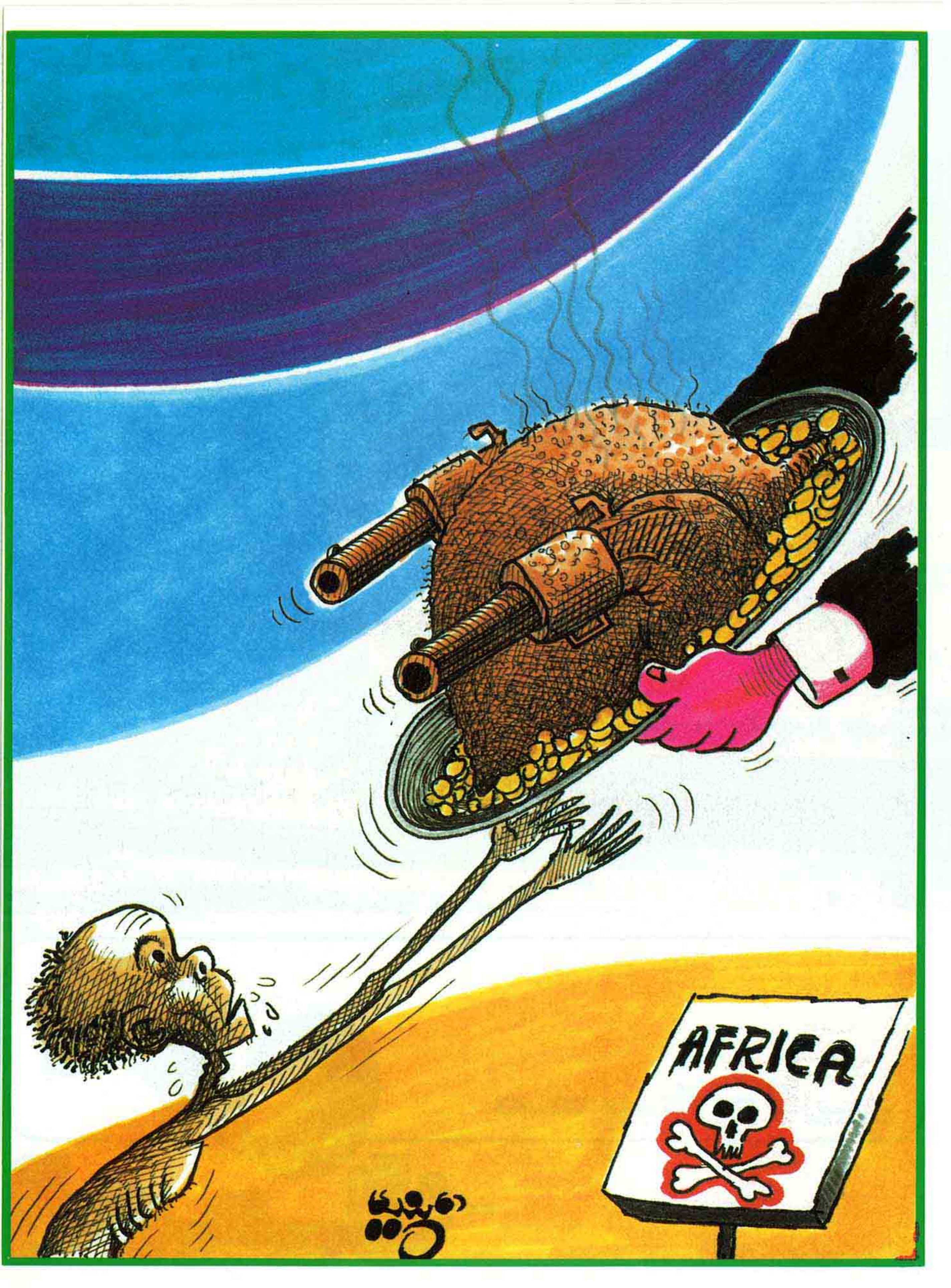
الجوائز:

خُصص للفائزين في المسابقة خمس وسبعون جائزة. وقد قسمت هذه الجوائز إلى ثلاث فئات توزع على المتسابقين الفائزين كما يلي:

★ خمسٌ وعشرون جائزة - للذين تقل أعمارهم عن ٧ سنوات.
★ خمسٌ وعشرون جائزة - للذين تتراوح أعمارهم بين ٧ و ١٠ سنوات.
★ خمسٌ وعشرون جائزة - للذين تتراوح أعمارهم بين ١١ و ١٤ سنة.

وسوف تنشر أسماء الفائزين في جميع الصحف والمجلات السعودية

(PRI-5-84)


AFRICA



★ قلعة أربيل ★

مدينة وتاريخ

أربيل.. مدينة الشمس

بقلم: عبد الجبار محمود السامرائي

★ منظر عام لمدينة أربيل ★





★ جامع قديم في أربيل قرب القلعة ★



مدينة « أربيل » محافظة عراقية ، ومركز لمنطقة الحكم الذاتي ، وهي مدينة كبيرة مزدحمة ، ونقطة الوصل بين مدينتي (الموصل) و(كركوك) ، إذ تقع على بعد (٨٦) كم من الأولى ، و(٩٣) كم من الثانية ، وتقع أراضي أربيل ضمن منطقة محصورة بين وادي الزابين الأعلى والأسفل ، وتتوسط إقليماً غنياً خصباً على هضبة مستوية ، يبلغ متوسط ارتفاعها (١٣٠٠) قدم عن سطح البحر ، أما السهل المحيط بالقلعة التاريخية لهذه المدينة ، فيرتفع حوالي (١٣٣٢) قدماً عن سطح البحر ، وهذه الهضبة ، هي خط تقسيم المياه بين الزابين .

وتتناثر في سهل أربيل بعض الجبال القليلة الارتفاع ، كما تتخلل السهل أيضاً بعض الوديان الضحلة تتسرب مياهها إلى الزابين . وتشكل جبال أربيل جزءً من المنطقة الجبلية في الشمال والشمال الشرقي من العراق ، وتغطي بعض أجزائها غابات وأحراش ، تقدر مساحتها بحوالي (٥٠٠٠) كيلومتر مربع ، فتكسب المنطقة جمالا أخاذاً ، وموقعاً سياحياً ممتازاً .

وتنقسم مدينة أربيل إلى قسمين :

(١) القسم الأعلى : ويقوم على تل مخروطي الشكل ، لا يعدو ارتفاعه عن (٦٥) قدماً ، جوانبه شديدة الانحدار ، وبداخل ارتفاعه : أقبية ضخمة وسراديب وغرف .

وتحتل هذا القسم **قلعة مدينة يحيط بها سور** ، يبلغ ارتفاعه (٤٨) قدماً ، وبه فتحات وأبراج . ولطالما أثار هذا التل الفخم والقلعة المنيعة إعجاب الرحالين ، ويذكرنا هذا التل المشرف بقلعتي حمص وحلب اللتين كثيراً ما يُقارن بينهما ، إلا أنه يفوقهما فخامة .

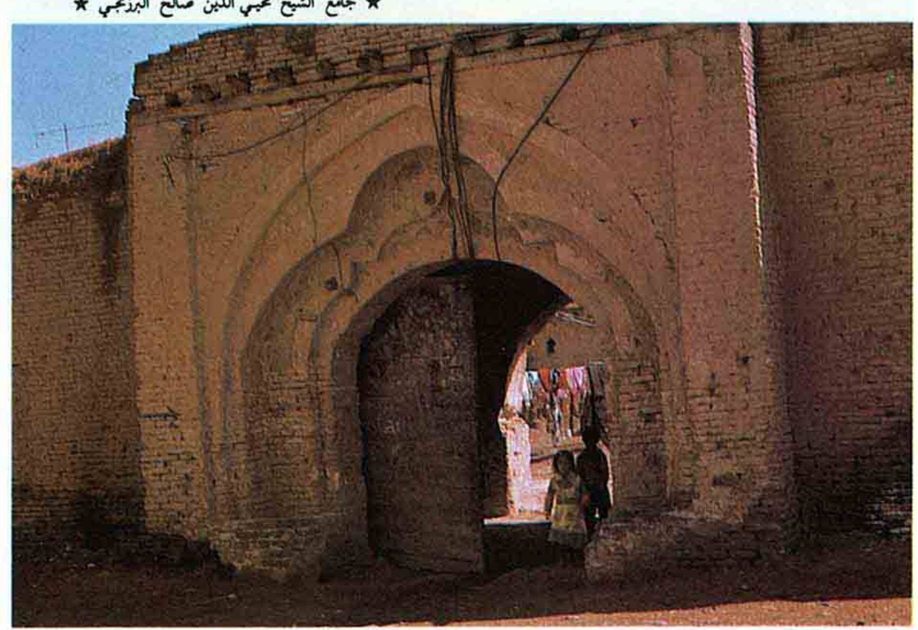
(٢) القسم الأسفل : بناه **(مظفر الدين كوكبري)** صهر البطل المسلم المشهور (صلاح الدين الأيوبي) ، بحيث تحول هذا القسم إلى مدينة كبيرة عريضة طويلة .. ويقع هذا القسم في غرب سفح التل الذي تقوم عليه القلعة وجنوبها ، وكان هذا القسم واسعاً ، حيث يتبين ذلك من الخندق الذي كان يحيط به في الماضي البعيد .

أسماء المدينة

اسم أربيل قديم ، وردت اشتقاقاته بكثرة في الكتابات التاريخية من مختلف العهود ، ولعل أربيل المدينة العراقية الوحيدة التي ظلت مستوطنة ومحتفظة باسمها القديم إلى اليوم . ونوجز هنا أشهر أسمائها :

١ ــ أور بيلم Urbilum : ويرجح أن هذا أقدم اسم لها ، وكان قد ورد في كتابات

★ جامع الشيخ محيي الدين صالح البرزنجي ★



★ إحدى واجهات سور أكرم آغا ★

الملك السومري (شولكي) (٢٠٠٠) قبل الميلاد .

٢ ـ أربيلم : وقد عرفت بهذا الاسم عندما كانت ضمن إمبراطورية سلالة أور الثالثة .

٣ ـ أربا ـ إيلو : وقد ورد هذا الاسم في **النقوش البابلية والآشورية** القديمة المكتوبة بالخط المسماري .

٤ ـ أربيرا Arbera : وقد سمتها **النقوش الفارسية** المكتوبة بالخط المسماري بهذا الاسم .

٥ ـ أربيلا : وقد سمتها **المصادر اليونانية** القديمة بهذا الاسم .

٦ ـ أربليتس Arbelitis : وكان يقال قديماً لمنطقة أربل (أربليتس) .

٧ ـ أديابين Adiabene : وسميت بهذا الاسم نسبة إلى **مملكة (حدياب)** الآرامية ، التي امتد نفوذها في بعض الفترات إلى الفرات غرباً ونصيبين شمالا .

و (حدياب) أو (حديب) اسم آرامي يقابله في المصادر الكلاسيكية اسم **(أديابين)** . ولعل كلمة (زابين) تصحيف لهذا الاسم ، فإن الزاب بالآرامية يلفظ بشكل

(ذب) ، فيكون معنى (حدياب) أو (أديابين) إقليم الزابين . وإقليم (حدياب) يكاد يطابق جغرافياً الجزء الأكبر من بلاد آشور القديمة ، حتى سُمي أحياناً باسم مرادف هو (آشوريا) أي بلاد آشور .

٨ ـ أربل : أما **المصادر العربية والبلدانيون العرب** ، فقد سموها باسم (أربل) ـ بدون ياء ـ .

٩ ـ أربيل : والغريب أن ثمة من حاول جعل (أربيل) اسماً تركياً قديماً ، فقد قيل إن اسم المدينة مركب من كلمتين تركيتين : (ار) تعني (الجندي) أو الرجل أو السيد أو الزوج أو الأفندي ، و (بيل) يعني أعرف .

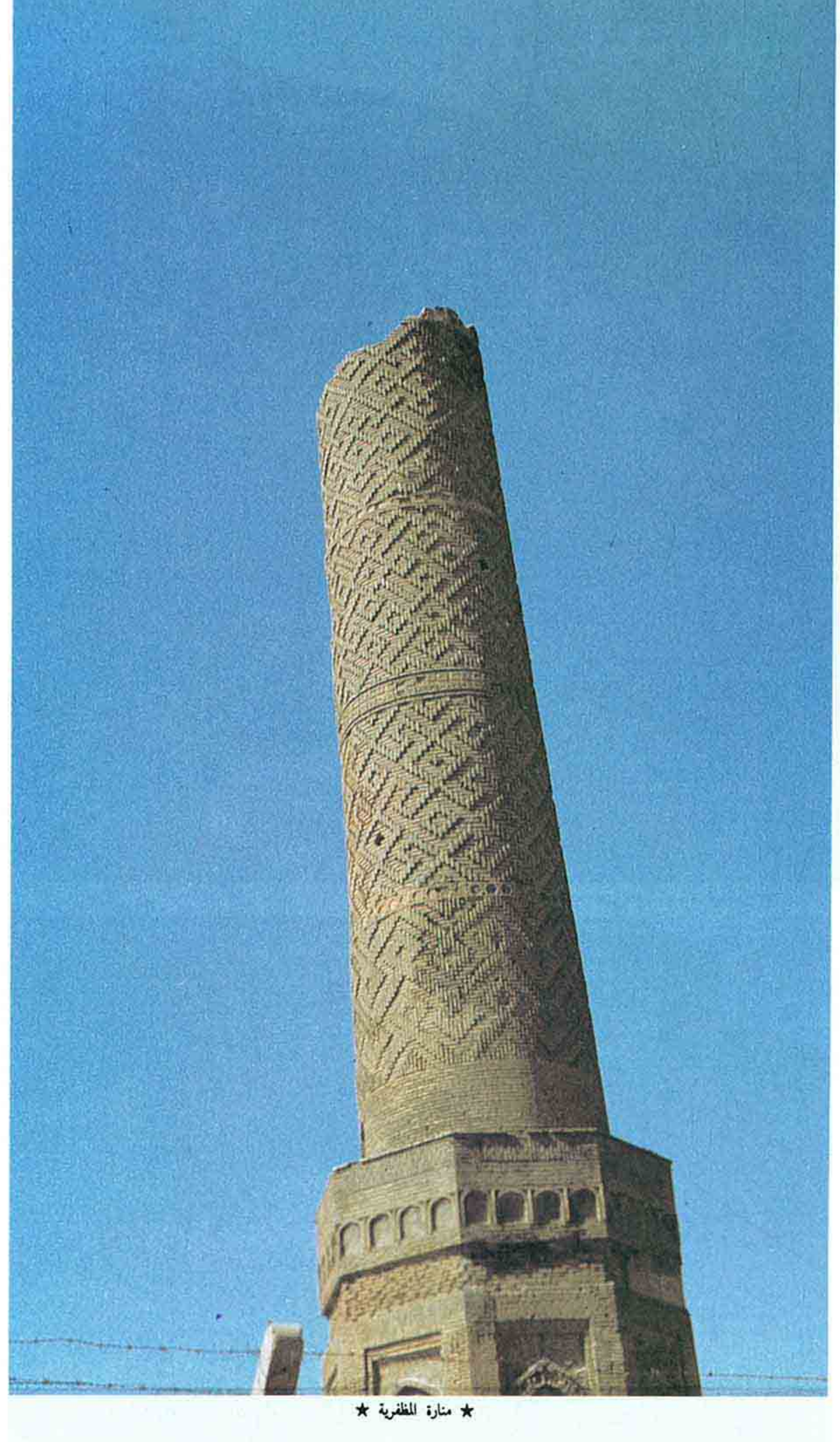
١٠ ـ هولير : ويسمي الأكراد (أربيل) : (هولير) = (هه ولير) . ولعل هذه التسمية اشتقت من سلسلة تسمياتها : (أربائيلو ـ أربيلا ـ أربيل ـ أرويل ـ هورويل ـ هولير) .

وهناك من يذهب إلى أن (هولير) منسوب للمشي ، فـ (هيليو ـ Hello) تعني الجذر الآري ، وقد تحرف هذا إلى (هولير) و (خور لير) أو (هه ولير) على النطق البلدي . وعلى ذلك يكون الاسم ، مدينة الشمس .

العهود القديمة

لعل أول ذكر لهذه المدينة ، وردنا من **العهد الأكدي** (٢٣٥٠ ـ ٢١٥٠ ق . م) . وكانت الدولة الأكدية قد قامت على أنقاض دويلات المدن السومرية (٣٠٠٠ ق . م) التي ازدهرت في عهد فجر السلالات .

ويظهر أن فتوحات (**سرجون الأكدي**) وصلت إلى أربيل لغرض الاستيلاء على طرق الموارد التي كانت تمر منها عبر طريق الشمال إلى الوسط والجنوب .



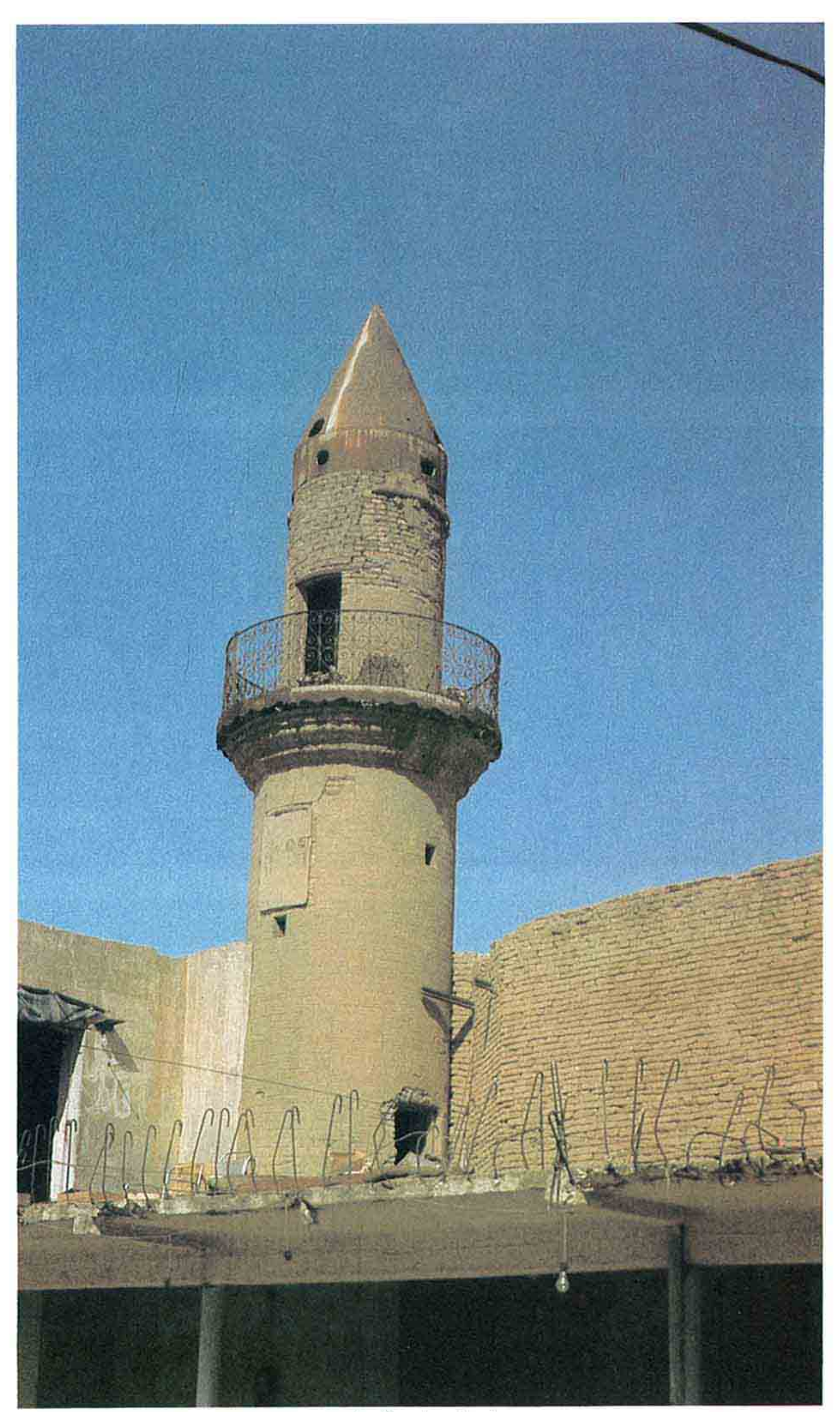
★ منارة المظفرية ★

وكانت (أربيل) أهم مدينة في صقع آشور المؤلف من ثلاث مدن : كالح ونينوى وأربيلا . وفي خلال جميع عهود الممالك الآشورية ، اتخذت أربيل عاصمة للملك الحاكم .

ومن المحتمل أن (عشتار) قد نقلت معبدها من (نينوى) إلى (أربيل) (أربا إيلو) ، وبذلك فإن أربيل كانت الكرسي الثاني لعشتار التي عرفت بـ (عشتار أربيلا) ، وكانت مصدر الظفر في المعركة .

لذا انفردت أربيل دون سائر مدن آشور المشهورة الأخرى ، ببقائها ، وبقاء اسمها محفوظاً على مر العصور ، بحيث أصبح على ألسنة التجار والرحالين ، في حين اضمحلت أسماء سائر مدن آشور شيئاً فشيئاً .

وبسقوط **الدولة الآشورية** سنة



★ جامع حاجي قادر ★

٦٠٦ ق. م، سقطت أربيل بأيدي **(الماديين)**.

ومما جعل اسم (أربيل) يبرز في العهود القديمة، وقوع المعركة الفاصلة على أراضيها بين **الإسكندر المقدوني ودارا الأخميني** ملك الفرس عام ٣٣١ ق. م، تلك المعركة التي عرفت في التاريخ **بمعركة (أربيلا)**، التي نتج عنها استيلاء الإسكندر على (بابل) عاصمة أول إمبراطورية في المنطقة، وكانت أربيل لا تزال يومذاك من المدن الشهيرة.

وفي النصف الأخير من القرن الثاني قبل الميلاد، قامت في إقليم (أربليتس) أي في منطقة (أربيل) مملكة صغيرة، استطاعت أن تحافظ على كيانها فترة طويلة ضد أطماع الدولة الفارسية الساسانية.

واشتهر من ملوك المملكة **(قردغ)** الذي اتخذ أحد الحصون القريبة من أربيل مقراً له، واعتصم فيه من الملك الساساني **(سابور الثاني)** (توفي سنة ٣٧٩م) الذي قارع أتباع الدين المسيحي الذي اعتنقه (قردغ)، وأخيراً تمكن الملك الساساني من القضاء على مملكة أربيل، واحتلال المنطقة.

العهد الإسلامي

لم يظهر لمدينة أربيل شأن يذكر في القرون الثلاثة للتأريخ الإسلامي، كما لم يرد ذكرها عند مؤرخي الفتوح الإسلامية لدى تطرقهم لفتح مدن بلاد الجزيرة أو الجبال.

ولعل إهمال ذكر فتح (أربيل) يعود سببه إلى أن هذه المدينة، كانت قد تحولت إلى مدينة مغمورة ذات شأن محدود.

لكننا نجد أن اسمها بدأ يتردد قليلاً في أواخر القرن الثالث، وإطلالة القرن الرابع الهجريين (التاسع والعاشر الميلاديين)، ثم بدأت (أربل) ــ كما سماها البلدانيون العرب ــ بالبروز شيئاً فشيئاً، حتى أضحت أهم مدينة في المنطقة الواقعة بين نهري الزابين الكبير والصغير، وكذلك في المنطقة المحصورة بين إقليم السواد (أي العراق) وإقليم الجبال (أي في بلاد الجزيرة، باستثناء مدينة الموصل)، وذلك في العهد العباسي الأخير، وتحديداً في القرنين السادس والسابع الهجريين، حتى غدت قاعدة بلاد (شهرزور).

وفي **العهد العباسي**، وفي عصر المأمون بالذات، أصبحت (أربل) ضمن إقليم الجزيرة، ومن إقليم الموصل ذاته.

وأصبحت (إمارة أربل) الهذبانية ــ التي استمر حكمها إلى ما بعد سنة ٥٢٠هـ/ ١١٢٦م ــ تابعة **للسلاجقة** عندما قام آخر أمرائها **(أبو الهيجاء)** بدور جلي في الصراع

الذي دار بين الخليفة العباسي (**المسترشد بالله**) والسلطان السلجوقي (**محمود بن محمد ابن ملكشاه**)، حين انضم مع جنده إلى صفوف هذا السلطان.

وفي أواخر أيام الدولة العباسية في العراق، كانت (أربيل) السد المنيع بوجه هجمات المغول المتتابعة على العراق، والتي كانت تندفع نحوه من اتجاه الحدود الشمالية الشرقية.

وفي عام ٦٢٨ هـ، (١٢٣٠ م)، احتل **المغول** مدينة (أربل) وعاثوا في طرقاتها. كما دخلها المغول وقاموا بتحركات واسعة منها كقاعدة انطلاق تجاه **دولة خوارزم الإسلامية**، التي كانت في الأصل جزءً من دولة السلاجقة.

وفي عام ٦٣٤ هـ، (١٢٣٦ م) ظهر المغول في أربيل من جديد، فأحرقوا الجزء الأسفل من المدينة، وحاصروا الحصن الذي قاوم مقاومة شديدة، وبعد (٤٥) يوماً من الاحتلال، انسحب المغول نظير جزية كبيرة يأخذونها.

ولما سار (**هولاكو**) الطاغية إلى بغداد سنة ٦٥٦ هـ (١٢٥٨ م)، أرسل أحد قواده لمهاجمة (أربل).

وقد احتملت (أربل) كثيراً من الأهوال، وتعرضت للسلب والنهب، وكان آخر عصور الشدة التي مرت بهذه المدينة هو **غزوة (نادر شاه) الفارسي** عام ١٧٤٣ م، فقد حاصرها (٦٠) يوماً ثم تمكن من احتلالها.



★ سلسلة جبال حصاروست ★



★ مصيف صلاح الدين ★



★ مصيف شقلاوة ★

أشهر معالم أربيل

(١) قلعة أربيل: ليست القلعة إلا بقايا مدينة آشورية مهمة تعرف باسم (أربا — إيلو) مشيدة على تل أثري، وكانت للقلعة بوابتان متقابلتان، إحداهما البوابة الجنوبية التي كانت ولا تزال، تشرف على الميدان الذي يفصل القلعة عن **القيسارية** (السوق ذات السقف) التي بناها (**مظفر الدين كوكبري**) أي أنها تقع في الواجهة الجنوبية للقلعة، والبوابة الثانية، هي البوابة المواجهة لـ (عينكاوا) التي وصفها مؤلف (الحوادث الجامعة) بأنها (أعظم الأبواب)، وهذا يعني أن القلعة كانت لها أكثر من هاتين البوابتين.

ولا يمكن الصعود إلى القلعة إلا من درجين قديمين، ومن درج ثالث فتح قبل حوالي نصف قرن تقريباً. وكان الباب الرئيسي للقلعة برج عظيم كان منظره يدل على أنه كان حصناً للقلعة. **وقد اتخذ هذا الحصن مدة داراً للحكومة ومدرسة ومستوصفاً في الفترة الأخيرة.**

وكانت قلعة أربيل حصينة من الصعب اقتحامها، وكانت محاطة بخندق عميق، (**ياقوت الحموي**) في معجمه.

والذي يؤكد هذه الحصانة، أن أربيل

استعصت على المغول سنة ٦٣٤ هـ ـ ١٢٣٧ م، بحيث عجزوا عن اقتحامها، مع أنه ما فاتهم شيء من القلاع والحصون.

(٢) المنارة المظفرية: تعتبر هذه المنارة من أبرز آثار أربيل قاطبة، وتقع في الجهة الجنوبية من المدينة، على بعد كيلومتر واحد تقريباً من قلعة أربيل.

وقد عرفت بهذا الاسم نسبة إلى (مظفر الدين كوكبري) الذي حكم أربيل، وتوفي عام ٦٣٠ هـ ـ ١١٣٢ م، ويعتقد أنها بنيت في عهده.

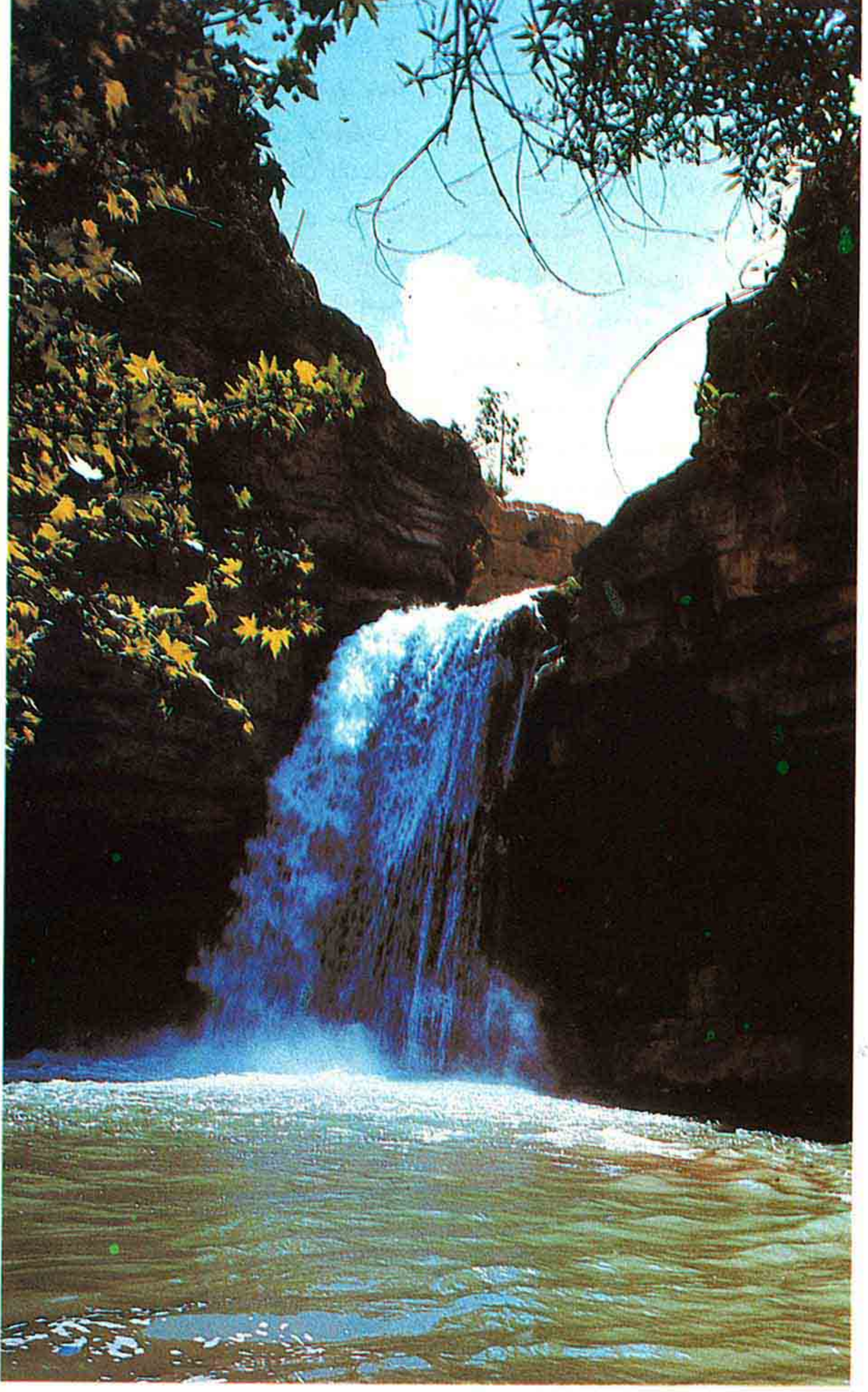
ويرجح أن تكون هذه المنارة قد ألحقت بجامع كان موجوداً من قبل، إذ تم العثور على أساس جامع أقدم من المنارة، يعتقد أنه بُني في العصر الأموي أو في أوائل العصر العباسي.

والمنارة على شكل مسبع، ولها بابان يفضيان إلى سُلم لا اتصال بينهما، ويدوران حول أسطوانة في باطن المنارة، فيكون باستطاعة شخصين الارتقاء إليها في آن واحد دون أن يرى أحدهما الآخر حتى يصلا برجها.

أما نقوش المنارة، فهي من الآجر، وتزين أوجه قاعدتها المثمنة شرف عمياء ذات عقد مدبب تزينها النقوش، ويعلوها بالتوازي شرف أخرى مماثلة لها، وقد تخربت أكثر زخارفها.

ولعل خير من وصف المنارة هو العلّامة **المؤرخ الألماني (هرتسفيلد) Herzfeld** في أوائل القرن العشرين الميلادي، وأن مخططه للمنارة الذي رسمه هو، من أحسن المخططات الأثرية لهذه المنارة.

(٣) منحوتة جبل حرير: يمر الطريق من **(شقلاوة)** إلى القرية المعروفة باسم **(حرير)** بين السهول والمرتفعات، ثم في سهل خصب كثير الزروع والمياه، وهو سهل حرير التي تطل عليه سلسلة جبال حرير من الشرق. ويشاهد من هذا السهل عدة تلال أثرية من مختلف العصور، وبعد مسافة أقل من أربعين كيلومتراً، يصل الطريق إلى مركز ناحية حرير، ويوجد عند (حرير) طريق جبلي قديم يُرتقى له إلى قمة جبل حرير، ولعله كان الطريق الرئيسي لعبور هذا الجبل إلى **(راوندوز).**



★ شلال كلي علي بك ★

وبعد مسافة كيلومترين من (حرير) يشاهد المسافر على يمينه في الجبل منحوتة منقوشة في الصخر، على ارتفاع يبلغ حوالي خمسين متراً، وطول هذه المنحوتة ٢,٥ متر فيها **صورة شخص واقف يرتدي في رأسه قبعاً مخروطي الشكل، ويلبس ثوباً على هيئة سروال وبجانبه رمح طويل، وقد مد ذراعه اليمنى إلى الأمام.**

ولا يعلم زمن هذه المنحوتة على وجه التحديد، ويحتمل كثيراً أنها من **العصر الفرثي**، بالاستناد إلى طراز النحت والزي فيها.

(٤) تل سعداوة : لعل تل سعداوة الواقع في الطريق غير المعبد بمسافة (٢٥) كلم إلى الغرب الجنوبي من أربيل ، هو بقايا بلدة آشورية كان لها احترامها لدى الآشوريين ، كانت تدعى **(كاكزو)** . وكان الملوك الآشوريين يأتون إلى هذا التل في مواكب ضخمة قاصدين المعبد ، وقد تحللوا من حللهم وزينتهم ، ومنه يقصدون أربيل للمثول أمام معبدها الكبير .

(٥) مسلتا طوبزاوة وكيله شين :

تقع هاتان المسلتان في الزاوية الشمالية الشرقية من منطقة (برادوست) الجبلية في أربيل ، وعليها كتابة بالخط المسماري ، وباللغتين : الآشورية والأراراتية أو (الخلدية) .

والمسلتان أقيمتا على طريق القوافل المؤدي إلى بحيرة **(أرميا) و (وان) في أذربيجان** ، ومن ثم إلى بلاد (أرارتو) أو (خلديا) الواقعة شمال **بحيرة (وان)** وغربها . وكانت بلاد آشور تتصل بهذه البلاد عبر هذا الطريق المار من أربيل .

(أ) مسلة طوبزاوة : تقع على مسيرة عشرين دقيقة من **قرية (سيده كان)** على يمين الطريق المؤدي إلى ممر **(كيله شين) و (لولان)** . وقد نصبت المسلة في فجوة من الأرض منبسطة ، تطل على واد عريض كثيف بالأشجار . والمسلة قطعة من (البازلت) ركبت على قاعدة من مادة الحجر مستطيلة ، يبلغ طولها (٣٣ سم) ، وطول قاعدتها (١١٦ سم) ، وعرضها (٩٢ سم) وسمكها (٣٣ سم) ويسميها أهالي المنطقة بـ (كيله كاور) أي نصب الكفار .

أول من اكتشف هذه المسلة هو **(الجنرال رولنسون)** في سنة ١٨٤١ م . زارها الكثيرون ، ومنهم **العلامة الأثري (ليمان هاويث)** الذي نشر نصوصها ، حيث أجرى عليها علماء اللغات القديمة دراسات أصبحت مفتاحاً لمعرفة **اللغة الخلدية** .

تكسو وجهي المسلة وجانبيها كتابة مسمارية بلغتين : آشورية وخلدية ، واستطاع علماء اللغات قراءة ما كتب في هذه المسلة وسبب وتاريخ نصبها .

(ب) مسلة كيله شين : تقع في الفجوة الواقعة في نهاية الوادي المنحصر بين سفوح جبال **(سيكاو)** (١١٧٢٥) قدماً فوق مستوى سطح البحر ، والمرتفعات الإيرانية الممتدة تجاه الشمال الغربي ، فوق مرتفع من الأرض قليل ، ووسط ميدان فسيح ، عند مدخل جبلي يبعد عنها بمقدار (٣٠٠) ياردة .

المسلة من (البازلت) رمادية اللون ، نحتت في بلاد خلديا ، ودونت عليها الكتابة ، ثم نقلت إلى هذا المكان ، ونصبت عند مدخل المضيق ، تحمل المسلة على وجهيها كتابة مسمارية باللغتين الأراراتية والآشورية ، طولها حوالي المترين ، وعرضها (٦٠ سم) ، وسمكها (٣٠ سم) .

ارتكزت على قاعدة مربعة الشكل ، ونحت قسم من المسلة الأسفل بشكل نهاية أبواب البيوت القديمة المرتكزة على صنارة ، ثم أدخلت في شق مستطيل ، قطع من القاعدة باتجاه الشمال الغربي ، أي باتجاه بلاد آشور .

أول من اكتشف المسلة هو الراهب الألماني (شولتز) في سنة ١٧٨٠ م ، فاستنسخ الكتابة ، ولكنه قتل من قبل سكان المنطقة ، وفقدت بذلك تقاريره .

زارها **الجنرال (رولنسون)** في سنة ١٨٤١ م ، ونشر أوصافها بلندن في نفس السنة . . وزارها **الدكتور (پلاو)** في سنة ١٨٥٨ م ، وأخذ لها قالباً حين تمكن **العالم الفيلولوجي (سايس)** المختص بدراسة اللغات القديمة من دراسته ونشر نصوصها . .

وزارها **الدكتور (دي مورجان)** في سنة ١٨٩٠ م ، مع زوجته وبصحبته **الابن (فازلن)** فاستنسخ الكتابة وصورها حيث قرأها **العلامة (شيل)** ونشرها .

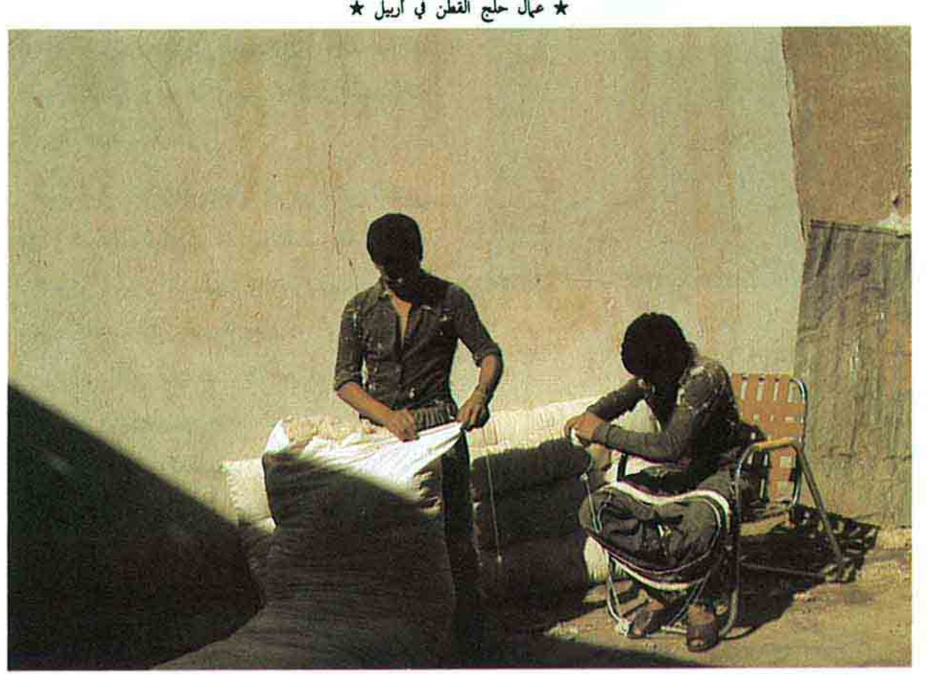
ثم زارها **الأثري العلامة (ليمان هاويث)** مع (بلك) وذلك ضمن رحلته لبلاد أرمينيا ، ونشر عنها دراسة مفصلة ، وأظهرت نتيجة الدراسات أن المسلة تعود للملك الخلدي (إشبوئيني) من القرن الثامن ق . م ، فكانت مفتاحاً لمعرفة اللغة الخلدية ، عن طريق الترجمة الآشورية للنص الخلدي .

أهم المصايف

١ ـ مصيف صلاح الدين : يقع هذا المصيف الجبلي على **جبل (بيرمام)** ، ويمتد في منطقة واسعة تطل على السهل الممتد إلى أربيل من جهة ، وإلى **جبل (سفين)** من جهة أخرى . يبلغ ارتفاعه عن سطح البحر



★ عمال حلج القطن في أربيل ★



(١٠٩٠) متراً، وأقصى درجات الحرارة فيه صيفاً (٣٦) درجة مئوية، ويبعد عن مدينة أربيل (٣٢) كلم. ويمتاز بجمال طبيعته، حيث تكثر أشجار السرو والبلوط.

٢ ـ مصيف شقلاوة: يبعد عن مصيف صلاح الدين بنحو (١٨ كلم)، ويقع على سفح جبل سفين. يبلغ ارتفاعه عن سطح البحر (٩٦٦ م) وأقصى درجات الحرارة فيه صيفاً (٣٥) درجة مئوية. يتميز هذا المصيف بروعة جماله لتوسطه قمم الجبال التي تحيط به، وكثرة بساتينه حيث تنمو أشجار الجوز واللوز والرمان والأعناب والاسفندار والسرو ومختلف الفواكه الجبلية، ويتميز كذلك بانتشار ساحات الظلال الوارفة.

وتوجد في هذا المصيف ساحات واسعة من البساتين لإقامة (الكبرات) للمصطافين. وهناك كازينو في قرية (الكورة) على سفح جبل سفين (الذي يبلغ ارتفاعه ١٤٧٥ م) عن سطح البحر، وتكثر على سفوح جبل سفين (المشهور بمناظره الخلابة) مختلف الأشجار الطبيعية.

كما توجد هناك **كهوف** قرب منابع المياه في مرتفعات هذا الجبل، وجدت فيها آلات مصنوعة من أعضاء حيوانية من العصور الحجرية، يؤمها الناس لممارسة التسلق على الجبال والاستمتاع بالمشاهد الرائعة.

٣ ـ مضيق كلي علي بك: وهو الممر المؤدي إلى **(راوندوز)** ويبعد عن (شقلاوة) (٦٠ كلم)، طوله نحو (١٠ كلم)، يقع في ممر جبلي بين **جبل (كورك)، وجبل (نواذنين)**. ويبلغ ارتفاع المصيف عن سطح البحر (٨٠٠ م)، وأقصى درجات حرارته (٣٨) درجة مئوية، يمتاز بجمال الطبيعة والجبال الشاهقة، وخرير شلاله الهادر.

وقبل الوصول إلى هذا المضيق، يستطيع المرء أن يأخذ الطريق الفرعي إلى منطقة (شانيدرا) حيث يوجد أوسع كهف في شمال العراق والمعروف **بكهف (شانديرا) الذي كان ملجأ للإنسان في العصر الحجري القديم**، إذ سكن فيه الرعاة والقبائل المتنقلة. وقد عثر في هذا الكهف على هياكل عظمية **لإنسان «النياندرتال»**. وبالقرب من منطقة (الكَلي) تم افتتاح طريق بري على قمة جبل (كورك) يصل إلى شلالات بيخال.

٤ ـ شلالات بيخال: تقع خلف (راوندوز) وتبعد عنها بنحو (١٠ كلم). تتميز بجمال مشاهدها الطبيعية، يؤمها المصطافون للتمتع بمنظر مياه الشلالات الهادرة من أعالي الجبال الرهيبة، وقضاء وقت ممتع بين الأشجار على جانبي مياه الشلالات الباردة.

٥ ـ مصيف حاج عمران: يقع على الحدود الشمالية الشرقية وإلى الشرق من **جبل (حصار وست) ـ (يبلغ ارتفاعه ٣٦٠٧ أمتار ويعتبر أعلى جبل في العراق).**

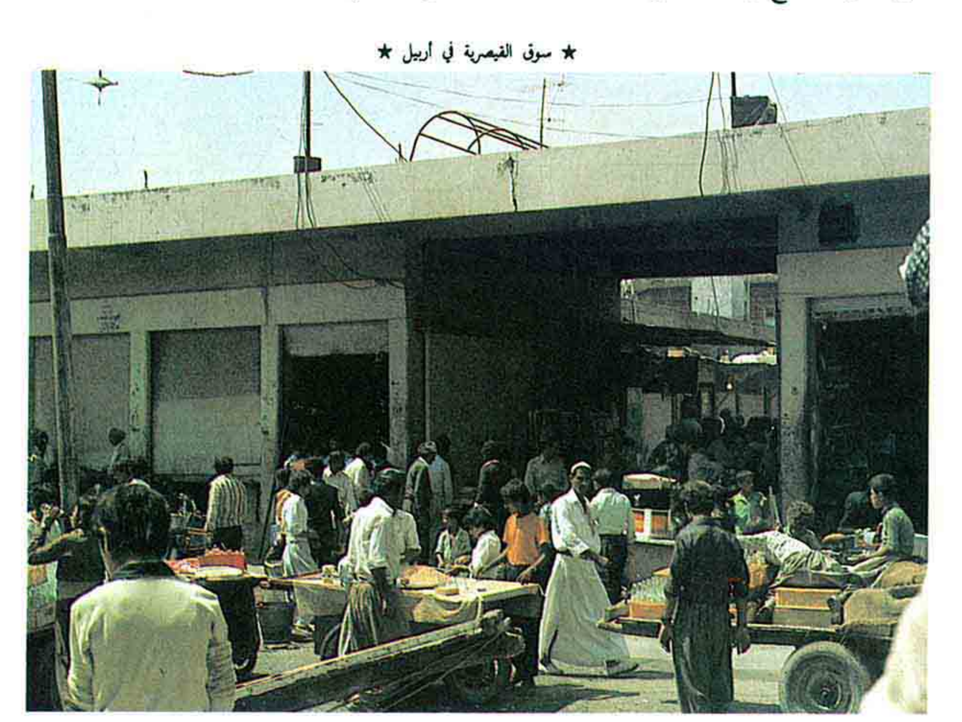
يبعد المصيف حوالي (٦٩ كلم) عن شلال (كَلي علي بك) ويبلغ ارتفاعه (١٧٨٠ م). يتميز عن بقية المصايف بشدة برودته وخاصة في الليل، واعتدال الطقس في النهار، إذ تبلغ أقصى درجات الحرارة هناك (٢٨ م) خلال النهار.

وفي موسم الشتاء تنزل درجة الحرارة إلى نحو (١٥) درجة مئوية، تحت الصفر وتتساقط الثلوج، وفي هذا الفصل يقصد السياح المنطقة للتمتع برياضة التزحلق على الجليد.

وبعد..

فأربيل اليوم مدينة حديثة عامرة، لها أهميتها التجارية والتاريخية، وتشتهر بالفواكه المتعددة التي تزرع في الجبال والقرى المجاورة، كما تشتهر هذه المدينة بلبنها وعسلها وسمنها وجبنها، دون سائر مدن العراق.

★ سوق القيصرية في أربيل ★



المراجع المعتمدة

(١) زبير بلال إسماعيل: (أربيل في أدوارها التاريخية)، مطبعة النعمان ـ النجف.

(٢) محسن محمد حسين: (أربيل في العهد الأتابكي)، مطبعة أسعد ـ بغداد، ١٩٧٦م.

(٣) م. سترك M. Streck: (دائرة المعارف الإسلامية)، ج ١، طبعة ١٩٣٣م، ـ مادة أربل ـ.

(٤) طه باقر وبشير فرنسيس: (المرشد إلى مواطن الآثار ـ الرحلة الخامسة).

(٥) وداد علي القزاز: (المنارة المظفرية في أربيل) مجلة (سومر)، مجلد (١٦) بغداد ١٩٦٠م.

(٦) كامل حسين: (التنقيب حول المئذنة المظفرية في أربيل)، مجلة (سومر) ـ مجلد (٨) ـ بغداد ١٩٦٢م.

(٧) عباس العزاوي: (إمارة أربيل)، مجلة المجمع العلمي العربي ـ مجلد (٢٢) دمشق ١٩٤٧م.

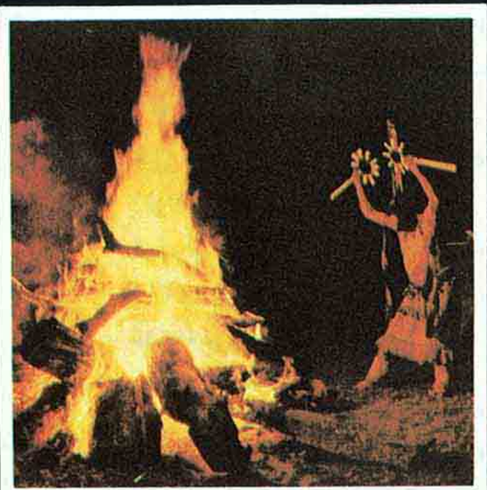
(٨) دروثي مكاي: (مدن العراق القديمة)، ترجمة يوسف يعقوب مسكوني بغداد/ ١٩٥٢م.

(٩) الدليل الرسمي العراقي لسنة ١٩٣٦م/ بغداد.

(١٠) المؤسسة العامة للسياحة: دليل السياحة في العراق. طبع في إيطاليا عام ١٩٧٨م.

(١١) تصوير/ شكور كريم وسمان الكركوكلي.







★ في الأعلى راقص النار ، وفي الأسفل العروس ، وفي اليسار الفتاة ترقص رقصة شروق الشمس ★

من عادة قبيلة (الآباش) وهي إحدى قبائل الهنود الحمر في أميريكا ، أنه لكي تنتقل الفتاة عندهم من مرحلة الطفولة إلى مرحلة الأنوثة الكاملة ، وتدخل الطور الذي ستكون فيه امرأة «آباشية» بكل ما عليها من مسؤوليات ، عليها متى بلغت عامها الرابع عشر ، أن تمارس طقوساً وشعائر قبلية مرهقة تستمر مدة أربعة أيام كاملة في احتفال كبير عام يسمّى (رقص شروق الشمس) ، وكأنه حسب تقاليدهم شروق عمر هذه البنت التي ستصير امرأة بعد قليل ، وتتحمّل مسؤولية كبيرة كونها ستكون أماً للآباش .

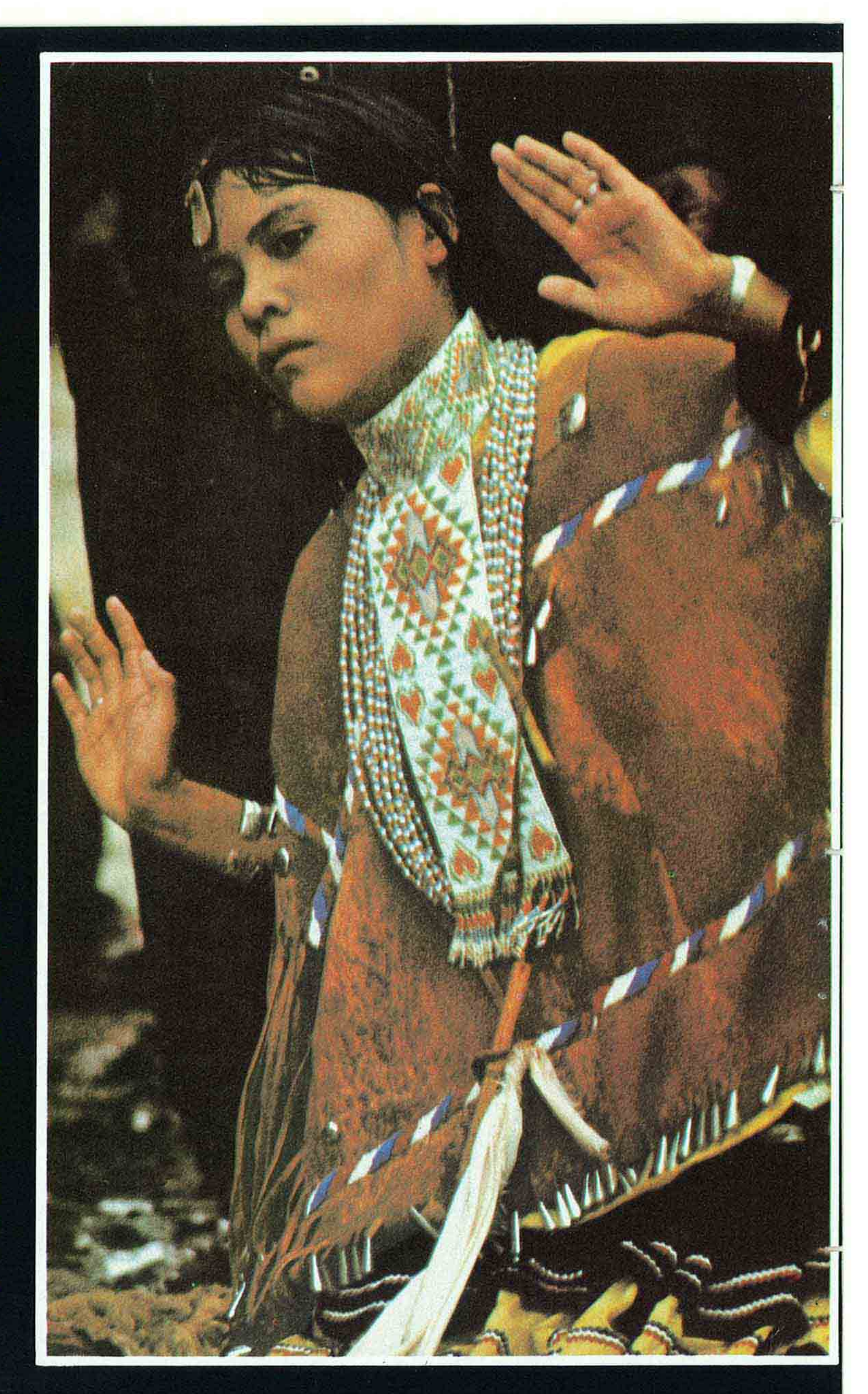
وهذه بنت هندية آباشية من قبيلة آباش الجبل الأبيض تحكي عن هذه التجربة القاسية التي عاشتها خلال أربعة أيام كاملة ، انتقلت فيها من تكوين الطفلة إلى تكوين المرأة .. فتقول :

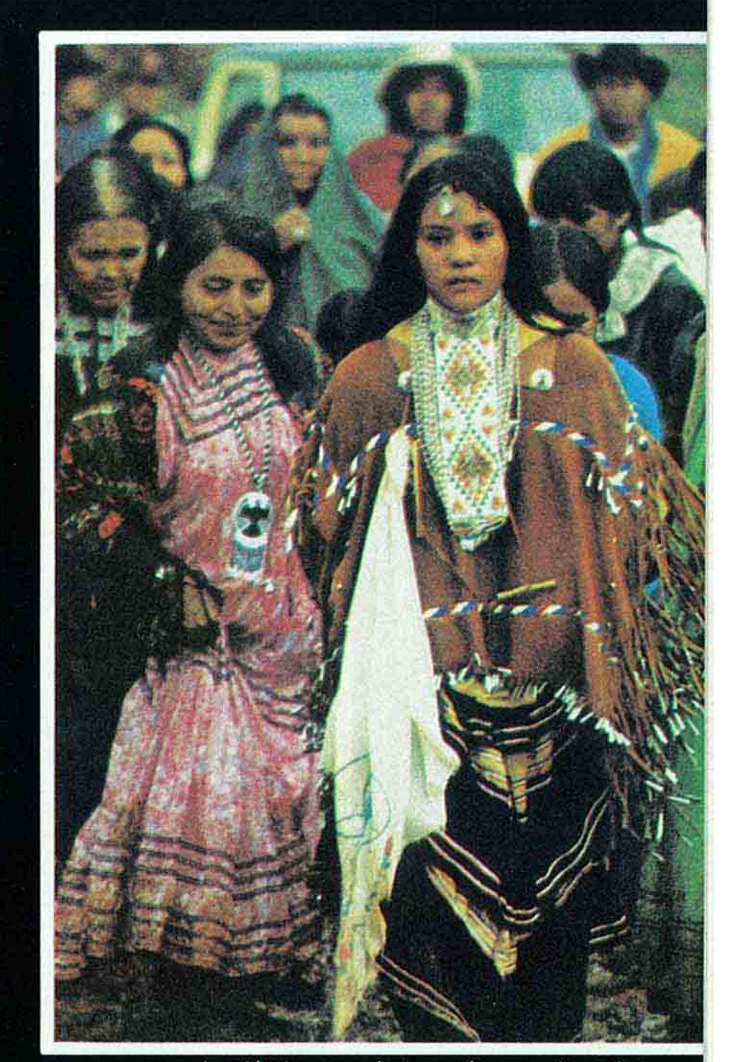
عندما اقتربت الأيام التي سأبلغ فيها عامي الرابع عشر

شعرت بارتباك وخوف ، فقد أخبرت منذ مدّة من قبل والديّ وأقاربي وأصدقائي بأنه عليّ متى اقتربت من بلوغ هذه السن أن أتهيأ نفسياً وجسدياً وروحياً لتقبّل طقوس وممارسات عنيفة تستمرّ أربعة أيام كاملة ، وبعدها أستريح من هذا العناء وأصبح امرأة قوية محميّة . وأخبرتني أمي أنه يجب عليّ أن أتحلّى بالشجاعة خلال ممارسة هذه الطقوس ، وأنه خلال ذلك ستكون لي أكثر من أم ، وأن تصرفاتي ستكون مراقبة من قبل جميع الأقارب والأصدقاء ، وختمت حديثها إليّ بقولها إني سأعيش بعدها قوية لا أضعف أمام المحن لآخر العمر ، وهكذا لم يكن عندي خيار لأن أقول لا .

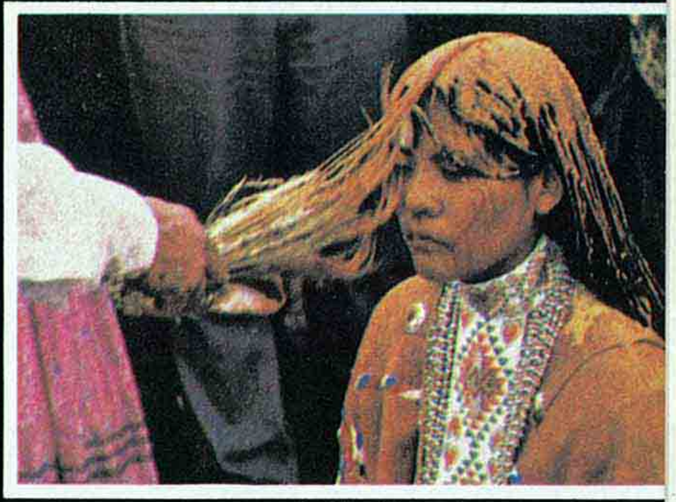
فمنذ عام ووالديّ يستعدّان ويعدّان لمقدم هذا اليوم ، فسألا أقاربنا من ذوي الخبرة ، خاصة المتقدمون منهم في السن والذين حضروا الكثير من هذه الاحتفالات أن يساعداهما بمعرفتهم الواسعة لهذه الأمور ، ولأنهما يرغبان أن يكون عيد رقص ابنتهما حافلاً وقوياً ومختلفاً عن رقص البنات الأخريات ، وأيضاً ساعدنا الرجل الطبي (العرّاف) للقبيلة في اختيار العرّابين (الكفيلين) اللذين سيرعياني خلال هذا الاحتفال الكبير ، وقد اختيرا بعناية وهما زوج وزوجة كبيران في السن وليسا من أقربائنا كما تقتضي عادات وتقاليد قبيلتنا ، وأننا دعوتهما دائماً بأبي وأمي .

وفي صباح يوم ما قبل





★ العمة «دوللي» وجمهور المتفرجين وراء العروس بعد نهاية الرقص ★



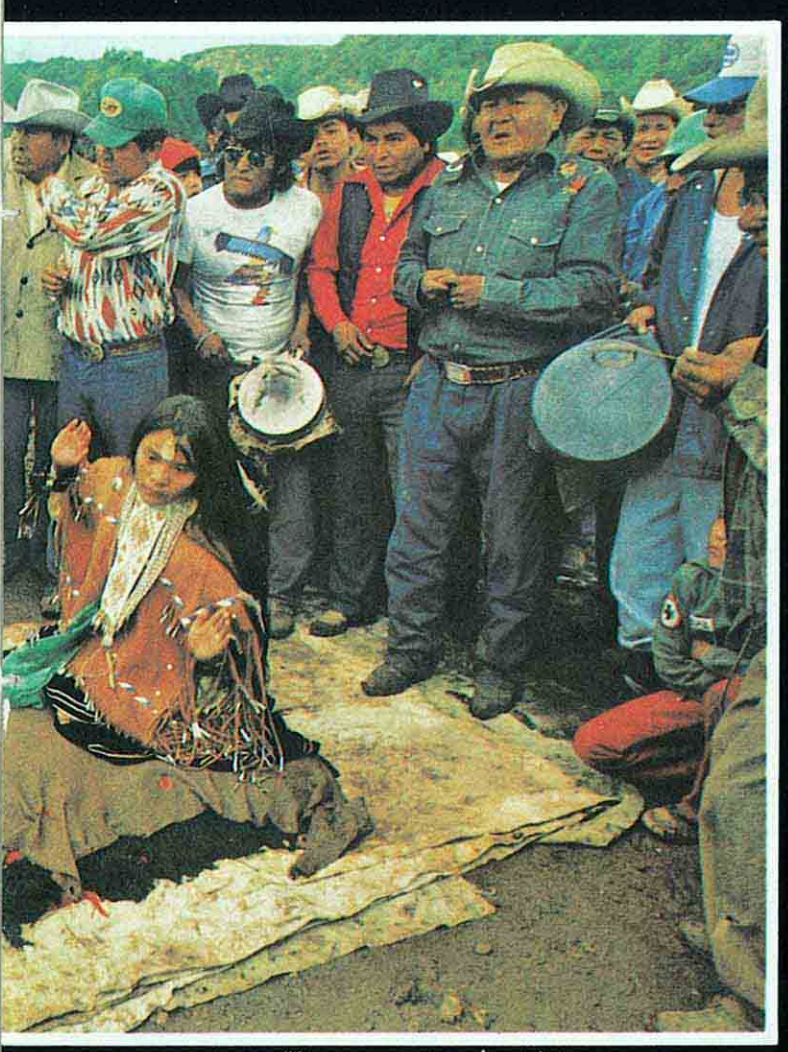
★ يدهنونها لتمنح البركة ★

الاحتفالات ، ذهب والديّ ومعهما ريشة نسر إلى العرّابة (الزوجة) واسمها (**جيرترود فوستر**) ، ووضعا هذه الريشة على أعلى قدمها اليمنى وقالا لها :

«هل تسمحين بتحضير (رقص شروق الشمس) لابنتنا القوية ؟» .

والتقطت السيدة فوستر ريشة النسر من على قدمها وقالت :

«نعم بكل سرور» .

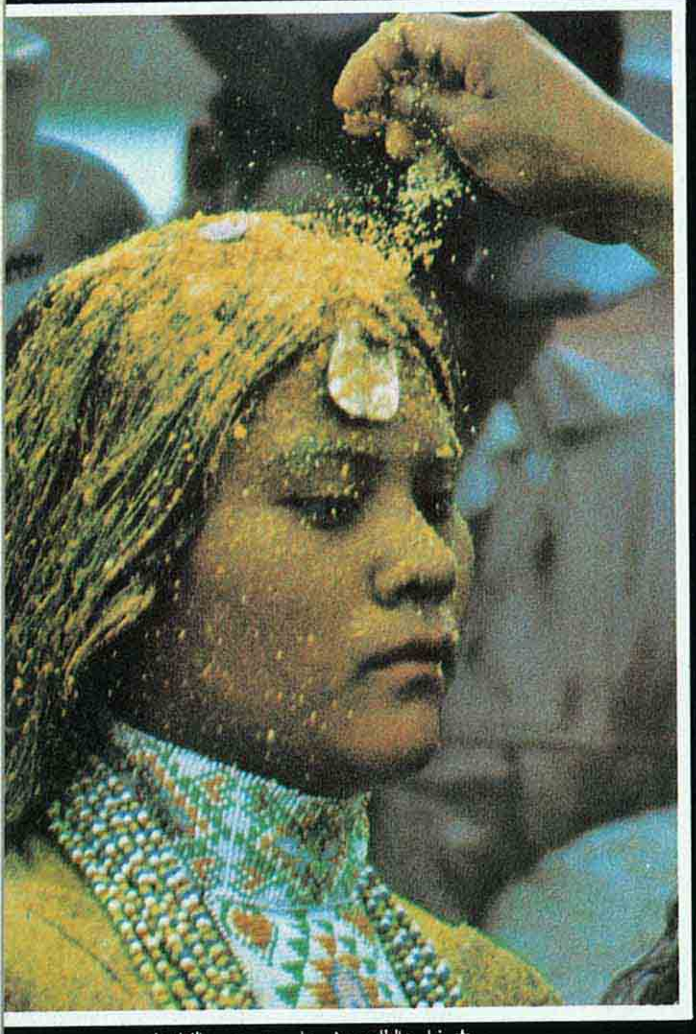


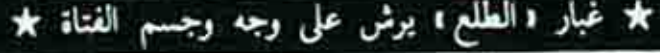
★ العراب «أمبروس فوستر» يقوم بدوره المطلوب منه ★

وكان معنى هذه الموافقة أن الاحتفالات يجب أن تبدأ غداً يوم الجمعة على أرض سوق القبيلة القومي على حافة **النهر الأبيض** حيث كانت هناك غرف معدّة ليقيم فيها كل من سيحضر هذه الاحتفالات .

وفي مساء يوم (الجمعة) بدأت الاحتفالات وحضرت عرّابتي لغرفتي وألبستني اللباس الخاص بالاحتفال وزودتني بكل معلوماتها وخبراتها عن هذه الطقوس وكل ما يلزمني لمواجهتها بشجاعة وقوة ، ثم غرزت ريشة النسر التي أخذتها من والديّ في رأسي ، وفي تقاليدنا فإن غرز الريشة هذا سوف يساعدني على أن أحيا طويلاً إلى أن يتحول شعري إلى اللون الرمادي ويشيب ، ثم وضعت قلادة هي عبارة عن قوقعة حيوان أذن البحر على مقدمة جبيني ، وهذه إشارة إلى أنه منذ هذا اليوم قد تحولت من طفلة إلى امرأة ، وأني الآن قد صرت أمًّا لكل الشعب الآباشي ، ثم دلكت جسمي بقوة شديدة تهيئة لي لتحمّل عنف الطقوس التي سأواجهها خلال أربعة أيام .. وفي الليل مكثنا لساعات طويلة حول نار كبيرة مشتعلة نتابع رقصات راقص النار الذي يمثل شخصية الروح الحامية التي سترعاني طوال مدة الاحتفال .

ويوم (السبت) كان يوم اختبار ثباتي واحتمالي للمشاق ،

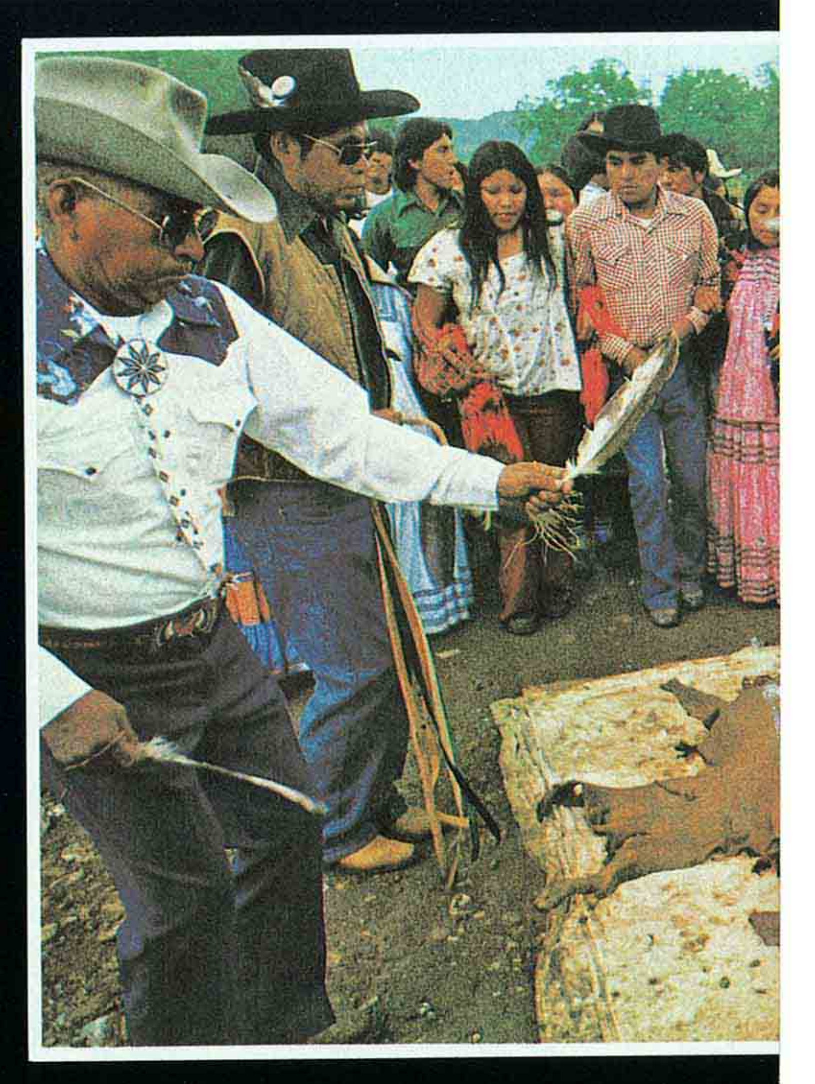




★ غبار «الطلع» يرش على وجه وجسم الفتاة ★



★ المرور تحت الخيمة رمزاً لبيت المستقبل الدائم ★



وبدأ الرجال بإنشاد التراتيم الدينية مع بدء بزوغ فجره، وكانوا يؤدون الصلوات للخالق العظيم رب السماء والكون، وأخبرتني عرّابتي بأنه عليّ أن أبدأ (رقص شروق الشمس) وأنا جاثية على ركبتي في دثاري المصنوع من جلد الغزال، وأن أكون دائماً بمواجهة الشمس، لأن هذا يمثّل وضعية امرأة الأباش وهي تطحن حبوب القمح، ثم بعد هذا حان وقت الركض والدوران السريع حول الخيزران، وبعد أن أتممت هذا الركض السريع المرهق بقوة قيل لي إنه لن يتمكن أي شخص شرير من ملاحقتي وإيذائي كل حياتي، وكانت عمتي (دوللي) التي تظهر باللباس الوردي تركض هي وعرّابتي خلفي، ورغم أن المطر هطل بغزارة وثقل لباسي عليّ أكثر وأكثر فإني لم أسقط، وتابعت الركض بسرعة وأنهيت مراسم هذا اليوم بكل قوة حتى إني لم أشعر بالتعب.

ويوم (الأحد) وجّه عرّابي (**أمبروس فوستر**) رقصي بريشتي نسر كان يحمل كل واحدة منها في يد، ثم حمل أبي الخيزران الذي ركضت حوله بالأمس ليخبئه لي إلى أن أكبر وأتقدم في السن فأستعمله ليساعدني في المشي، وسيكون هذا الخيزران وريش النسر بمثابة الوسام الذي أحتفظ به للتصرف السليم في مستقبل حياتي، والرجل الطبي (العرّاف) الذي يقف خلفي لابساً القبعة البيضاء يقود جوقة الغناء وإنشاد التراتيم الدينية بلغة الأباش الأصيلة، ورغم أني أعرف لغة قومي فإني لم أستطع أن أفهم كل ما ردّده من كلمات، وهو الآن يعلّم ابنه (بوستر) الذي يبدو بالقميص الأحمر مهنته ليصبح الرجل الطبي للقبيلة من بعده.

وفي يوم السبت هذا ويوم الأحد الذي تلاه رُششت بوابل

من غبار الطلع للنبات المائي المسمّى بـ (التيفا)، وهو عشب ينمو في البرك، بعد أن خُلط بالبودرة الصفراء اللامعة، ورش هذا الخليط على رأسي أكثر من مئة شخص كانوا يأخذونه من سلة كبيرة وضعت بقربي، والجميع كانوا يتلون الصلوات بصوت خفيض، وأنا صليت أيضاً لربي الخالق العظيم.

وأخبرتني عمتي أنه عليّ أن أنفخ في فم الطفل الذي تحمله ابنة عمتي فوق رأسها لأنني بممارستي لرقص شروق الشمس قد تملكت قوة كبيرة تستطيع أن تدخل فم الطفل وتبعد عنه الأرواح الشريرة.. وفعلت هذا.. ثم بدأ أبي بصبّ السكر والحلوى وحبوب القمح فوق رأسي، ومعنى هذا في تقاليدنا أنه سيحميني من العجز عندما أكبر وأشيخ، ثم جمعت أسرتي كل صناديق السكر والحلوى ووضعتهم خارجاً، وهذا معناه أيضاً أنه سيكون عند الآباش دائماً وفرة في الطعام.

ويوم (الأحد) بدأ عرّابي بدهني من قمة رأسي إلى أسفل حذائي المصنوع من جلد الغزال أيضاً بدهان مصنوع من مزيج من غبار طلع نبات التيفا ودقيق القمح ومسحوق أحجار ملونة بأربعة ألوان، ويعني دهني هذا أني قد مُنحت البركة والحماية من الشرور التي قد تأتي من الجهات الأربع، والأربعة رقم مهم جداً عند الآباش، وأما عن لباسي المدهون فيمكن تنظيفه ثانية وإعادة لبسه لأني أعتز به وأفتخر، ذلك لأن الكثير من الناس عملوا على صنعه.

فعمتي (منيدا) خاطت سترة جلد الغزال، وأمي قطعت من صفائح التنك حوالي (٢٠٠) خرطوشة وربطتها بخيوط تتدلى من أكمامي، وكانت تصدر عندما أسير أصوات خشخشة مثل الأصوات التي تصدر عن الأشجار عندما يهزها الريح، وعمتي (دوللي) صنعت قماش الخيمة المخملي الناعم، وعرّابتي حاكت قلادة العنق.

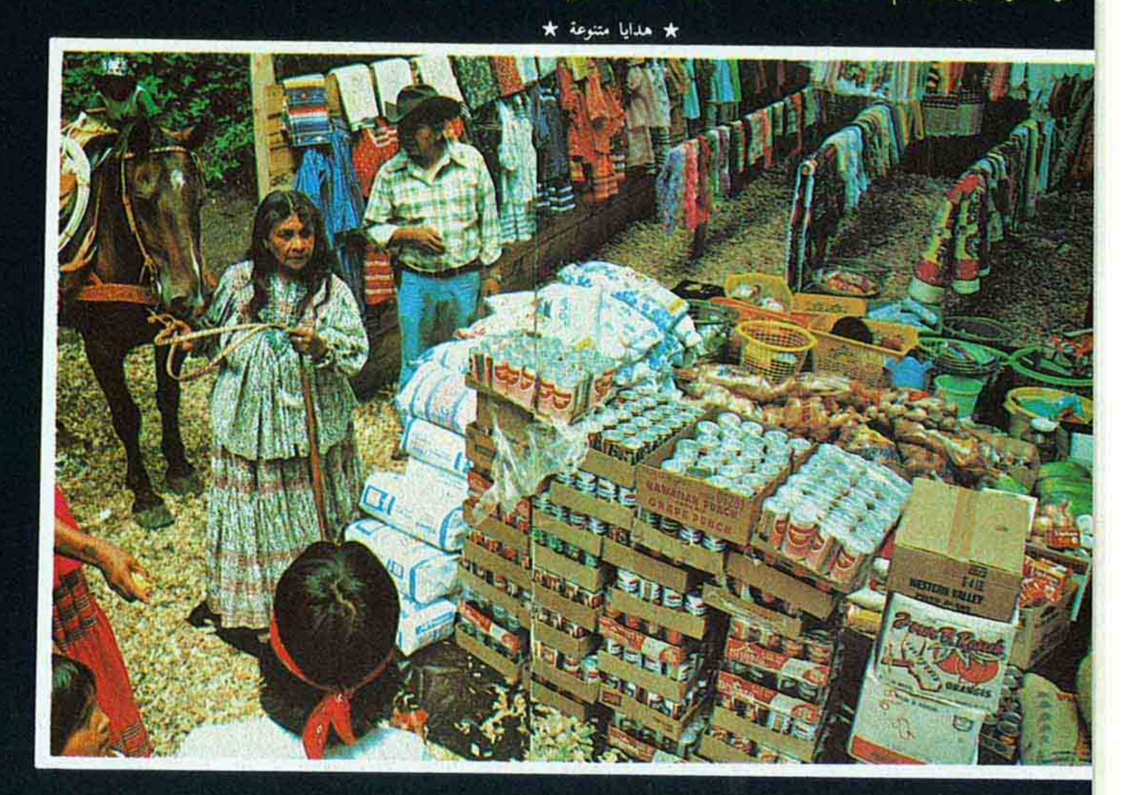
وفي الصباح الباكر نهض الرجال لنصب الخيمة المخروطية المصنوعة من الجلد، التي عبرت من خلالها وأمي ورائي وأنا أؤدي رقصة شروق الشمس عدة مرات، ومعنى هذا في تقاليدنا أنه سوف أمتلك بيتاً أقيم فيه طيلة حياتي.

ويوم (الاثنين) كان صباحه الباكر موعداً للزيارات ومنح البركة، وأخبرتني عمتي (دوللي) بأنني كنت بنتاً قوية جداً طوال أيام هذا الاختبار القاسي، وأنني لم أبك أبداً مثلما كانت تفعل أكثر البنات حين يمررن بمثل هذا الاختبار، وقد شكرت عرّابتي كثيراً على ما بذلته من تعب وجهد معي، ولكنها اعتبرته تقدمة للقبيلة وأنا لم أستغرب هذا لأني أعلم مدى الإخلاص الكبير لأفراد الآباش تجاه تقاليد قبيلتهم الأم.

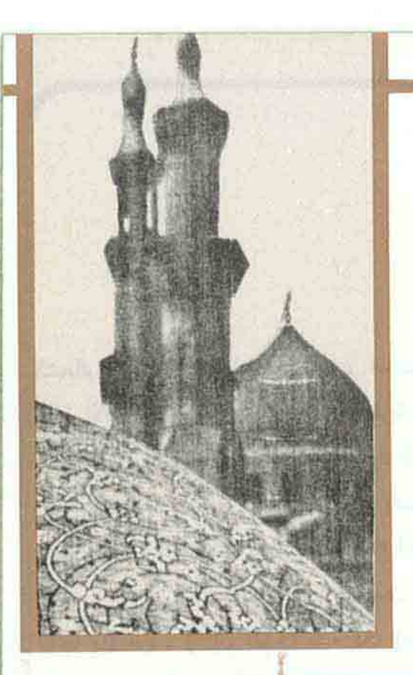
ورقصة شروق الشمس القادمة ستكون للبنت **(كارولين)**، وهي ابنة **رئيس المجلس القبلي (رويني لوبي)**، الذي قدم الهدايا مع الحصان إلى (هيلين كروكر) التي ستكون العرّابة القادمة لابنته، وقد صنع كل هذه الثياب واللحف والبطانيات أقارب كارولين.

وبالنسبة لي فقد أنهيت دراستي الثانوية، ولا أريد أن أتزوج الآن، وسألتحق بالجامعة لأكمل دراستي، وأنا أحب ممارسة الرياضة وخاصة لعبة كرة السلة وكرة الطائرة، ولكن للتسلية فقط. وإني بالفعل مسرورة جداً لأني انتهيت من اختبارات (رقصة شروق الشمس)، فقد جعلتني أقدّر مدى عناية والديّ بي وما قدما من تضحيات كبيرة من أجلي، وكيف أنهما يريدان أن يرياني أنمو وأكبر بسلام وخير، وهما الآن يعاملانني كامرأة ناضجة وطفولتي صارت حدثاً في الماضي، وإذا ما صرت أماً لبنت في المستقبل فلن أتردّد لحظة في أن أترك ابنتي تؤدي تجربة (رقصة شروق الشمس) التي ستمنحها المزيد من القوة والحماية، والتي هي من أساس تقاليد شعب قبيلتي العريقة الآباش التي نفتخر ونعتز بها.

★ هدايا متنوعة ★







السياسة والتعليم في الإسلام

بقلم: د. فاروق عبد الحميد اللقاني

كان العرب في العصر الجاهلي يعانون من التفكك السياسي والنزاع القبلي وما ولده من حروب بين قوم لم تمنع وحدتهم اللغوية معاداة كل فريق للآخر، وبظهور الإسلام بدأ البعث السياسي والروحي للأمة العربية على يد محمد عليه الصلاة والسلام، حيث استطاع أن يوحدهم في أمة واحدة، تدين بدين واحد وتخضع لحكومة مركزية قائمة بالمدينة المنورة، يدين لها جميع المسلمين بالولاء، ويعملون على رفع راية الإسلام في كل مكان، إلى أن أصبحت الأمة الإسلامية تمتد إلى الهند شرقاً وإلى المحيط الأطلسي غرباً، ومن شلالات النيل جنوباً، إلى بحر قزوين شمالاً، قبل النصف الثاني من القرن الثامن الميلادي.

وينفرد الإسلام من بين الديانات السماوية الأخرى بأنه دين ودولة في نفس الوقت.

فالإسلام كشريعة سماوية لم يفصل بين شؤون الدنيا وشؤون الآخرة، حيث إن الجمع بين مصالح الدنيا ومصالح الآخرة إنما هو أصل من أصول الإسلام، طبقاً لما جاء في القرآن الكريم **﴿ وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا ﴾** (سورة القصص، الآية ٧٧)، ولما ورد في الحديث الشريف: «ليس خيركم من ترك الدنيا للآخرة، أو من ترك الآخرة للدنيا، ولكن خيركم من أخذ من هذه وتلك». ولذلك نجد أن تعاليم الإسلام قد تناولت كلا من شؤون الحياة الدنيوية وربطتها بمصير الإنسان في الآخرة، قال تعالى **﴿ ومن كان في هذه أعمى فهو في الآخرة أعمى وأضل سبيلاً ﴾** (سورة الإسراء، الآية ٧٢). على هذا الأساس كان لا بد أن يكون حاكم المجتمع الإسلامي الجديد هو صاحب الرسالة نفسه، فإذا كان الإسلام شريعة سماوية فإن الأمر قد تطلب أن تكون هناك حكومة تقوم على تطبيق أحكام هذه الشريعة، وتوجيه الحياة في المجتمع في ضوء تعاليمها، وهو أمر تثبته الآيات القرآنية التي تشير إلى أن الإسلام عقيدة ودولة في نفس الوقت، ومنها **﴿ إنا أنزلنا إليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس بما أراك الله ﴾** (سورة النساء، الآية ١٠٥). و **﴿ فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجاً مما قضيت ويسلموا تسليماً ﴾** (سورة النساء، الآية ٦٥).

من هنا، فقد كان الرسول صلى الله عليه وسلم هو الحاكم السياسي والمعلم الأول في نفس الوقت، فهو الذي يحكم بين الناس، وهو الذي يعلمهم أمور دينهم. وقد استمر هذا الجمع بين السلطة الدينية والسلطة الدنيوية سائداً في عصر الرسول وعصر الخلفاء من بعده، بل وازدادت سلطة الخليفة الروحية في العصر العباسي بتأثير الفرس، مما أدى إلى تقوية العلاقة بين الدين والدولة في الحكم الإسلامي، وهي ظاهرة تميز بها الإسلام عن الديانتين اليهودية والمسيحية، حيث كانت السلطة الدنيوية منعزلة عن السلطة الروحية في المجتمع القائم حينذاك.

من هذا المنطلق، نجد أن النظام التربوي في الإسلام منذ ظهوره كان موجهاً لخدمة النظام الديني القائم، حيث كان الهدف الأول للتعلم هو خدمة الديانة الجديدة: فتعليم القراءة والكتابة وإنشاء المدارس، كان يستهدف إكساب الصغار للمهارة التي تمكنهم من قراءة القرآن وحفظه، وتعليم الحساب كان بهدف تمكين المسلمين من حساب الزكاة وتوقيتات



السياسة والتعليم في الإسلام



الشعائر والمواسم الدينية ، وعلم النحو استهدف حماية الأفراد من الوقوع في الأخطاء اللغوية عند قراءة القرآن الكريم ، وبالمثل كانت علوم الفقه والحديث والتفسير تعلم لتبصير المسلمين بشؤون دينهم ودنياهم ، وبذلك كان الاتجاه العام للنظام التعليمي اتجاهاً دينياً ، يقوم على الجمع بين أمور الدنيا والآخرة ، إذ إن الهدف منه كان إعداد الأفراد للحياة الدنيا والآخرة على حد سواء . هذا الجمع بين الدين والدنيا نجده ينعكس أيضاً في نظرة المعلمين إلى عملهم ، حيث كانوا يترفعون عن أخذ أجر مقابل التعليم ، على أساس أن التعليم (وما تميز به من طابع ديني) كان يستهدف من ورائه التقرب إلى الله ، فهم يعلمون الناس في الدنيا أمور دينهم ودنياهم من أجل تحقيق سعادتهم في الحياة الآخرة .

وإذا كان «علم السياسة (أو علم القانون الدستوري والأنظمة السياسية) ليس فحسب علم البحث عن الحقيقة، إنما هو كذلك ــ بل وقبل ذلك ــ علم البحث عما هو نافع للمجتمع» ، فإننا نجد أن النظام الإسلامي القائم في المجتمع كان يستهدف خدمة جميع المسلمين ، بالعمل على توفير نوع من التعليم يحقق للأفراد صالحهم في دنياهم وأخراهم ، على أساس من الشريعة السماوية التي لم تفرط في الكتاب من شيء .

نظام الحكم في الإسلام :

إن القرآن ، وهو الأصل الأول والمصدر العام للإسلام ، لم يأت فيما يتعلق بنظام الحكم (أي الشؤون الدستورية) إلا بالمبادئ العامة الأساسية ، دون تعرض للتفصيلات والأساليب والجزئيات التي بطبيعتها تتطور وتتغير بتغير ظروف الزمان والمكان ، وذلك كما يقول الشيخ خلاف (لتراعي فيها كل أمة ما يلائم حالها وتقتضيه مصالحها) ، وكما يقول الشيخ شلتوت (إن تفصيل ما لا يتغير، وإجمال ما يتغير) إحدى الضرورات التي تقضي بها ويتطلبها خلود الشريعة ودوامها . فالإسلام إنما جاء في ميدان شؤون الحكم بمبادئ عامة ، تسمح عموميتها ومرونتها بالتطبيق في صور وبأساليب مختلفة بما تقتضيه مختلف ظروف الزمان والمكان . فالإسلام لم يأت بنظام معين من أنظمة الحكم . إن فرض نظام معين من أنظمة الحكم (كنظام الخلافة أو غيره) في كافة العصور وكافة الأقطار ، إن لم يكن يعد ضرباً من ضروب المحال ، فهو يؤدي ــ بالأقل ــ إلى الحرج الذي رفعه الإسلام عن المسلمين «على هذا الأساس ، نقوم في الجزء التالي بعرض بعض المبادئ العامة ، الخاصة بنظام الحكم في الإسلام ، أو ما يسمى حديثاً بالشؤون الدستورية ، موضحين كيف انعكست هذه المبادئ العامة على طبيعة النظام التعليمي الإسلامي وتأثيرها على الخطوط العريضة للسياسة الموجهة للتعليم عند المسلمين .

أولا ــ مبدأ الشورى :

«يعد مبدأ الشورى أهم المبادئ الدستورية التي يقوم عليها نظام الحكم في الإسلام» ، وإذا كنا نجد خلافاً بين علماء الشريعة حول بيان المبادئ ، فإن مبدأ الشورى كان موضع اتفاق الجميع ، كما كانوا يضعونه دائماً من تلك المبادئ على رأسها . ويتفق هذا مع ما تضمنته تعاليم الإسلام المستمدة من القرآن الكريم والحديث الشريف ، من أدلة على حجية الشورى في الإسلام ، ففي القرآن الكريم نجد أن هناك سورة بأكملها تسمى سورة الشورى ، التي يقول تعالى في إحدى آياتها ﴿ **وأمرهم شورى بينهم** ﴾ ، كما أمر الله تعالى رسوله بأن يسير على هذ المبدأ في حكمه للمسلمين قائلاً ﴿ **وشاورهم في الأمر** ﴾ ، وإذا نظرنا بعد ذلك إلى أقوال الرسول وأعماله نجد أنها تتفق مع هذا المبدأ ، ففي غزوة بدر أخذ برأي أصحابه عند اختيار المكان الذي ينزل فيه المسلمون ــ وهو القريب من الماء ــ سائراً بذلك على المبدأ الذي نادى به وهو «ما ندم من استشار ولا خاب من استخار» .

وإذا كانت «المندوبة» في علم الأصول تعرف بأنها الفعل الذي يحمد فاعله ولا يذم تاركه ، فإن علماء المسلمين يجمعون على أن الشورى لا تمثل «مندوبة» بل هي فرض واجب محتوم ، ويستندون في ذلك إلى الأدلة التالية :

١ ــ إن القرآن الكريم قد أشار إلى الشورى في آيتين : ففي إحداهما قد وضع الشورى إلى جانب ركنين هامين من أركان الإسلام ، (هما الصلاة والزكاة) حتى لكأنه يعدها بالنسبة للمسلم المؤمن إحدى صفاته أو شرائطه الأساسية . وفي الآية الثانية نجد الله قد وجه الخطاب إلى الرسول بأن يلجأ إلى الشورى بصيغة الأمر ، إذ قال تعالى ﴿ **وشاورهم في الأمر** ﴾ .

٢ ــ يستندون إلى ما كان معروفاً عن الرسول من كثرة التجائه إلى الاستشارة وكذلك كان شأن كل من أبي بكر وعمر . وقد كان عمر إذا نزل به الأمر لا يبرمه قبل أن يلجأ إلى المشورة ، وكان يقول : «لا خير في أمر أبرم من غير شورى» .

إذا بحثنا بعد ذلك عن العلاقة بين هذا المبدأ الأساسي في نظام الحكم في الإسلام وبين التعليم ، نجده يتمثل في موقف الإسلام من العلم وتقديره للعلماء . فنظراً لما هو معروف من أنه لا فائدة تجنى من وراء الاستعانة بمصادر الجهل ، فقد حثت تعاليم الإسلام المستمدة من القرآن الكريم ومن السنّة النبوية الشريفة على نشر العلم

وتقدير العلماء . فمن الآيات الخاصة بهذا المعنى ، قوله تعالى ﴿ **وقل رب زدني علماً** ﴾ وقوله ﴿ **هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون** ﴾ . وفي حديث قدسي « يبعث العابد والعالم يوم القيامة ، فيقال للعابد : أدخل الجنة ، ويقال للعالم : قف ، حتى تشفع للناس كما أحسنت أدبهم » . وإذا نظرنا إلى أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم نجد منها ما يدفع المسلمين إلى طلب العلم والبحث عنه في كل مكان ، حيث قاموا بنقل الفلسفة اليونانية إلى اللغة العربية وسافر المترجمون إلى مختلف أنحاء الإمبراطورية الإسلامية بحثاً عن المخطوطات لترجمتها إلى العربية ، ويرتبط بهذا أيضاً ما عرف عن الرسول صلى الله عليه وسلم من حثه للصحابة على تعلم لغة أجنبية ، ومنها « أقرب الناس من درجة النبوة أهل العلم وأهل الجهاد » ، و« يوم القيامة يوزن مداد العلماء بدماء الشهداء » ، و« لا خير في من كان من أمتي ليس بعالم ولا متعلم » .

وإذا نظرنا إلى ممارسات الرسول صلى الله عليه وسلم ، نجده كان يطلق سراح الأسرى من المتعلمين مقابل أن يعلم كل منهم عشرة من المسلمين الأميين القراءة والكتابة .

من أجل هذا فقد حرص المسلمون على نشر العلم والتعليم ، لمساندة مبدأ الشورى ، عن طريق إتاحة الفرص لكل فرد لكي يصل إلى درجة من العلم تؤهله ـ حسب قدراته وإمكاناته ـ لأن يشارك ضمن أهل الشورى على أساس من العلم والمعرفة . ولهذا فقد كان الخلفاء يقربون إليهم العلماء ، ويغدقون عليهم بسخاء ، مما دفع الكثيرين إلى طلب العلم ، « فإن أهل الشورى في الإسلام لم يكونوا عامة الناس أو غالبيتهم ، إنما هم قلة ممن تتوافر فيهم شروط خاصة من العلم والصلاح » ، فقامت لذلك حركة هائلة لنشر التعليم ، حتى أصبح في القرن الثاني الهجري بكل قرية كتاب ، بالإضافة إلى ما كان يتم من تعليم ابتدائي في قصور الخلفاء لتأهيل أبنائهم لمهام الحكم ، كما كانت حوانيت « الوراقين » مراكز علمية لعقد الندوات والمناظرات بين العلماء والأدباء والفقهاء ، بل وقامت الحلقات التعليمية في المنازل أسوة بما كان يقوم به الرسول صلى الله عليه وسلم من تعليم الصحابة لمبادئ الدين في دار « الأرقم بن أبي الأرقم » ، وفي العصر الأموي ظهرت الصالونات الأدبية وازدهرت في العصر العباسي وأصبحت مراكز للعلوم والآداب والفنون ، كما ازدهرت العلوم النقلية في العصر الأموي ، والعلوم العقلية في العصر العباسي ، إلى أن انهارت هذه النهضة العلمية بعد عصر « الواثق » نتيجة لتدهور الوضع السياسي .

هذا وقد تأثرت حركة التعليم في العصور الإسلامية المختلفة بالاتجاه المذهبي السياسي للنظام الحاكم ، الذي اتخذ من التعليم وسيلة للتشكيل السياسي للمسلمين وفق اتجاهاته ومعتقداته . ففي عهد الفاطميين كانت المؤسسات التعليمية تستهدف الدعاية لأيديولوجيتهم الدينية ، حيث أقاموا الجامع الأزهر في عهد الخليفة المعز لدين الله الفاطمي للدعاية للمذهب الشيعي ، كما كانت السياسة التعليمية في عهد صلاح الدين الأيوبي ، تقوم على محاربة المذهب الشيعي والدعاية للمذهب السني ، كما كان « نظام الملك » ـ مؤسس نظام المدرسة قبل منتصف القرن الخامس الهجري ـ يتخلص من الأساتذة الشيعيين ليحل محلهم غيرهم من السنيين ، وكانت المدرسة تهتم بتدريس الفقه الإسلامي وفقاً لأحد المذاهب الإسلامية الأربعة .

وقد قامت على أنقاض البويهيين والفاطميين ، وهما من أنصار الشيعة ، دولتا السلاجقة والأيوبيين ، وهما من أهل السنة ، ولذلك أقام السلاجقة والأيوبيين مدارس لتقاوم ما غرسه أهل الشيعة من عقائد ، بالإضافة إلى نشر المذهب السني . وكان من بين فئات الدارسين بالأزهر فئة من المهتمين بالشؤون الدينية والأدبية والسياسية ، وهؤلاء كانوا يشتركون في ندوات خاصة سميت « مجالس الحكمة » وكان يرأسها مسؤول ديني وسياسي أطلق عليه اسم « داعي الدعاة » .

وفي مجال تأثر العلم باتجاهات الهيئات الحاكمة يقول سعد مرسي : ولعل الموقف السياسي الداخلي كان يدفع الحكام إلى سلوك معين . فقد قامت الدولة العباسية على أنقاض دولة بني أمية ، وكانت لها عظمة ليس من السهل إخلاء عقول الناس منها ، كما أن هناك الشيعة الذين يرون أن أحق الناس بالخلافة هم آل أبي طالب ، وأن آل العباس اغتصبوا الخلافة منهم ، هذا إلى جانب مذاهب دينية في الظاهر وسياسية في الباطن ، كالخوارج والمرجئة . ولهذا فقد تلون التاريخ بما يرضي السلطات الحاكمة . . . حتى في الفقه عمل بعض الفقهاء على التوسع في الحيل الشرعية إرضاء لمطالب الخلفاء ، وفي النحو واللغة تدخل العباسيون أيضاً ؛ فعندما احتدم النزاع بين البصريين والكوفيين أخذ العباسيون جانب الكوفيين .

ويتفق هذا مع ما سبق أن أشرنا إليه من أن التعليم يعمل دائماً في إطار سياسي يستهدف خدمة النظام السياسي القائم في المجتمع ، عن طريق تشكيل الأفراد وفقاً للمبادئ والاتجاهات والمعتقدات السائدة في ذلك النظام على نحو يساعد على تحقيق التكيف مع فلسفة نظام الحكم القائم في المجتمع .



ثانياً : مبدأ المساواة :

إن ثاني المبادئ الدستورية في الإسلام هو مبدأ المساواة الذي يعكس روح العدالة التي ميزت الحكم الإسلامي الذي قام على أساس إعادة تشكيل العلاقات بين الناس على أسس جديدة لم يتعودها العرب من قبل ، فقد كانت حياتهم في العصر الجاهلي تتسم بالتعصب القبلي وتسودها روح الاعتزاز بالانتماءات والتفاخر بالأنساب والألقاب فجاء الإسلام منادياً بالمساواة بين جميع البشر ، وليجعل أساس التمايز قائماً على أساس العلم والتقوى ، تمشياً مع قوله تعالى ﴿ **يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم** ﴾ ، (سورة الحجرات ، الآية ١٣) ، و ﴿ **إنما المؤمنون إخوة** ﴾ (سورة الحجرات ، الآية ١٠) ، كما ورد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قوله : « ليس لعربي على عجمي ، ولا لعجمي على عربي ، ولا لأحمر على أبيض ، ولا لأبيض على أحمر فضل إلا بالتقوى » . ولما كانت المفاضلة بين المسلمين تقوم في الاتجاه الجديد على أساس التفاوت بين الأفراد في مجال العلم والتقوى والخلق ، فقد حرص المسلمون على تحصيل العلم حتى ترتفع مكانتهم ومركزهم الاجتماعي بقدر ما يحصلونه منه ، حيث كانت طبقة العلماء هي أرفع الطبقات مكانة في الدولة ، تمشياً مع ما جاء في القرآن الكريم ـ دستور المسلمين ـ في قوله تعالى ﴿ **يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات** ﴾ (سورة المجادلة ، الآية ١١) . وقوله تعالى ﴿ **ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات** ﴾ (سورة الزخرف ، الآية ٣٢) . وقوله تعالى ﴿ **ولكل درجات مما عملوا** ﴾ (سورة الأنعام ، الآية ١٣٢) . ويتفق هذا المبدأ مع طبيعة الإسلام باعتباره رسالة للناس كافة ، حيث يقول تعالى في كتابه الكريم ﴿ **وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين** ﴾ (سورة الأنبياء ، الآية ١٠٧) ، وقد انتشر الإسلام بين مختلف الشعوب والأقوام ، مازجاً بين مختلف الأجناس والألوان تحت راية العقيدة الجديدة ، فكان طبيعياً أن ينادي رسول الإسلام بأن الناس سواسية كأسنان المشط ، لكي يحرص الجميع على الاجتهاد في العمل والتقوى وتحصيل العلم ، بعد أن أصبح التمايز بين الناس قائماً على أساس الأعمال لا الأنساب والانتماءات .

وفي إطار هذا المبدأ ، امتدت روح المساواة لتشمل الجنسين في مجال حق التعليم ، فالحديث الشريف ينص صراحة على أن « طلب العلم فريضة على كل مسلم » [سواء كان ذكر أو أنثى] ، مما يشير ـ ليس فقط إلى حق المرأة في أن تتعلم ، بل وإلى واجبها أيضاً في أن تعلم الآخرين ، والتاريخ الإسلامي مليء بالشواهد التي تدل على أن النساء المسلمات كن يعلمن الرجال والنساء ، ويجزن لكلا الفريقين .

ويتجلى مبدأ المساواة في التعليم في أن جميع المؤمنين كان يتاح لهم الدخول إلى معاهد العلم الإسلامية ، فلم تكن المعاهد مؤسسة وفقاً لنظام طبقي ، بل كانت المعاهد الإسلامية مفتوحة لجميع المسلمين ، غنيهم وفقيرهم على السواء ، كما بذلت الجهود لإزالة العوائق المادية التي قد تحول دون تحقيق مبدأ تكافؤ الفرص التعليمية ، وحبس العرب الضياع والممتلكات على المدارس للإنفاق منها على المعلمين والتلاميذ حتى لا يكون العامل المادي عائقاً أمام الفقراء للتمتع بحقهم في تحصيل العلم .

إن الإسلام دين ودولة ، قام نظام الحكم فيه على أساس إسلامي ، والهدف الأسمى للنظام هو نشر الدين الإسلامي ، ولما كانت اللغة العربية هي لغة الدين الجديد ، فقد انتشرت هذه اللغة بقدر انتشار الإسلام بين مختلف الشعوب والأجناس ، باعتبارها اللغة الرسمية في الدولة ، ولغة الدين ، ولغة التعليم ، كما كان الجنود العرب ينظرون إلى مهمتهم على أنها مهمة دينية تعليمية بالدرجة الأولى ، ومن ثم فقد كانوا يتولون تعليم أبناء البلاد المفتوحة للدستور الإسلامي المتمثل في كتاب الله ، ويبصرونهم بشؤون وتعاليم الديانة الجديدة ، مما جعل الطابع العربي الإسلامي هو المميز للنهضة التعليمية في مختلف أرجاء العالم الإسلامي .

ولما كان نظام الحكم الإسلامي يقوم في مبادئه على أساس تعاليم الدين ويستهدف نشره بين الجميع ، فمن هنا حرص النظام على إتاحة كافة الفرص لكي يتعلم الجميع مختلف جوانب هذا الدين ، « فالإسلام لا كهانة فيه ولا وساطة فيه بين الخلق والخالق ، وليس في الإسلام ـ كما يقول الأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده ـ ما يسمى عند قوم بالسلطة الدينية بوجه من الوجوه . فإن لكل مسلم أن يفهم عن الله من كتاب الله ، وعن رسوله من كتاب رسوله بدون توسيط أحد من سلف ولا خلف ، وإنما يجب عليه قبل ذلك أن يحصل من وسائله ما يؤهله للفهم » . لذلك فقد أقبل الجميع على تعلم الدين الجديد ، وسادت المناهج التعليمية العلوم الدينية التي يتمثل محورها في تعليم وتحفيظ القرآن الكريم وما يخدمه من علوم أخرى ، ولهذا السبب أيضاً فقد بدأت المدارس في المساجد ، بل واتسمت طرق التدريس بالمساجد بالطابع الديني : « فمنذ أن جلس النبي صلى الله عليه وسلم في المسجد معلماً ، صار التقليد

أن يجلس العلماء وحولهم المستمعون ، وهذا هو نظام الحلقات الذي انتشر في ربوع العالم الإسلامي ، فكان العالم يجلس إلى أحد الأعمدة في الجامع ، متكئاً عليه بظهره ، ومتجهاً إلى القبلة ، وحوله الطلبة في حلقة . . . وكان العالم أو الشيخ يبدأ الدرس بالبسملة والحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ، ثم يقرر الدرس بالدقة ، ثم يختمه » .

ثالثاً : مبدأ الحرية :

إن مبدأ الحرية يمثل ثالث المبادئ الأساسية العامة التي أتى بها القرآن الكريم فيما يتعلق بنظام الحكم ، فقد كفل الإسلام جميع أنواع الحريات لكل من تظلهم راية الحكم الإسلامي ، فمن ناحية الحرية الشخصية ، التي تشمل في تعريف الفقه الدستوري الحديث ثلاثة حقوق أو حريات ، هي حرية التنقل وحق الأمن ، وحرية المسكن ، نجد أن أحكام الإسلام قد كفلتها جميعاً : فبالنسبة لحرية التنقل نجد أن النفي أو الإبعاد إنما يعد عقوبة لم يذكرها القرآن الكريم إلا جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون في الأرض فساداً ﴿ **إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون في الأرض فساداً أن يقتلوا أو يصلبوا أو تقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف أو ينفوا من الأرض** ﴾ (سورة المائدة ، الآية ٣٣) . والإسلام يسمح بتحديد أو تقييد هذه الحرية بما يقتضيه الصالح العام ، فالخليفة عمر ابن الخطاب كان يحرم على الصحابة وأهل الرأي مغادرة المدينة ، إلا لولاية يتولونها أو لقيادة جيش يقودونه ، أي لأنه يريد أن ينتفع بهم وبآرائهم في حكم المسلمين . وبالنسبة لحق الأمن ، فالإسلام يكفل حق الأمن بما قرره من عقوبات تشمل ما هو معروف بالحدود ﴿ **فلا عدوان إلا على الظالمين** ﴾ (سورة البقرة ، الآية ١٩٣) . و ﴿ **فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم** ﴾ (سورة البقرة ، الآية ١٩٤) . وبالنسبة لحرمة المسكن كفلها الإسلام في الآية الكريمة ﴿ **يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوتاً غير بيوتكم حتى تستأنسوا وتسلموا على أهلها** ﴾ (سورة النور ، الآية ٢٧) . وإذا انتقلنا بعد ذلك إلى حرية الرأي ، نجد أن الإسلام كفل للفرد حرية إبداء الرأي ، طبقاً لما ورد في دستور الإسلام ، ﴿ **ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر** ﴾ (سورة آل عمران ، الآية ١٠٤) ، و ﴿ **ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن** ﴾ (سورة النحل ، الآية ١٢٥) ، ولما جاء في الحديث الشريف : « أفضل الجهاد كلمة حق عند سلطان جائر ، وإن كل مجتهد مأجور : إن أخطأ فله أجر ، وإن أصاب فله أجران » . فالمثوبة على الاجتهاد ، حتى في حالة الخطأ ، دليل على أن الإسلام يقدر حرية الرأي ويحث على إبدائه . وبالمثل نجد أن حرية العقيدة الدينية قد كفلها الإسلام ، ويقصد بها حرية غير المسلم في اعتناق الدين الإسلامي ، وحرية إقامة شعائره الدينية ، كما تعني أن يكون إيمان المسلم عن طريق البحث والنظر والتأمل ، لا عن طريق مجرد التقليد للآباء ، ويستدل على هذا ما ورد في القرآن الكريم ﴿ **أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين** ﴾ (سورة يونس ، الآية ٩٩) ، و ﴿ **لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي** ﴾ (سورة البقرة ، الآية ٢٥٦) ، و ﴿ **أو لم ينظروا في ملكوت السموات والأرض** ﴾ (سورة الأعراف ، الآية ١٨٥) ، و ﴿ **وإذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله قالوا بل نتبع ما ألفينا عليه آباءنا أو لو كان آباؤهم لا يعقلون شيئاً ولا يهتدون** ﴾ (سورة البقرة ، الآية ١٧٠) .

وعندما نحاول فحص العلاقة بين هذا المبدأ وبين المناخ التعليمي السائد عند المسلمين نجد أن مبدأ الحرية يترك بصماته على أكثر من مجال في الميدان التعليمي : فالمعاهد الإسلامية لم تخضع لنظام مركزي في التربية والتعليم ولم يكن هناك تدخل من جانب الحكومة في مجال التعليم في البداية ، حيث كان الحماس الديني يدفع الأفراد إلى تقديم المنح لبناء المساجد والمكتبات . كما اهتم الولاة أيضاً بمجال العلم والأدب والمناظرات ، وكانوا يجتذبون العلماء على اختلاف مذاهبهم وآرائهم للاستماع إليهم .

وفي العصر العباسي ، نجد أن العلماء قد تمتعوا بقدر من الحرية وإبداء الرأي ساعد على تحقيق تقدم علمي مذهل ، فبعد أن أصبحت بغداد ـ المتاخمة للفرس ـ عاصمة للدولة العباسية ، نزح إليها كثير من علماء الفرس ، شجعهم الخلفاء على طلب العلم ، كما لم يبخل ولاة المسلمين على العلماء في الأراضي التي كانت خاضعة للحكم الروماني من قبل ، وتمتع هؤلاء العلماء بالحرية التي يعشقها محب العلم ، كما هيأ لهم الاستقرار السياسي والرخاء الاقتصادي كل الفرص الممكنة .

وكان الخلفاء الراشدون والأمويون والعباسيون يجادلون الخوارج والنصارى واليهود والصابئة والمجوس بالتي هي أحسن ، كما تجلى مبدأ الحرية في ميدان الدراسة بالمساجد : فكان الطالب هو الذي ينقل نفسه من مرحلة دراسية إلى أخرى ، ولم يكن هناك حد للسن أو للبقاء في مرحلة دراسية ، وكان للطالب أن ينتقل من حلقة إلى أخرى حسبما يسمح نشاطه ، وعلى أساس عدد العلوم التي يرغب في دراستها .

و.. للحديث شجون





بقلم:
عبد العزيز الرفاعي

وساقنا الحديث عن الفيروزآبادي صاحب القاموس المحيط.. إلى ذكر الفاسي، مؤلف (العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين).. وهو غير الفاسي الشركي الصميلي (ت ١١٧٥هـ).

فقد ترجم الفاسي للفيروزآبادي، بحسبانه نزيلاً بمكة المكرمة، وجاءت ترجمته مرجعاً يعتد به لأهميتها.. (الترجمة رقم ٤٨٨).

وقد لفت نظري في هذه الترجمة أشياء أذكرها فيما يلي:

١ ـ أن الفيروزآبادي أخذ في مكة المكرمة عن إمامها خليل بن عبد الرحمن المالكي، وقاضيها تقي الدين الحرازي، ونور الدين علي بن الزين القسطلاني قرأ عليه الموطأ لمالك رواية يحيى بن يحيى وغيرهم.

٢ ـ أن بعض معاصري الفاسي وأصحابه من المكيين قرأ عليه ببستانه بنخل ربيد، فعلمنا أن له بستاناً بمكة أو ضواحيها يحمل هذا الاسم.

٣ ـ أن الفاسي ينقده ويقيمه تقيماً معتدلا في مواضع من ترجمته له كأن يقول: كانت له بالحديث عناية غير قوية، وكذا بالفقه، وله تحصيل في فنون من العلم ولا سيما اللغة، فإن له فيها اليد الطولى وألف فيها تواليف حسنة منها القاموس المحيط، ولا نظير له في كتب اللغة.. لكثرة ما حواه من الزيادات على الكتب المعتمدة كالصحاح وغيرها.. وبينما نرى الفاسي يذكر أن عنايته بالحديث غير قوية، يقول نصر الهوريني (ت ١٢٩١هـ): «واعتنى بالحديث جداً».

ونقد الفاسي كتابه (إثارة الحجون لزيارة الحجون)، فقد أخذ عليه أنه ترجم لعدد من الصحابة على أنهم دفنوا في الحجون، بينما لم ير الفاسي في تراجمهم التصريح بدفنهم في مكة أو أنهم دفنوا بالحجون.. وإذا كان بعضهم قد دفن بمكة حقاً فلا يلزم أن يدفن في الحجون، فالناس كانوا يدفنون بمقبرة المهاجرين بأسفل مكة (لعله يقصد مقبرة الشبيكة) وبالمقبرة العليا بأعلاها (لعلها مقبرة المعلاة) وربما دفنوا في دورهم.

٤ ـ أن الفاسي وقف على إجازة بخطه، لبعض أصحابه (أصحاب الفاسي) سرد فيها عدداً من تواليفه.. وقد أوردها الفاسي كلها كما وردت في تلك الإجازة (للفائدة).

٥ ـ أنه أورد اسم القاموس المحيط كاملاً وهو (القاموس المحيط والقابوس الوسيط، الجامع لما ذهب من لغة العرب شماطيط).. وقد جاء الفيروزآبادي بهذا الاسم كاملاً في ختام كتابه.

٦ ـ أنه أفاد بأن له شعراً كثيراً، وإن كان قد نقده بقوله: «في بعضه قلق، لجلبه فيه ألفاظاً لغوية عويصة».

٧ ـ قال عنه إنه كثير الاستحضار لمستحسنات من الشعر والحكايات.. وهذا على ما يبدو جعله أنيس المجلس.. فلا غرو إن وجد حظاً عند الملوك والرؤساء.. حتى لدى تَمُورلنك.

٨ ـ كما قال عنه إن له خطاً جيداً مع الإسراع في الكتابة.

٩ ـ أفاد أنه سريع الحفظ، وأنه قال عن نفسه: «ما كنت أنام حتى أحفظ مائتي سطر».

١٠ ـ من ترجمة الفاسي له، علمنا أنه عاصره وكذلك عاصر ابن حَجَر.. أي أن كلاً من

الفيروزآبادي ، والفاسي ، وابن حجر ، كانوا متعاصرين .. وهم جميعاً من كبار المؤلفين .. أو من كبار الموسوعيين . فالفاسي ، هو صاحب الكتابين الكبيرين : (العقد الفريد) و(شفاء الغرام) ، وله كتب أخرى .. والفيروزآبادي ، صاحب المصنفات الكثيرة وأشهرها (القاموس المحيط) . وابن حجر ، أبو الفضل أحمد بن علي (ت ٨٥٢ هـ) له مؤلفات عديدة أشهرها كتاباه (فتح الباري) وهو في شرح (صحيح البخاري) و(الإصابة في تمييز الصحابة) ، وهو كتاب شامل في تراجم الصحابة .. معروف مشهور .

١١ ـ أنه كما قال : «قدم مكة مرات ، وجاور بها كرات» ، وأول قدومه قبل سنة ستين وسبعمائة ، ثم قدم إليها في سنة سبعين وسبعمائة ، وأقام بها خمس سنين متوالية ، أو ست (الشك من الفاسي) ثم رحل عنها وعاد إليها غير مرة ، منها بعد التسعين ، بتقديم التاء ، وسبعمائة ورحل منها إلى الطائف ، وله فيها بستان كان لجدي لأمي» .

١٢ ـ أن النص السابق أفاد أيضاً أن له بستاناً في الطائف ، وهو غير بستانه في مكة ، فذلك أسماه «نخل ربيد» .. وكما هو معلوم يندر وجود النخل في الطائف ، وهو فيها لا يجود .. وربما كان بستانه في السلامة التي فضلها على الخبزة .

١٣ ـ أن الفاسي يذكر أن الفيروزآبادي أنشأ داره على الصفا أي بمكة .. وقد صرح الفيروزآبادي بذلك في (القاموس) في مادة (صفو) فقال عن الصفا : (والصفا من مشاعر مكة بلحف أبي قيس وابتنيت على متنه داراً فيحاء) .. ثم قال ذلك في نهاية القاموس : (هذا آخر القاموس المحيط، والقابوس الوسيط.. وقد يسر الله لي إتمامه بمنزلي على الصفا بمكة المشرفة تجاه الكعبة) .

١٤ ـ قال الفاسي عنه إنه : «كان يحب الانتساب إلى مكة ، لأنه كان يكتب بخطه : الملتجئ إلى حرم الله تعالى ، واقتدى في كتابة ذلك بالرضي الصاغاني اللغوي الآتي ذكره ..» .. وعندما ترجم للصاغاني قال : «سمع من أبي الفتوح الحصري بمكة ، وجاور بها سنين ، توفي في رمضان سنة خمسين وستمائة ببغداد ، وأوصى أن يدفن بمكة ، واحتال أولاده في ذلك حتى دفن هنالك ..» إلى أن قال : «وكان يكتب في خطه : الملتجئ إلى حرم الله ، وما أظن ذلك إلا لانقطاعه إلى الحرم» .

١٥ ـ وذكر الفاسي أن الفيروزآبادي «حوى من الكتب شيئاً كثيراً» ولكنه «أذهبها بالبيع ، وما وجد له بعد موته منها ما كان يظن به» .

وهذا يدل على أن الفيروزآبادي كان يملك مكتبة كبيرة .. ولكنه باع منها .. ولا يبيع العالم كتبه إلا عن حاجة مُلحة .. ولكننا لا نعلم عن حُلته شيئاً ، بل نعلم أنه كان محظوظاً لدى الملوك والأمراء وعلية القوم .. بل يقول الفاسي نفسه عن دخول الفيروزآبادي اليمن وإقامته بها : «ولما دخل اليمن كرّمه الملك الأشرف (إسماعيل بن الأفضل عباس) ، ونال منه براً ورفقة ، وتزوج الأشرف ابنته» ..

اختيار الموضوع في

تقبل بعض الكليات والأقسام الجامعية طلاب الدراسات العليا في الغالب اعتماداً على المؤهل الشخصي ، وتؤجل في البدء تحديد موضوع الأطروحة . أما بعض الكليات الأخرى ومنها كلية اللغة الإنجليزية في جامعة كيمبردج فإنها تلزم من يتقدم للدراسات العليا فيها بأن يكتب مقالة عن بحثه المقترح ، وذلك لتكون دليلاً على لياقته الشخصية . إنها جزء من إجراءات القبول ، ولكنها لا تعني أن الموضوع المقترح غير قابل للتحوير والتغيير . وتعتبر هذه المقالة فرصة طيبة لمعرفة قدرة الطالب المتقدم في إجراء النقاش ، كما أنها تساعد لجنة القبول في أن تقدر مدى صلاحية جامعتها لرعاية مثل هذا البحث من حيث وجود المشرف وتوافر الإمكانات المكتبية .

وقد يكون من فوائد هذا النظام أنه يجعل بعض المتطلعين للدراسات العليا يتأنون قبل تقديم طلب الالتحاق ، فالانتقال المفاجئ من دراسة « **البكالوريوس** » إلى الدراسات العليا ليس دائماً بالأمر الهين . وإن قراراً سيؤدي إلى التفرغ الكامل للدراسة مدة عام أو عامين أو ثلاثة أعوام ، وإلى الالتزام بكتابة البحث إنما يحتاج إلى أن يكون قراراً عميقاً مستقراً . فاقتراح البحث يجب ألا يكون رأياً مبنياً على مزاج طارئ أو رغبة مؤقتة .

وربما كانت طريقة اختيار الموضوع في حاجة إلى شيء من الإيضاح . إن من الخطأ أن يطلب الدارس من عالم خبير أن يختار له موضوعاً للبحث ، فقد اعتاد كثير من الأساتذة الجامعيين ألا يجيبوا ــ من حيث المبدأ ــ عن مثل هذا السؤال المطلق الواسع ، وذلك بالرغم من استعدادهم لأن يبدوا النصح في الاقتراحات المحددة . ومن الواضح أنهم يدركون بأن من يقدم على البحث ولا عدة له إلا ما يمده به الآخرون من اقتراحات سيكون من غير المتوقع له أن يثابر حتى يصل إلى نهاية ناجحة .

ويختلف الأمر في بعض البلدان الأوروبية الأخرى ، إذ إن طلاب الدراسات العليا قد يوجهون إلى أن يقبلوا موضوعاً اقترحه أحد الأساتذة ، ولكن الجامعات البريطانية لا تتبع مثل هذه الطريقة .

أنواع طلبات الالتحاق

وقد لاحظ كثير من أساتذة الجامعات بأن هناك صنفين من طلبات الالتحاق بالدراسات العليا . ففي النوع الأول ــ وهو الأكثر عدداً والأقل امتيازاً ــ يكون الطلب صادراً عن ميل عام لمواصلة الحياة الدراسية ، ويكون اقتراح البحث ــ الذي يصاغ عادة بأسلوب حماسي مصطنع ــ عبارة عن أمر مختلق قصد به الطالب إخفاء هذا الدافع .

أما الصنف الثاني ــ وهو النوع النادر الذي أعدت برامج الدراسات العليا في الجامعات للترحيب به وخدمته ــ فيكون طلب الالتحاق فيه صادراً عن طموح أصيل في أن يجيب الطالب عن سؤال مهم في تاريخ الأدب لم تجب عليه المؤلفات المنشورة بعد ، أو في أن يصحح خطأ ما ، سواء كان هذا الخطأ إهمالا متعمداً ، أو توكيداً غير صحيح ، أو عبارة عن سوء فهم . هذه هي طلبات الالتحاق الحقيقية التي غالباً ما يقدمها طلاب علم ناشئون لا يلبثون إن لم يجدوا مكاناً في الجامعة أن يستقروا قرب مكتبة من المكتبات الكبرى ويواصلوا البحث في أوقات الفراغ . وتتوق الجامعات إلى أن ترعى مثل هؤلاء الطلاب وتساعدهم ، ولكن المسؤولين عن القبول يزدادون شعوراً بأن معظم طلبات الالتحاق التي تقدم للدراسات العليا في الجامعات ليست من هذا الصنف الأخير .

سوء فهم الطالب

وربما كان طلب الالتحاق من النوع الحقيقي ، ولكن الطالب قد يقع ــ عن غير قصد ــ في شيء من سوء الفهم ، وذلك كما في الحالات التالية :

١ ــ فقد يعتقد الطالب بدافع من التواضع أن ما اكتشفه ليس سوى شيء ضئيل لا يعتد به ، وقد يرى كذلك بأن من المسلم به أن كل الأسئلة المهمة قد حُلت وأجيب عنها . وغالباً ما يصاب المبتدئ بالدهشة البالغة إزاء أعداد الكتب والمقالات التي لم يقرأها ، أو يحس بالحزن الشديد لتفاهة بعض ما قرأ . وربما سارع إلى تكوين الرأي بأن تفاهة بعض المؤلفات دليل على أن الموضوع قد أشبع بحثاً . ورغم أنه قد يكون من الصعب إقناع هذا الطالب بالعدول عن رأيه إلا أن الصعوبة الحقيقية تكمن في أنا لا نملك القدرة على التنبؤ بالمعلومات . وإنه لمن المؤسف حقاً أن يدفع التواضع أو الاعتقاد الخاطئ بطالب الدراسات العليا إلى أن يتعامى عما للبحث الذي يقترحه من أهمية قصوى .

الأطروحة الأدبية

بقلم: ج. واطسون
ترجمة:
د. محمد عبد الرحمن الشامخ

٢ ــ وعلى العكس من ذلك فإن الطالب قد يبالغ في تقدير قيمة ما اقترح أن يبحثه. ومن الغريب في الأمر أن هذا قد يصدر بسهولة عن الشعور بالتواضع أو عدم الاقتناع بالموضوع، فالطالب الذي يسيطر عليه الاعتقاد الخاطئ بأن كل الموضوعات الجيدة قد بحثت من قبل، قد يشعر بسبب ذلك بأنه قد قضي عليه أن يختار موضوعاً تافهاً، وأن يجهد في إطرائه إطراءً شديداً.

٣ ــ وربما أصر الطالب على اختيار موضوع شديد الصلة بمذهبه الفكري أو ميله العاطفي. وهذا هو أخطر ما يمكن أن تتعرض له الدراسات الأدبية بصفة خاصة. وكثيراً ما يقال إن دراسة الأدب تؤثر في حياة الطالب العاطفية تأثيراً لا نظير له في المجال العلمي، **ولكن قلّما** يُلاحظ بأن هذا التأثير قد يكون خطراً على البحث الذي أخذ الطالب على عاتقه إنجازه، وكذلك الأمر في فرصة الطالب في أن يُعد نفسه إعداداً علمياً؛ فمعظم مشاريع الأبحاث التي تعثرت ولم تكتمل هي من هذا النوع. ويشبه مشروع **الدكتوراه** الناجح كل أنواع النشاط الإنساني من حيث الحاجة إلى طريقة محددة سليمة، كما يحتاج الطالب إلى أن يشعر نفسه بأن خططه تسير قدماً، وذلك حتى لو لم يكن في حالة نفسية تمكنه من الانصراف التام لبحثه. فالموضوع الذي يجعل صاحبه يعيش دائماً في الأعالي إنما هو موضوع محكوم عليه بالفشل. وكذلك الأمر إذا اعتمد الموضوع على موجة فكرية سائدة من بين تلك الموجات العابرة التي تتلاشى قبل إتمام البحث.

أخطاء شائعة

ومن الأخطاء الأساسية الشائعة في مقترحات الأبحاث الأدبية التي يقدمها طلاب الدراسات العليا ذلك الغموض الذي لا ينتهي عند حد، وتلك السطحية الفكرية. وقد يستغرق الأمر وقتاً طويلاً وتفكيراً جاداً لكي يوفق طالب الدكتوراه إلى أن يقدم لموضوعه اقتراحاً مناسباً معتدلاً، ليس غامضاً شديد الغموض أو مثالياً موغلاً في التجريد، كما أنه ليس انسياقاً وراء فكرة عصرية سائدة فيثير بذلك الشك عند العالم الخبير، وليس سطحياً فيستدعي احتقاره. إن الوصول إلى الحل الوسط المنشود ليس بالأمر الهين، ولكن من المؤكد أن السطحية أعظم الخطأين السابقين، ذلك أنها لا تقبل التصحيح والتعديل بسهولة عندما تتقدم خطوات البحث.

إن الطالب الذي يشق على نفسه في اختيار موضوع مفرط في الطموح قد يقصر معالجة الموضوع على جوانب أساسية معينة، وهذا أمر مستحسن مشروع شريطة أن يوضح الطالب ما يريد أن يعمله. ولكن الموضوع السطحي التافه لا يُمكّن الطالب من أن ينفخ فيه روح الجد دون أن يفقد البحث عنصر الأمانة.

مقدمة الأطروحة

والمقدمة الأطروحة ــ التي تكتب عادة آخر كل شيء ــ غرضان:

- الأول شكر من ساعدوا الباحث في عمله.
- الثاني أن يصف الباحث ــ بشيء من التفصيل الذي لا تتسع له صفحة العنوان ــ المدى الذي حدده للبحث، والأسباب التي جعلته يهتم ببعض الجوانب اهتماماً خاصاً ويهمل الجوانب الأخرى.

وقد يصعب على المؤلف في هذا المقام أن يبين كل شيء تبياناً دقيقاً، ولكن من الخطأ أن يفترض بأن ما هو واضح عنده سيكون كذلك واضحاً عند القارئ أو الممتحن. فمثلاً إذا كانت الأطروحة التي تناقش «فكرة **شيكسبير** في الملكية» تعالج مسرحياته المأسوية أكثر مما تعالج مسرحياته التاريخية، فإن هذا سيبدو أمراً غريباً لا مبرر له ما لم يبين الباحث منذ البداية بأنه نهج هذا المنهج لاعتبارات خاصة، وهي أن المسرحيات التاريخية ــ على سبيل المثال ــ قد درست من هذه الناحية دراسة وافية، أما المسرحيات المأسوية فلم تدرس بعد. وإذا كانت الأطروحة عن «النقد عند **ماثيو آرنولد** وعلاقاته المعاصرة» ثم استعرضت الروابط التي تمتد من **كولريدج** حتى **ت. س. إليوت**، فإن من الواجب على الباحث أن يوضح في مرحلة مبكرة بأن كلمة «المعاصرة» قد استعملت هنا في معنى غير مألوف. وحينما يكون أمر الموضوع أكثر تعقيداً من هذا، فإن من أبرز مهمات الفصل الأول أن يبين أهداف الأطروحة وأبعادها، وأن يبرر معالجة بعض عناصر الموضوع دون العناصر الأخرى. وفي معظم الأحوال تكون الإشارة البسيطة الواضحة التي ترد في المقدمة كافية لتجلية الأمر.

تغيير اتجاه البحث

إن تغيير اتجاه البحث أمر شائع في كل شكل من أشكال التأليف، وليس ذلك من الأشياء التي تدعو إلى الأسى والقلق. إذ إن من المألوف أن يكتشف الباحث بعد مضي عدة أشهر من العمل بأن بعض جوانب الموضوع الذي اختاره أحفل بالفرص الواعدة مما كان يظن في بداية الأمر، وأن الجوانب الأخرى أقل منها خصباً وإشراقاً. وفي الغالب أن مثل هذا التغيير ليس سوى تحويل لمجرى التركيز في البحث، وقد لا يحتاج الأمر إلى إذن خاص، ولكنه يعتبر سبباً وجيهاً في ألا يختار الباحث

لموضوعه عنواناً موغلاً في التحديد. وسيقوم المشرف أو المرشد بإبداء الرأي في هذا التغيير، وإذا ما استحسنه ورأى أنه أدعى للأمل من الاقتراح الأصلي، فإنه سيوجه الطالب للحصول على إذن رسمي إذا كان التغيير جذرياً. أما ما يحدث أحياناً من تغيير كامل للموضوع عندما تظهر بعض المواد العلمية بطريقة مفاجئة غير متوقعة فإن هذا يحتاج بدون شك إلى إذن رسمي.

وفي الحقيقة أن الأنظمة الجامعية الخاصة بموضوعات البحث أقل صرامة – في بعض الأحيان – مما يتخيل كثير من الناس. فجامعة **كمبريدج** – على سبيل المثال – تطلب من الطالب في الدراسات العليا «أن يكتب باللغة الإنجليزية أطروحة يضمنها نتائج بحثه». ويوجد لدى بعض الكليات في هذه الجامعة استعداداً لتفسير هذا الشرط تفسيراً مرناً، إذ تقبل – من حيث المبدأ – الاقتراح بأن يُخيَّر الطالب بين أن يكتب مجموعة من المقالات أو يقدم رسالة مفردة. ولم يسد نظام الأطروحة المفردة بسبب أن للجامعات أغراضاً محددة في هذا الشأن، ولكن هذا قد نشأ في الغالب بسبب طموح الطالب في أن يسهم إسهاماً علمياً يجعله خلال بضع سنوات حجة في ميدان من ميادين المعرفة. وإنه لمن الصعوبة البالغة أن يصبح الطالب حجة في موضوع من الموضوعات خلال سنتين أو ثلاث، أما أن يتوقع الطالب المبتدئ أن يصبح خبيراً في عدد من الموضوعات، فإن هذا قد يبدو أمراً محفوفاً بالمخاطر والتحديات. ولذلك فإنه ليس على الجامعات – التي تسمح بكتابة مجموعة من المقالات بدلا من الأطروحة – أن تخشى كثيراً من تزاحم الطلاب المتقدمين أو من الهبوط في المستوى العلمي.



مُتمرّدة على الحب

شعر: سعد البواردي

أبادلها سلماً.. تبادلني الحربا
وأسلمها سهلاً. فتسلمني الصعبا
إليها أشتكي قلبي طعان رموشها
فمدّت له هدباً.. لتتبعهُ هدبا
على نحرها ليلٌ.. وفي مقلتي كرىً
فما اسطعت أن أغفو على ليلها صبّاً
وفي عينها بحر.. وسحر.. وموجة
وتيه طوى بُعداً. ولم يطوه قربا
وفي فمها عقد يُفيضُ بريقهُ
وما بيدي للعقد كي ألثم الحبّا
وهبتُ لها قلبي.. فردَّت وديعتي
مقايضة القاسين أن تهزم القلبَ
وصغتُ لها حبي لحوناً.. ونغمة
أطاحت به لحناً.. وأودت به حبّاً
خطبت هواها همسة مستفيضة
فألقت به – رداً على همستي – خطبا
أناخ له ركبي.. ويا ويح عاشق
صدود الهوى القاسي أناخ له الركبَ
تذكرتها حلماً.. وأودعتها هوىً
فشاخ بها حلمي يتيماً. وما شبَّ



الحركة الثقافية في المملكة العربية السعودية

خلال نصف قرن ١٣٥٠ - ١٤٠٠هـ

بقلم: د. عبدالله الحامد

كانت حركة التأليف الديني نشطة في العصر الماضي، ومن أبرز رجالها آل الشيخ، محمد بن عبد الوهاب، وآل مبارك، وآل عبد القادر، وابن سحمان، وآل الملا، وأحمد زيني دحلان، ومن أشهر من عرف بذلك في نهاية الفترة العلامة عبد الرحمن ابن سعدي، الذي أدرك النصف الثاني من هذا القرن، وكانت له مؤلفات في الأصول والفقه والتفسير.

وتمتد الحركة الثقافية المعاصرة في علوم الدين فقهاً وحديثاً، وتفسيراً، وأصولا ووعظاً وإفتاءً وتأليفاً وتدريساً، وقد عرفت رجالات كثيرة في هذا الميدان.

وأظهر من عرف بذلك عبد العزيز بن باز، وهو من أوسع العلماء المعاصرين في البلاد ثقافة دينية، ويضيف إلى هذا الحجم الثقافي قدرة على الرؤية الصحيحة واختيار الأمثل من السنة، ويحسب في المحدثين، الذين يقللون الاعتماد على آراء الفقهاء، بل يوردون الأحاديث، ويرجحون بينها. وله تعليقات وتهميشات على فتح الباري لابن حجر العسقلاني، يتجلى فيها جانب من علمه الذي شغلته أمور شتى عن التفرغ له.

وعرف أيضاً بالحديث **محمد الأمين الشنقيطي** المهاجر، نزيل المدينة، وله مؤلفات في التفسير وغيره، ويعتبر من كبار

★ حمد الجاسر

★ عبد القدوس الأنصاري

★ أحمد عبد الغفور العطار

العلماء ، قال فيه **محمد بن إبراهيم آل الشيخ ، رحمه الله** : « إنسان مملوء علماً من هامته إلى إبهامه » . **وعبد الله بن محمد ابن حميد ، رحمه الله** ، عرف عنه العدل في القضاء والذكاء اللماع ، والقدرة الفائقة على الاستجواب ، إضافة إلى العلم والفقه ، والمفتي **محمد بن إبراهيم آل الشيخ** ، رجل عالم أتاح له ذكاؤه وفطنته وشرف أرومته أن يفيد كثيراً ، وينفع جماً غفيراً بعلمه وتدريسه ، وإدارته وفتاواه رحمه الله .

ولم يكن لأكثرهم شأن في التأليف ، بل كانوا مشغولين بالقضاء ونحوه ، ولكن لهم من الفتاوى المنشورة والمذاعة والنصائح والأقضية الشيء الوافر .

وقد وجدت ظاهرة الشعر العلمي في هذا الوسط ، شرحاً للعقيدة ، أو نظماً للفقه ، وغير ذلك من الأغراض ، وأشهر من عرف بذلك النحو **حافظ الحكمي**[1] ، فقد نظم في أصول التوحيد أرجوزة مطلعها[2] :

أبدأ باسم الله مستعينا
راضٍ به مدبّراً معينا

كما نظم في **مصطلح الحديث** ، والفقه والنصائح .

وقد أخذ الشعر العلمي في الضمور ، وإن كانت له قوة ورواج في أوائل الفترة امتداداً للعصور الماضية .

ووجدت المعارك التي جددت دور **ابن سحمان** ، في معاركه مع خصوم الدعوة إلا أن المعارك الجدلية كانت أقل ، وكان غبارها يثور غالباً بين العلماء والمتطرفين من المجددين ، الذين يدعون إلى بعض مذاهب الحضارة الجديدة الفكرية أو السياسية أو الاجتماعية ، وأكثر المعارك وأكبرها الجدل الذي ثار بين **عبد الله القصيمي** والعلماء ، وهو رجل نبت في هذه الأرض ، وتدين حتى غلا ، وزهد حتى تطرف ، ثم انطلق من أقصى اليمين إلى أقصى اليسار ، مهاجماً الإسلام ونظامه ، وألف كتابه « **الأغلال** » ودعا فيه إلى الثورة على كثير من قواعد المجتمع ، ومبادئ الإسلام ، وجدَّف في ذلك حتى وصل به التطرف إلى التجديف على ذات الباري جلّ وعلا ، وقد كثرت الكتب في الرد عليه حتى قاربت عشرة كتب[3] . ومعارك أخرى طفيفة ما بدأت حتى خمدت ثارت حول قضايا أخلاقية ، وسلوكية ، كشرب الدخان ، والتصوير ، وحلق اللحى ، والتشبه بالغربيين في اللباس ونحوه ، والغناء واللهو .

وخلال فترة حكم الملك سعود ، عام ١٣٧٣ هـ ـ ١٩٥٣ م ، اشتدت المعارك ، وارتفع أوارها بين القوميين والإسلاميين ، وكانت البلاد سواء بعلمائها أو بحكومتها تمثل الجانب الإسلامي ، كما كانت هناك أصوات واتجاهات ، أكثرها في الخارج ، تدعو إلى القومية العربية ، وتردد أفكارها ، وقد انبرى لها العلماء والكتّاب ، وكثرت نصائح العلماء ورسائلهم ، وألفت الكتب ، ومن أبرز من ألف في الدفاع **محمد أحمد باشميل** . وكانت حركة القومية قد بدأت منذ اشتد عنف الأتراك على العرب ، بعد حركة **جمعية الاتحاد والترقي** ، التي فصلت بين الأتراك والعرب ، وألغت العامل الإسلامي ، لكن التيار القومي ضعف أخيراً وتلاشى ، تحت عوامل كثيرة ، ليس هذا معرضها . وخلفه التيار الاشتراكي ، وكان له ذيوع وشيوع ، في بعض البلدان العربية ، وقد نشط العلماء أيضاً في البحوث ، والرسائل والفتاوى ، وكانت دار الإفتاء التي يشرف عليها **المفتي محمد بن إبراهيم آل الشيخ** تنشر وتطبع كثيراً من هذه الكتب والرسائل ، أو تمولها ، ولكن المعركة هدأت نسبياً بعد عام ١٣٨٧ هـ ـ ١٩٦٧ م .

وفي مجال الفكر الإسلامي ، وجدت طبقة أخرى كانت أكثر اتصالا بالدراسات الجديدة والحديثة ، مع عمقها الفكري والديني ، وكانت أكثر قدرة على التأثير على ناشئة العصر ، الذين أخذوا يتأثرون بالتيارات الثقافية والاجتماعية الوافدة لما يتمتع به هؤلاء من قدرة في الحجاج ، وبراعة في عرض المنقول ، بالأسلوب الجديد ، المعتمد على العقل والنقاش والحجاج والجدل ، منهم الكاتب الإسلامي **أحمد محمد جمال** في محاضراته ومقالاته وكتبه الكثيرة كـ « **استعمار وكفاح** » ، و« **الإسلام أولا** » ، و« **على مائدة القرآن** » ، و« **نحو سياسة عربية صريحة** » ، و« **مكانك تحمدي** » . **وأحمد عبد الغفور عطار** العالم الموسوعي في محاضراته وكتبه المنشورة كـ « **إنسانية الإسلام** » ، و« **الشيوعية والإسلام** » ، و« **الشريعة لا القانون** » ، و« **الإسلام طريقنا إلى الحياة** » .

وقد استطاع هؤلاء العلماء من كلا الأسلوبين التصدي للهجوم القوي والمستمر على التراث والعقيدة والتشريع والعبادة ، سواء غارات الاستشراق القديمة والمتجددة ، أم أفكار المتأثرين بالثقافة الغربية التي ينادون بها في بعض الأقطار العربية ، أم تساؤلات الشباب الذي تأثر بالتيارات الغربية .

التاريخ والجغرافية

وحركة التاريخ من أقوى الحركات ، وكان العلماء يتبارون في ذلك ويؤرخون للمدن ، والأحداث ، والعادات ، والقبائل ، **والعلامة حمد الجاسر**[4] أوضح وأنشط من كتب في هذا الباب ، سواء بتحقيقه كتب التاريخ ، أم تأليفه ، وله في ذلك تاريخ مدينة الرياض ، وفي سراة غامد وزهران ، وفي شمال غربي الجزيرة ، وبلاد ينبع ، وهو يتناول التاريخ السياسي والاجتماعي والثقافي مركزاً على تواريخ المدن ، والقبائل وأنسابها .

وعبد القدوس الأنصاري[٥] باحث قدير خاض هذا الميدان، وكتابه «تاريخ مدينة جدة» جهد كبير إضافة إلى «آثار المدينة المنورة» وبناة العلم في الحجاز الحديث، وله رسالة في تأريخ حياة العلاّمة عبد الرحمن بن سعدي.

ومن كتب التاريخ التي ظهرت على الأسلوب القديم تاريخ الأحساء **لمحمد بن عبد القادر**، وتاريخ ملوك آل سعود **لابن هذلول**، والتذكرة **للشيخ إبراهيم بن عبيد**، وقد بدأ بتاريخه حيث انتهى ابن بشر بتاريخ نجد بعام ١٢٦٨ هـ، حتى عام ١٣٧٠ هـ، وهو واسع، فيه الدقة والتحري وقد جلس المؤلف قرابة عشرين حولا ينفحه ويقرؤه في المسجد على الناس، ويستمع إلى ملاحظاتهم حتى حصل له من ذلك شيء كثير، لولا ما فيه من الهنات المنهجية.

وفي المنهج الجديد من كتابة التاريخ صدر كتاب الأنصاري «تاريخ مدينة جدة»، و«تاريخ المخلاف السليماني» **للعقيلي**، و«تاريخ مكة» **للسباعي**، و«في قلب جزيرة العرب» **لفؤاد حمزة**، وهو من أفضل ما كتب عن الجزيرة، و«جزيرة العرب في القرن العشرين» **لحافظ وهبة**، و«ساحل الذهب الأسود» **لمحمد سعيد المسلم**.

وظهرت دراسات في تاريخ القبائل وأنسابها كـ«المنتخب في ذكر قبائل العرب» **للمغيري**، و«كنز الأنساب» **لحمد الحقيل**، والدراسة العميقة لقبيلة العوازم التي كتبها **عبد الرحمن العبيد**.

وفي تحقيق كتب التاريخ القديمة، كانت لدار اليمامة، وصاحبها حمد الجاسر جهود ثرة طيبة.

ولأمين مدني عالم المدينة كتب في تاريخ المدينة، تاريخها العام، ومساجدها، والمسجد النبوي، وأطامها، وتواريخها ومؤرخيها، لا تزال مخطوطة.

وقد نشط البحث عن التراث والآثار والمعالم التي ضاعت خلال القرون الماضية، ولم يبق من كثير منها باق، ويكفي أن يعرف الإنسان أن «عكاظ» نادي الشعر، وسوق الفصاحة قد ضاع مكانه وانطمست علاماته. وهذا ومثله ما

★ عبد الله بن خميس ★



★ محمد حسن عواد ★



حدا بالعلماء والباحثين إلى الدراسة والبحث ، ويعتبر حمد الجاسر **ومؤسسة دار اليمامة** التي اشترك فيها أصدقاؤه ومحبوه وتلاميذه خير من نهض في هذا المجال .

ونشير إلى أن أول من كتب في هذا المجال الشيخ « **محمد بن بليهد** » رحمه الله ، كتابه الكبير « **صحيح الأخبار عن ما في بلاد العرب من الآثار** » ، ومن بعده عرف عبد القدوس الأنصاري وحمد الجاسر ، كتب عبد القدوس الأنصاري بحوثاً ومقالات وكتباً ، منها « آثار المدينة » ، و« تحقيق أمكنة في الحجاز وتهامة » ، و« التحقيق المدعم في مسجد الراية وبئر جبير بن مطعم » ، كما حقق كتاب « المغانم المطابة في معالم طابة » في تاريخ المدينة المنورة ، و« تاريخ بعض الحوادث الواقعة في نجد » لابن عيسى ، واشترك مع **الدكتور صالح أحمد العلي في تحقيق كتاب « بلاد العرب » للأصفهاني** .

وكتب حمد الجاسر « أبو علي الهجري وأبحاثه في تحديد المواضع » كما كتب تحقيقات جغرافية وتاريخية في كتب « بلاد ينبع » ، و« سراة غامد وزهران » ، و« في شمال غربي جزيرة العرب » ، و« مدينة الرياض عبر أطوار التاريخ » .

وألف **عبد الله بن خميس « المجاز بين اليمامة والحجاز »** ، وتبنت مجلة العرب أخيراً كتابة « المعجم الجغرافي » لكافة البلاد السعودية ، وقد شرع في كتابة مواده فحول هذا الميدان ، صدر منها المعجم الجغرافي شمال المملكة ، والمعجم الجغرافي شرق المملكة لحمد الجاسر ، والمعجم الجغرافي لمنطقة القصيم **لمحمد العبودي** .

وكتب أخرى صدرت في الدراسات الإقليمية الجغرافية مثل كتب الدكتور **محمد أحمد الرويثي** « جوانب من مشكلة الغذاء في العالم والوطن العربي » ، و« الموانئ السعودية على البحر الأحمر » وغيرهما .

وفي هذا الميدان ثارت أعنف المعارك النقدية في تاريخ الثقافة بعد المعارك الدينية والفكرية ، وكانت أول معركة ثارت بين حمد الجاسر وابن بليهد حول ملاحظات وانتقادات الأول على كتاب الأخير « صحيح الأخبار » ، ثم عادت جذعة في مسألة تحديد سوق عكاظ ، وساق كل منهما الدلائل التي تؤيد وجهة نظره ، وكان من نتاج هذه البحوث والمناقشات الكشف عن مكان سوق عكاظ ، وقد كتب حمد الجاسر في ذلك رسالته في تحديده وكان كل من الباحثين يشد الرحال راكباً بعيراً أو سيارة للوقوف على المواقع والآثار ، وقد عرف ذلك عن ابن بليهد كثيراً ، وعرف أيضاً عن حمد الجاسر .

وثارت معارك أخرى بين الجاسر والأنصاري كل يغير على ما كتبه الآخر بالنقد والملاحظة والتصحيح ، وقد وصلت هذه المعارك أحياناً إلى الإسفاف كما في معركة « جيم جدة » التي يرى الأنصاري وجوب ضمها ، ويرى الجاسر جواز الحركات الثلاث .

وألف الأنصاري كتيباً أسماه « التحقيقات المعدة في حتمية ضم ميم جدة » ، وظل في كل مناسبة وغير مناسبة يردد مع أصدقائه في مجلته هذا الموضوع ، ومهما كان الحق مع أيها فإن قضية تافهة لا تستحق كل هذا الاهتمام .

وأرخ الكتّاب والباحثون للعلم والعلماء في البلاد منذ القرن الثاني عشر وما بعده ، أو ما قبله أحياناً ، وكان التاريخ بطبيعة الحال يتناول البيئات الدينية والعلمية ، التي وجدت في الأقطار كلها ، فكتب **عمران العمران** عن ابن المقرب ، وكتب **الدكتور عبد العزيز الخويطر** عن ابن بشر وتاريخه ، وأحمد عبد الغفور عطار عن « محمد بن عبد الوهاب » ومنها « التصوف في تهامة » للعقيلي و« دروس من ماضي التعليم وحاضره » **لعمر عبد الجبار** ، و« ماذا في الحجاز » **لأحمد محمد جمال** ، و« تواريخ المدينة ومؤرخوها » **لعبيد مدني** (مخطوط) و« علماء الدعوة » **لعبد الرحمن بن عبد اللطيف آل الشيخ** ، وقد أعاد طباعته بعد ثمان سنين من نشره باسم « مشاهير علماء نجد » و« بناة العلم في الحجاز الحديث » لعبد القدوس الأنصاري ،

وهي كتب متخصصة في تاريخ العلم والثقافة في البلاد في العصور القريبة الماضية إضافة إلى الفصول الموسعة والأجزاء التي تجيء في كتب التاريخ العام عن العلم والثقافة كتاريخ الأحساء ، لابن عبد القادر ، الذي خصص جزءً منه للأدب والعلم ويشبهه تاريخ المخلاف السليماني ، للعقيلي ، وتاريخ مكة ، للسباعي ، وفي التذكرة لابن عبيد شذرات متفرقة عن الثقافة والعلم والأدب .

اللغة

وفي المجال اللغوي يعتبر العطار نسيج وحده ، في الاتساع والعمق ، والتأليف والتحقيق ، ومن كتبه : آراء في اللغة والزحف على لغة القرآن ، والفصحى والعامية ، ومقدمة تهذيب اللغة ، والصحاح ومدارس المعجمات العربية ، وله في تحقيق التراث اللغوي تهذيب الصحاح مع عبد السلام هارون ٣ مج ، وتحقيق الصحاح للجوهري ٦ مج ، وتحقيق ليس في كلام العرب لابن خالويه .

ويأتي بعده عبد القدوس الأنصاري وإن لم يكن في منزلته لكن له اهتماماً بتصحيح الكلمات ، والأساليب الدخيلة ، والبحث عن بديلها الفصيح الصحيح ، وطوال فترة أربعين عاماً من عمله في مجلة « المنهل » ، كان يوالي هذا الجهد ، وله في ذلك كتيب « إصلاحات في لغة الكتابة والأدب » .

نشاط ثقافي متنوع

وآخرون لهم تأثير في الحياة الاجتماعية والثقافية بعضهم له كتب وآراء مجموعة، وآخرون نشروا آراءهم وأفكارهم في الصحف، وبعضهم جعل المقالة الأدبية وسيلته، وآخر جنح إلى الكتابة الصحفية وآخر نشط في الأحاديث الإذاعية، في الإذاعة المرئية والمسموعة، وآخر استخدم القصص الاجتماعي ومنهم من عبر بأسلوب الفكاهة، فكانت في الفكر، والمجتمع، والسياسة، والتعليم، والإدارة يجمعها رباط الاهتمام بهذه البلاد، والدعوة إلى الإصلاح، منهم **عبد الكريم الجهيمان**، في مقالاته التي جمع مختارات منها باسم «أين الطريق» و«آراء فرد من الشعب» وهو من أكثر كتّابنا الاجتماعيين دقة ملاحظة، وقوة وجرأة في النقد، **وسعد البواردي**، في كتبه وقصصه ومقالاته وأشعاره الكثيرة، **ومحمد حسن عواد** في كتابه «خواطر مصرحة» الذي ثار فيه على كثير من التقاليد والعادات، ودعا إلى تصحيحها، وقد كانت للكتاب ضجة وصدى، **وحسن آل الشيخ** في «خواطر جريئة» وأحمد محمد جمال في مقالات كثيرة، **وعبد الفتاح أبو مدين، وعبد الوهاب آشي، وعمران العمران، وعبد العزيز بن عبد الله التويجري، وعبد الله عريف، وحسن الصيرفي وأحمد قنديل** في أشعارهما ومقالاتهما، ذات الأسلوب الفكه، والنقد اللاذع، **وصالح السليمان العمري، وعبد الرحمن العبيد، وحسين عرب، وعبد الله جفري، ومحمد علي قطب، وأحمد الراشد المبارك، وعلي الطنطاوي، وعبد العزيز المسند، والدكتور يحيى ساعاتي.**

ولم يكن للعلوم البحتة، أو الطبيعية، والرياضية والطبية، والفلسفية والتقنية شأن كبير، لا تأليفاً ولا ترجمة، لحداثة تكوين البلاد السياسي والاجتماعي والثقافي.

الهوامش

(١) ولد عام ١٣٤٢ هـ، ببلدة «المضايا» جنوب جازان، وتلقّى العلم على الداعية المصلح عبد الله القرعاوي، وتخرّج على يديه وعمل مساعداً له في مدارسه الإصلاحية، واشتغل بعده بالوظائف الحكومية منذ عام ١٣٧٣ هـ، ولم يلبث أن توفي عام ١٣٧٧ هـ، (العرب، السنة السابعة، ص ٢٢٩، مقال عنه بقلم ابنه أحمد حافظ الحكمي).

(٢) سلم الوصول: ٢.

(٣) وهجي أيضاً بشعر كثير، من شعر العلماء، قال صالح بن سحمان:

أين «الصراع» و«نقد» و«البروق» وما
أعلنت بالحق عن هذي الخرافات
أتلك زندقة والرشد ما نطقت
أغلالك الآن من هذي الحماقات؟
إذن فدينك دينار جعلت له
فخاً فلمت على تلك الركيعات
إن كان بالشرق أومات الركوع له
أو كان عندك أكثرت التحيات

(ملتقى الأنهار: ١٠٩ ـ ١١٠).

(٤) ولد عام ١٣٢٧ هـ، في قرية «البرود»، من السر وتخرّج من المعهد العلمي السعودي فعين في التعليم، فالقضاء، ثم قصد مصر للدراسة في الجامعة، ورجع إبان الحرب العالمية الثانية، فعمل في الظهران، ثم مديراً للتعليم في نجد، ثم وكيلاً لمدير الكليات والمعاهد العلمية بالرياض، فمديراً لكليتي الشريعة واللغة. وانصرف للعمل الصحفي، منذ عام ١٣٧٢ هـ، فأنشأ مجلة اليمامة، ومطابع الرياض، وأخيراً أنشأ عام ١٣٨٦ هـ، دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر، وأصدر عنها مجلة العرب، وهو عضو بالمجامع اللغوية والعلمية، والعربية، في القاهرة ودمشق وبغداد (معجم المطبوعات العربية السعودية، مقالات علي جواد الطاهر، العرب ذو الحجة ١٣٩١ هـ)، واعتمدنا هذا المصدر في ترجمته الذي يخالف غيره في بعض التواريخ، لأن كاتبه كتبه في مجلة (العرب)، ولم يعقب عليه صاحب الترجمة.

(٥) ولد عام ١٣٢٤ هـ، وتعلّم على يدي محمد الطيب الأنصاري، ودرس في مدرسة العلوم الشرعية، وعمل في الوظائف الإدارية، والتدريس، وفي ديوان نائب الملك، وفي وزارة المالية، وتفرّغ أخيراً لأعماله الخاصة، أنشأ مجلة «المنهل» للثقافة والآداب عام ١٣٥٥ هـ، وظل يواصل نشاطه فيها بصبر وعزم رغم كثرة المعوقات حتى توفي عام ١٤٠٣ هـ، رحمه الله.

★ عبد الكريم الجهيمان ★



★ محمد أحمد باشميل ★







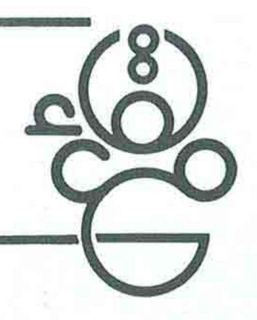
خواطر مجنحة

شعر: أحمد سالم باعطب

يا غارقاً في دُجَى الفوضى بمن تَثِقُ ... والكونُ حولك بالأطماع يحترقُ
والناسُ مسرفةٌ في الظلم باغيةٌ ... إن لم تجد سبباً للظلم تختلقُ
والعمرُ أمواجُه هوجاء عاتيةٌ ... ويستبدُّ بنا في شطِّهِ القلقُ
أعيشُ في زمن يلهو بعاطفتي ... أكادُ من حدَّة الأحداثِ أختنقُ
حملتُ بين جفوني الأمنياتِ .قذىً ... فكيف تهنأُ أجفاني وتعتنقُ
أبليتُ زهرة أيامي على سفهي ... أضعْتُ عمري لا دين ولا خلقُ
تقاذفتني خُطَى الشكوى معربدة ... لا النومُ أثلجَ لي صدري ولا الأرقُ
أبيتُ أركضُ والأحلامُ تهزأُ بي ... ويجمعُ الصحوُ أحلامي وينطلقُ
كتبتُ في صفحاتِ الموتِ أغنيتي ... وزمجرَ الشؤمُ في الأحشاء والفَرَقُ
تحطَّمَتْ في زوايا الطيش مركبتي ... فطَوَّحَتْ بيَ في رمضائها الطرقُ

★ ★ ★

يا لحظةً من ربيع العمر مهرقةً ... على شفَا جُرُفٍ هار من الوَهَن
يا باقةً غضَّةً رَوِيتُها بدمي ... عدَت عليها ليالي السوءِ والمحن
تناثَرَت في صحارى الحزنِ شاحبةً ... يلوكُها البؤسُ في زنزانة الشَجَن
أسيرُ في طرقاتِ العمر مغترباً ... والهَمُّ والضيْمُ يقتاتانِ من بدني
أبيتُ أسكبُ في سمع الدُجى ألمي ... ويسكبُ الليلُ لحنَ اليأس في أذني
عناكبُ الشكِّ في صدري مُخيِّمَة ... تحوكُ بين حنايا مهجتي كفني
تلبَّدَتْ في سماء اليأس أخيلتي ... ودمدمَ الخوفُ في قلبي فهدهدني
أنا القتيلُ بسفح المغريات جوىً ... وقاتلي شبحُ الحرمانِ في زمني
جرعتُ بين سراديب الأسى ندمي ... فدَبَّ في الجوفِ مسعوراً فمزقني
على شواطئ نهر القهقرى جنَحتْ ... مُحطَّماتِ القوى من سيرها ـ سُفُني

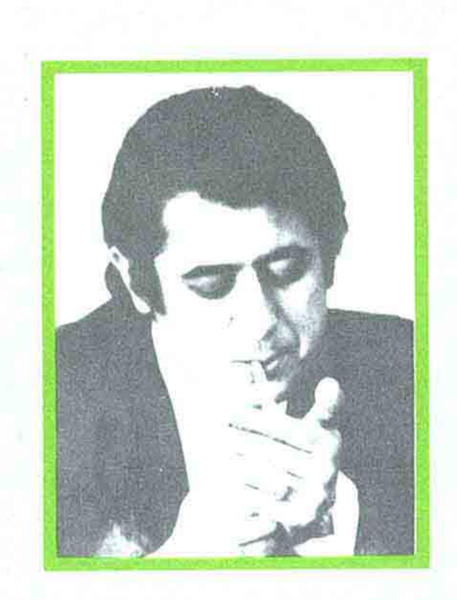




الدكتور
كمال أبوديب

أجراه:
مجدي إبراهيم

قصيدة النثر.. إحدى تجليات الإبداع



يتعانق الشاعر مع الناقد في ريشة الدكتور كمال أبو ديب، وهو شاعر من سورية الحبيبة، له لغته الخاصة ومدرسته الشعرية التي ينتمي إليها.

تتجلى إسهاماته الشعرية في ديوانيه «سماء بلا نجوم»، و«بكائيات من مراثي إرميا».. ومجموعة كبيرة من القصائد متفرقة على صفحات «مواقف».. وغيرها.

وأبرز مؤلفاته النقدية: «نظرية الصورة الشعرية عند عبد القاهر الجرجاني»، وكانت أطروحته لنيل درجة الدكتوراه من جامعة أكسفورد سنة ١٩٧٠م، و«البنية الإيقاعية في الشعر العربي»، ثم «جدلية الخفاء والتجلي ـ طرح للنقد البنيوي»، سنة ١٩٧٩م.

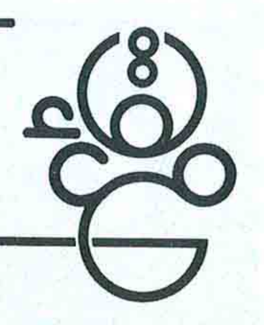
النقد.. والشعر

●● ما علاقتكم كناقد بالإبداع الشعري.. وما أهم إسهاماتكم في هذا المجال؟

● الحقيقة أني أعتبر الشعر مجالا طبيعياً من المجالات التي تجدها في تجربتي الشخصية، أصدرتُ مجموعة مبكرة حين كنتُ لا أزال طالباً في الجامعة، اسمها «**سماء بلا نجوم**»، لكن لغتي الشعرية تغيَّرت تغيُّراً جذرياً بعد ذلك، وأصدرتُ سنة ١٩٧٢م، مجموعة ثانية اسمها «**بكائيات من مراثي إرميا**» عن دار العودة في بيروت وكانت هذه المجموعة استجابة لنكبة عام ١٩٦٧م، وليس غريباً أن تجد كلمة «بكائية» وقد انتشرت في هذه المرحلة بين الشعراء، أيضاً لي عدّة قصائد طويلة منشورة في مجلة «مواقف» لم أجمعها بعد في دواوين.

ويظل الشعر اللغة الأسمى في تصوري لتجسيد التجربة في شموليتها وعمقها في هذه الوحدة، وبلغة تستطيع التماس أبعاد من هذه التجربة، لا تستطيع لغة اللاشعرية أن تحيط بها أو أن تجلوها ـ وأنا أتابع الكتابة حقيقة ـ لكن النقد يحتل الجزء الأكبر من وقتي.





مذهب البنيوية

●● أي المذاهب النقدية أقرب إلى نفسكم، وأقدر توصيلاً ووصولاً إلى رؤاكم؟

● في تصوري أن المنهج الذي حاولتُ أن أطوّعه خلال السنوات الأخيرة الماضية هو أقدر المناهج على التعامل مع النص الأدبي ـ سواء كان شعرياً أو نثرياً، وهو منهج أسميته يوماً في كتابي «**جدلية الخفاء والتجلي ـ طرح للنقد البنيوي**»، لكن سوء الفهم لتطور **الدراسات البنيوية** في أوروبا وسوء فهم للمصطلح والمنهج كما صاغها وتعامل معهما بشكل خاص الفرنسيون، وسوء فهم أو عدم وجود الخلفية الثقافية الكافية لدى معظم قراء العرب لتتبع ما حدث في أوروبا في الماضي يكاد يجعلني أتردد في أن أستخدم مصطلح البنيوية باستمرار.

المنهج الذي أحاوله يختلف جذرياً عما فعله بعض الدارسين الفرنسيين والأوروبيين، طريقته المتميزة في التعامل مع الأدب من الداخل، أي على مستوى القدرة على اكتشاف النص الأدبي وعلى مستوى علاقة النص بالعالم الذي ينتج فيه.. في كل ذلك أعمالي منذ البدء تمتاز امتيازاً واضحاً جداً بإلحاحها المستمر على البنية الدلالية للنص الأدبي، ثم على الرؤية التي ينبع منها والتي تختفي وراءه أو فيه، هذا البحث عن التجربة، عن الرؤية، عما نسمّيه ببساطة المعنى في الصيغة الكلية ـ بُعدٌ ـ مرفوض في معظم الدراسات البنيوية الغربية التي يبدو الآن أنها هي الّتي تقوم في ذهن الإنسان حين يتحدث عن البنيوية.. وهذا الاختلاف بين عملي وبين أعمال الدارسين الأوروبيين اختلاف نابع من طبيعة البنية الثقافية نفسها التي أنتمي إليها، وهي بنية ثقافية مهووسة بالمعنى أصلاً، هذا الهوس مكون ثقافي أصيل فيها ولا يمكن في تصوري أن تصل إلى مرحلة الشكلية المطلقة إلا في الدول المتطورة ثقافياً وحضارياً واجتماعياً واقتصادياً.. لكن هذا الشعور غير قائم الآن في مجتمعنا، وأنا لا أعرف ناقداً عربياً واحداً يمكن أن يُسمى شكلياً بالمعنى الدقيق للكلمة، وراء أعمال معظم النقاد هوس بالمعنى بشكل خاص يدفع بالدراسة نفسها، بالمنهج نفسه إلى اتجاهات معينة ومختلفة تماماً، كالاتجاهات التي سادت فيها البنيوية في أوروبا، ولذلك حين بدأتُ عملي في الدراسات النقدية ركّزت بشكل خاص على عبقرية **الجرجاني** وكتبتُ عنه أطروحتي للدكتوراه التي نشرت بالإنجليزية، ونشر جزء منها والمتعلق بالجرجاني بالإنجليزية، وحاولت فيها اكتشاف تطور المفاهيم المتعلقة بالصورة الشعرية منذ بدايتها منذ النص القرآني حتى عبقرية الجرجاني ثم قدمت تتابعاً تحليلياً لهذا الاهتمام عبر القرون بالجرجاني.. وبهذا المعنى يمكن أن أقول إنني كنت أبني ما لم يكن مباناً لي، كنتُ أبني شيئاً يبدو لي هلامياً. قبل هذا العمل كانت تصوراتي لما حدث في العربية بشكل خاص ـ لا تاريخياً ـ، فقد حاولت أن أظهر أن هناك نمواً داخلياً عبر هذه القرون يؤدي إلى عمل الجرجاني الفذ.

وجاء كتابي «**في البنية الإيقاعية للشعر العربي**» بعد ذلك، وهو إعادة لاكتشاف ما أسميته **البنية الإيقاعية للشعر العربي**، وفي جدلية الخفاء والتجلي يبدو مثل هذا الاكتشاف للفاعلية الأساسية لدى شعراء مثل **أبي نواس وأبي تمام**... وغيرهما.

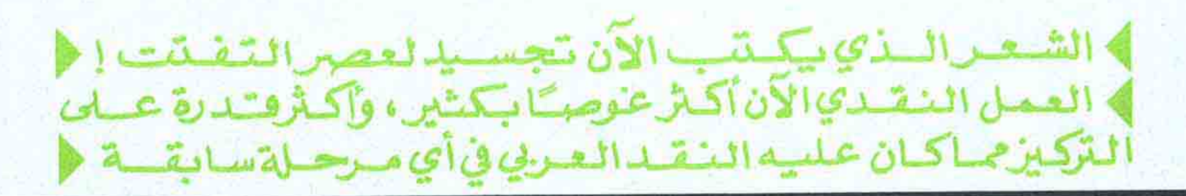
الشعر العربي.. اليوم

●● كيف ترى حال الشعر العربي الآن؟

● هذا موضوع أكثر تعقيداً يا أخي من أن أستطيع أن أجيب عليه بسرعة أو بأناة حالياً؛ لأنني ما زلتُ في مرحلة أحاول فيها أن أبلور عدداً من المكونات الأساسية التي أشرت إليها، في دراسات نقدية جديدة، ويجب أن أعترف بأنني ما زلت عاجزاً عن إعطاء تقييم أو وصف كلي شامل لهذا الشعر، لكني أعتقد أنه يمر في مرحلة اختفاء الرؤى الكبيرة أو الشخصيات الشعرية الكبيرة ويدخل في مرحلة «النصف المبدع»، بكلماتك: لدينا في تصوري الآن قصائد فردية هنا وهناك ـ وهي كثر ـ ولا تقل على الإطلاق عن معظم ما أُنجز في الثلاثين سنة الأخيرة من نماذج ـ لكن ليس لدينا شخصية شعرية كبيرة ـ ليس لدينا **بياتي** آخر، أو **عبد المعطي حجازي أو خليل حاوي أو صلاح عبد الصبور** آخر.

لدينا **سعدي يوسف** الذي يقف بين مرحلتين داخلتين، لكن الأمر يحتاج إلى زمن أولا، ويرتبط ثانياً بما حدث في بنية الحياة العربية بشكل ما، ففي تصوري أن العشر سنوات (السبعينات وأوائل الثمانينات) شهدت ما أسمّيه مرحلة انهيار الرؤية الجماعية، انهيار المركز في الثقافة العربية، وطغيان التفتت على الحياة العربية كلها.. هذا التطور هام جداً وفي تصوري أن الشعر الذي يُكتب الآن يُجسِّد هذا الغياب للمركز وللرؤية الجماعية أو الحلم الكلي أو المشروع الجماعي.. وهو بذلك تجسيد لعصر التفتت، مرحلة التفتت.

الأمر سيحتاج إلى زمن قبل أن تتبلور شخصية شعرية كبيرة نستطيع أن نرى فيها





التجديد الأكثر تناسقاً وتماسكاً لهذه المرحلة التي أصفها .

الحديث عن أزمة في الشعر العربي الحديث الآن ـ أنا شخصياً ـ لا أميل إليه ، هناك تغيرات جذرية طرأت على بنية الحياة تتجسد الآن في التغيرات التي طرأت على بنية الشعر . . هذا هو الموضوع في إحدى صوره ، وسنحتاج إلى زمن كما قلتُ قبل أن نكتشف شخصية شعرية جديدة تتبلور .

الشعر الجديد

●● وماذا يعني إذن أن يخرج إلينا ثلاثة من كبار الرواد في الشعر الحديث : صلاح عبد الصبور ، محمود درويش ، وأخيراً جبرا إبراهيم جبرا كما أشيع ليعلنوا ندمهم أنهم مهدوا للشعر الجديد ؟

● أنا أحترمهم طبعاً ـ فهم أصدقائي وأقدِّرهم ـ لكني لستُ على هذه الدرجة من التشاؤم فيما يخصني . . قد يكون هذا الموقف من **محمود درويش** لإحساسه الكلي بالانهيار العربي الشامل على مستوى الشعر وعلى مستويات أخرى . . لكننا حين نرى في هذا الانهيار الشامل إمكانات جديدة لنمط من الكتابة الشعرية الجديدة نستطيع أن نقول إننا سننتج قليلاً ، لأن هناك جيلاً تشكل عبر العشرين سنة السابقة . . هذا الجيل استغرق زمناً من أجل أن تكتمل أصالته كما كانت بالنسبة لنا ، والأمر يحتاج إلى زمن قبل أن يُجسِّد جيل الحاضر رؤية العالم كما يستطيع أن يبلورها .

الشعر الكمي

●● ما موقفكم من ذلك الرأي الذي يقول إن شعرنا العربي شعر كمي خالص ، وإن الشعر الحر لم يتخلص تماماً من هذه الكمية التقليدية ؟

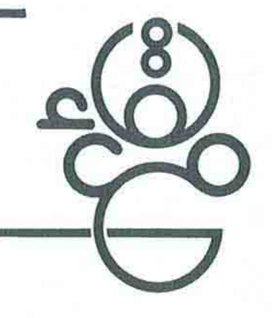
● كنت قد وصفت في كتابي « البنية الإيقاعية للشعر العربي » وناقشت ما يعنيه أن يكون الشعر كمي ، وأظنني قدَّمتُ وتقصيت من النماذج ما يكفي ليثبت أن الشعر العربي ليس كمياً ، أما الشعر الحرّ فليس من الصحيح أن يُقال أيضاً إنه كمي ، فهو استمرار للمجرى الذي عرف بشعر التفعيلة ، استمرار للبنية الإيقاعية في إحدى تجلياتها ، ولم يحدث حتى الآن ما يخلخل هذه البنية خلخلة جذرية ، مع أنني أشرت إلى عدد من التطورات الأساسية ، ومن الشيق أنني بعد إشاراتي اللغوية في هذا الكتاب عام ١٩٧٢ م ، حين كنتُ أصوغ ما هو قانون نظري صرف أو قانون تتكهن به الدراسة المنهجية ، ومن الشيق أنني أرى نماذج شعرية كثيرة يحدث فيها ما كنتُ أتكهن به في هذا الكتاب إمكانية حدوثه سابقاً ، أنا واثق أن هؤلاء الشعراء الذين تحدث في شعرهم هذه الخلخلة قد لا يعرفون الكتاب على الإطلاق ، وقد لا يعونه نظرياً ، لكن الشعر يأتي ليحقق بالضبط ما تتكهن به الدراسة التحليلية التي تقوم على فهم سليم للبنية نفسها ، وقد أشرت في دراسات حديثة إلى مثل هذه النماذج . . وقد يكون ذلك إعداداً لكتاب جديد يتابع في مناقشة إيقاع الشعر الحديث بشكل خاص .

قصيدة النثر

●● بصفتكم أحد كتاب قصيدة النثر . . ماذا تقول في قصيدة النثر . . هل تمثل خطراً حقيقياً على مستقبل الشعر ؟

● ليس هناك من شيء في الدنيا يمثِّل خطراً حقيقياً على الشعر العربي إلا الشعر العربي نفسه . قصيدة النثر إحدى التجليات التي يتخذها الإبداع في الثقافة العربية بعد أن حدثت تطورات جذرية في شعر التفعيلة أو في « **الشعر الأحادي** » كما أسمِّيه ، ونشأ إيقاع جديد أو إرهاصات بإيقاع جديد في الحياة العربية ، قصيدة النثر هي استمرار لهذا الخط من التطور ، وهي تجسيد مبكر لما أسميه بإيقاع الحياة الذي لم يتبلور تبلوراً كافياً بعد . ويبدو أن القارئ العربي أو البيئة الثقافية العربية تميل باستمرار إلى أن تنسب كل شيء إلى الغرب ، ثم تنسب أي إسهام عربي أدبي جديد إلى الغرب ، كما لو كان يستحيل وجود هذا الإبداع في الثقافة العربية ؛ ولذلك فإن هناك هذا البحث الدائم عن صيغة أو صورة أوروبية تؤصل هذا العمل . . أنا شخصياً أرفض أن أوق بعملي صورة عن عمل لمدرسة أوروبية مقننة وأراه قائماً بذاته ، له منابع مشتركة مع اتجاهات في الدراسات النقدية الأوروبية البنيوية كما أسميتها ، لكنه يشكّل عالمه الخاص ويتجاوز بكثير ما أنجز في الدراسات الأوروبية التي أعرفها ، **حين نتحلل من عقدة النقص هذه سيستطيع الكاتب أو الناقد العربي في هذه الحالة أن يعمل في**





لم يحدث حتى الآن ما يخلخل بنية القصيدة الحديثة خلخلة جذرية



بنيته الداخلية أو في إسهاماته الفنية التي يقدمها .

النقد المعاصر

●● الساحة النقدية الأدبية المعاصرة في عالمنا العربي .. كيف تنظرون إليها ؟

● الساحة النقدية تبشر بكثير من الخير ؛ فأنا شخصياً أعتقد أن النقد العربي الآن يبلور اتجاهات ويجلو مقدرات تفوق بكثير ما كان متاحاً له في السابق .. النقد الآن أكثر صلابة وأكثر منهجية ، وأكثر إدراكاً للطبيعة المعقدة للأدب ولغته وبالشعر ولغته الخاصة .. ليس في تاريخنا النقدي ما يعادله في أحدث الذكاء اللمحي الذي يختفي وراءه .. كان النقد أميل إلى التعامل مع النص بطريقة سأسميها خفيفة تجلو بعض دلالاته العامة أو سبل تجديده الجزئية ، لكن العمل النقدي الآن أكثر غوصاً بكثير وأكثر قدرة على التركيز ، مما كان عليه النقد العربي في أي مرحلة سابقة . يبدو لي أحياناً أن النقد العربي الآن مجال للتجلي الإبداعي العربي يكاد يفوق تجلياته في الفنون أو الأجناس الكتابية الأخرى ؛ شعر ، قصة .. لكنني لم أبالغ في ذلك وإن كنت أؤكد أنه لا يقل عن أي مجال كتابي آخر .

التراث الشعري العربي

●● لعل في كتابكم « في البنية الإيقاعية للشعر العربي » ما يؤكد دفاعكم عن تراثنا الشعري العربي ، مع محاولة صادقة لاكتشافه اكتشافاً جديداً وحاداً وأميناً .. منذ متى بدأت رحلة الاهتمام والولع الرائع المخلص بهذا التراث ؟

● تبدأ الرحلة حين يبدأ الإنسان ، وأنا لا أعي لحظة ما في حياتي لم أكن مهتماً فيها بثقافتي في صورتها الشمولية . حين أتحدث عن التراث فأنا لا أتصوره كتلة هامدة ماضية متشكلة مكتملة تقبع على بُعد آلاف أجزاء الزمن والمكان ونعاينها من هذه المسافة ونتحدث عنها وعنا .. أنا شخصياً أعتبر التراث بُعداً من أبعاد لحظة التقاطع بين التاريخ والحاضر ، بين الزمن في بعديه التعاقبي التوالدي والتزامني ، أي أني لا أتحدث عن نفسي والتراث ، بل أتحدث عني ، وبهذا المعنى يكون التراث بُعداً مكوناً من مكونات هذه البنية التي هي أنا ، أي التي هي الحاضر الثقافي والاقتصادي والسياسي والاجتماعي هذه المواصلة .. بهذا المعنى اهتمامي بالتراث اهتمام وجودي لأنه جزء من وجودي اليومي ومن تركيبي الشخصي ، وهو جزء من وجودنا . حين أقول أنا فأنا لا أعني نفسي وإنما أعتبر ذلك بنية ميكروسكوبية ، بهذا المعنى فإن جميع ما أكتبه يشمل التراث بشكل أو بآخر . حتى حين أكتب عن نص معاصر الآن فأنا أكتب عن التراث ؛ لأنني أكتب عنه باعتباره الوجه الحاضر للتاريخ لا باعتباره شيئاً قائماً الآن بإزاء التاريخ القديم .

الشعر قادر على تحقيق مثل هذا التجسيد المبكر .. وما يحدث في قصيدة النثر لا يشكل بأي معنى تهديداً لما أُنجز في إيقاع شعر التفعيلة أو الشعر العمودي الذي يسمونه هكذا .. فهي تعبير عن نمو على صعيد العلاقات الأساسية بالثقافة العالمية المعاصرة أكثر ، وفيها نماذج تفوق في تصوري في قدرتها على تجسيد ما أنتج الفنان المعاصر معظم ما أُنتج في العصور الشعرية السابقة .

●● هل يمكن الإشارة إلى بعض هذه النماذج ؟

● أستطيع في هذه الحالة أن أشير إلى أعمال أدونيس ، وانسي الحاج ، ومحمد الماغوط ، [في مراحل سابقة] ، وإلى كثير مما يكتب الآن ، ونماذج من إنتاجي الشخصي في هذا السياق ، وأنا لا أستطيع أن أرى في القصيدة القديمة (أو القصيدة التي تتمسك بالتفعيلة) ما يفوق هذه النتاجات على أي صعيد على الإطلاق ، سأكتفي بهذا القدر لأنني أعتقد أن فيما قلته الكفاية .

الشعرية

●● ما الذي يشغل الناقد والشاعر الدكتور كمال أبو ديب هذه الأيام ؟

● هناك كتاب جديد سيصدر قريباً اسمه « **الشعرية** » ؛ وهو دراسة تحاول من خلال النماذج الشعرية المتصلة بظاهرة الشعرية ، أعني بـ « ما هو المكوِّن الشعري في النص الذي نصفه بأنه شعر » .. ويبدو لي أننا نستطيع أن نقول إن الشعرية قابلة للاكتشاف ، وأننا حين نقوم بتطويع المنهج النقدي سنستطيع حل كثير من الإشكاليات التي ترتبط بالشعر وطبيعته وطبيعة لغته .. وآمل أن يثير الكتاب اهتمام الباحثين للمشاركة في اكتشاف وتطويع هذا المنهج .

الدلالة بين النظرية والتطبيق

بقلم: د. صبري محمد حسن

مفهوم الدلالة

برغم أن أي لغة من اللغات، تعتبر نظاماً للتعبير عن المعاني من خلال الأصوات، فإن دراسة المعنى ذاته - الدلالة - تعتبر واحداً من المجالات اللغوية، المهملة إلى حد بعيد، نظراً لأن المشاكل المختلفة التي تحيط بهذا المجال، لم تحظ باهتمام بالغ إلا مؤخراً. وهذا الإهمال له ما يبرره من أسباب، نظراً لظهور الكثير من المشاكل، عند دراسة المعنى.

ومع أن الفلاسفة يفكرون في المعنى منذ زمن طويل، فإن عدم شمول وعدم ارتباط ما قيل في هذا الصدد بالموضوع ذاته، يشجع اللغويين على إغفال وإهمال هذا المجال.

ويثار من حول مفهوم المعنى جدل كثير، فضلاً عن أن موضوع الكلمات لا يزال بمثابة الموضوع وثيق الصلة بالمعنى.

أما البطاقة التي تلصق دائماً بهذا المجال اللغوي فهي كلمة «**سيمانتكس**» **Semantics**. مع أن البعض يفضلون استعمال مصطلح «**سيماسيولوجي**» **Semasiology**. وقد بدأ استعمال لفظ «سيمانتك» Semantic في اللغة الإنجليزية اسماً لعلم التنبؤ بالمستقبل، وبخاصة الطقس. أما **معجم أكسفورد Oxford** فيقدم تعريفاً لهذا المصطلح بأنه «**ذو علاقة بالتعبير المراد أو المعنى**» والمشكلة التي يثيرها هذا المصطلح أنه يعني أموراً مختلفة بالنسبة للكثيرين.

أما العالم اللغوي، فيرى في هذا المصطلح شيئاً يختلف عن معنى هذه العمليات الرمزية عند «**كارناب**» **Carnap**، هذا فضلاً عن أن معنى هذا المصطلح تختلف أيضاً دلالته من الناحية العلاجية Theraputic عند كل من «**كورزيبسكي**» **Korzybski** و«**هاياكاوا**» **Hayakawa**. ومع ذلك فإن هذا المصطلح يستعمل في عمليات غير محددة في علم اللغة، إلى الحد الذي لا يستعمل معه بعض اللغويين هذا المصطلح على الإطلاق. ولكن بعض اللغويين البريطانيين يفضلون تقسيم هذا المجال إلى: دراسة **المفردات Lexis** ودراسة **الإطار أو السياق Context**.

ومهما يكن من أمر هذا المصطلح، فإنه لا بد أن يشتمل على مسائل تتعلق بالمفردات، ومسائل أخرى تتعلق بالمعنى. كما أن دراسة الكلمات في هذا المجال بالذات، تحتم الاعتراف باتصال هذا المجال **بالمجال القواعدي Syntactical**، بل حتى بالسمات الفنولوجية.

والدلالة بالنسبة لعالم اللغة التاريخي، تعني الدلالة المعجمية، أي دراسة المفردات من الناحية الدلالية.

قضية المعنى

مصطلح المعنى، شيء يشوبه الكثير من اللبس، ويثور من حوله جدل ومتناقضات كثيرة، «**فأوجدن**» **Ogden** و«**ريتشاردز**» **Richards** يوردان في كتابهما «**معنى المعنى**» **Meaning of Meaning** ما لا يقل عن ستة عشر تعريفاً للمعنى. ولا يزال المعنى بالنسبة لعلم اللغة والفيلسوف كلمة بغيضة، بل إن حتى هؤلاء الذين يترددون في استعمال هذا المفهوم، لا يزالون يتصرفون بحذر، فضلاً عن ميلهم إلى النزوع خجلاً بعيداً عنه.

وعلى **الصعيد الفلسفي**، نجد أن «**لودفيج فيتجنشتين**» **Ludwig Wittgenstein** يبدو كأنه يغفل مفهوم المعنى إغفالا تاماً، فهو يركز على «**الاستعمال**» **Usage** وليس على «**المعنى**» أصلاً في هذا المجال.

وكذلك جاءت طريقة الفلاسفة في علاج المعنى، فالدراسات اللغوية لا تفيد منها إفادة مباشرة، لأن الفلاسفة يهتمون بالعلاقات الذهنية، على حين يهتم اللغويون بالعلاقات العرفية التي تربط بين المبنى والمعنى.

وإذا كان الفيلسوف يهتم بكنه العلاقة، فإن عالم اللغة يهتم بشكل العلاقة بين الرمز وبين مدلوله. كما أن اللغوي، يهتم فوق كل ذلك، بنوع من المعاني ينسب إلى الأجزاء التحليلية، يمكن أن نسميه «**المعنى الوظيفي**».

ويشغل **المناطقة** أنفسهم بالمعنى على مستوى **المنطق الشكلي الأرسطي**، الذي لم يفصل فيه بين المنطق وبين اللغة، من وجهة النظر الدراسية، مما أدى إلى وقوع الفكر في أسر اللغة، كما وقعت اللغة في أسر المنطق.

أما **علماء النفس**، بفئاتهم المختلفة، سواء في ذلك الميتافيزيقيون والتجريبيون والتحليليون، فالمعنى، في نظرهم، غير عرفي، ولا اجتماعي، ولكنه خاضع للتكوين النفسي للفرد، فهو يخضع تارة للغرائز، وتارة أخرى لغريزة واحدة بعينها، تعتبر أهم هذه الغرائز. وقد يخضع

الدلالة بين النظرية والتطبيق

للعقل الظاهر أو العقل الباطن ، وقد يخضع للحاجات العضوية أو غير العضوية مما يحسه الفرد ، وقد يرتبط بطرف معين ، فيصاحبه وجوداً وعدماً ، بطريقة رد فعل آلية .

وعن **الاتجاه الرمزي** ، يؤكد « **هيجلمسليف** » Hejlmsleve أن الرمز المطلق لا معنى له على الإطلاق ، ذلك أن أي لغة من اللغات ، لا يمكن وصفها بأنها نظام صرف من الرموز . « وبفضل الوظائف الخارجية للغة (**مثل الوصف والخبر ، والإنشاء والأمر**) بدأ نظام الرموز يسري ويعمل عمله .

وقد حاول علماء الرمز تقسيم معنى الرمز إلى طبيعي ، وذهني ، وعرفي ، فقالوا : إن المعنى الذي يدركه المرء من النغمة الموسيقية معنى ناشئ عن طبيعة النغمة نفسها : فإذا كانت على صورة ما ، **أفهمت الحزن** ، وإذا كانت على صورة أخرى **أفهمت الفرح** ، وكذلك يدل البرق والرعد ، على احتمال المطر والصواعق ، كما تدل الخضرة أيضاً على وجود الماء ، أما المعنى الذي يفهم من الأثر الذي يدل على سالك الطريق ، وكذلك دلالة آثار الجرم على شخصه ، فهو معنى ذهني ، وأما دلالة الكلمة بالوضع على ما تستعمل له ، فدلالة عرفية .

والأدباء والنقاد يهتمون بالمعنى الفني الجمالي ، لا بالمعنى العرفي ، بل إن بعض أصحاب المذاهب الأدبية ، جاهروا بعدائهم للمعنى العرفي في الأدب ، ونادوا بالعدول عنه ، إلى معنى آخر ، فني جمالي طبيعي .

وفي **الدراسات اللغوية الحديثة** ، نجد أن أشد الناس عداءً لمفهوم المعنى ، بين علماء اللغة هم **السلوكيون** Behaviourists أو ما يسمون « **بعلماء البنية** » Structuralists الذين يبرز من بينهم « **بلومفيلد** » ، اللغوي الأمريكي ، الذي بدأ بفروض ومعطيات لغوية خالصة ، لتعريف المعنى في مجال اللغة بأنه « **السياق الذي ينطق فيه المتحدث بالمعنى ، والاستجابة التي يتطلبها النطق بمثل هذا المعنى من المستمع** » .

وقد ظهرت نظرية « بلومفيلد » في أعمال « **هاريس** » Harris بصورة أوضح ، إذ يكشف هاريس عن ارتيابه تماماً في قيمة التوصيفات اللغوية للمعنى . وهو يدعي « **أنه يستحيل في معظم الأحيان تحديد سمة عامة للمعنى** » . وفي النهاية يصل إلى نتيجة مفادها : أن « معنى أي عنصر في كل سياق لغوي عبارة عن الفرق بين السياق اللغوي لهذا العنصر ، والمعنى العام للسياق بكامله » . وترتيباً على ذلك ، يكون معنى كلمة « **أزرق** » **blue** في عنصر لغوي مثل : **blueberry** (**عنّاب**) ، هو عبارة عن العنصر blueberry (عناب) مطروحاً منه عنصر berry ، وبالتالي نجد أن العنصر blue (أزرق) هنا لا يعني مجرد اللون ، ولكن يضاف إليه أيضاً أوجه الخلاف التي يمكن ملاحظتها بين العناب الأزرق **blueberries** ، بالمقارنة مع أنواع العناب الأخرى .

أما « **روبرت لورد** » ، فمن رأيه أن أي نظرية تقوم على ربط المعنى بالأعراف limbo لا يمكن أن تكون ذات فاعلية ، مثلها في ذلك مثل أنواع الحدس الطوعية للإدراك السليم . ولا بد أن تكون هناك أسباب لغوية ، تجعلنا نقبل الجملة أو نرفضها .

ويوجز « **فاندريس** » الأمر فيقول : « يخدع عالم اللغة الوصفي نفسه إذا ادعى أن تحليل البنية اللغوية ، يمكن أن يتم مثلاً بدون الإشارة إلى المعنى » .

وعالم اللغة عندما يتعامل مع لغة لم يسبق تسجيلها من قبل ، لا بد أن يكون لديه ضمان مفاده : أن كل جزء من العينة يعني شيئاً معيناً . وكلمات مثل : « **يعطس** » و « **يسعل** » والعناصر الأخرى التي تعبر عن الضوضاء لا يمكن اعتبارها من اللغة ، ذلك أن مثل هذه العناصر لا يمكن أن تمثل أي شيء آخر غير نفسها . ولا يمكن لمثل هذه الأصوات أن يكون لها شكل من الأشكال الجدية في لغة مجتمع من المجتمعات ، إلا بعد أن يصبح لهذا الصوت معنى تقليدي محدد في إطار مجموعة اجتماعية معينة .

وفي معظم الأحيان ، يتطلب الأمر في المجال العرفي ، اللجوء إلى تكوين مقابلات قياسية . فاللغوي عندما يواجه الكلمات الإنجليزية الثلاث التالية :

boiling (**غليان**) و **boy** (**صبي**) و **prince** (**أمير**) ، إنما يتحتم عليه تحديد وتمييز السياقات التي وردت فيها هذه الكلمات ، حتى يمكن له الوصول إلى معناها ومرتبتها ، وإلا أصبح عرضة للوقوع في الشكل الخاص من القياس الآتي بعد : **boy: boiling** . وفي اللغات العازلة مثل اللغة الإنجليزية لا يستطيع المرء التمييز بين مثل هذه العبارات : **fresh milk** (**لبن طازج**) و **hot milk** (**لبن ساخن**) و **sour milk** (**لبن محمض**) ، من ناحية ، وبين العبارات **Drink milk** (**يشرب اللبن**) و **Fetch milk** (**يحضر اللبن**) و **Heat milk** (**يسخن اللبن**) من ناحية أخرى ، ما لم يكن يعرف بالفعل معنى الوحدات منفردة فضلاً عن استعمالاتها .

ويؤكد « **فيرث** » Firth ، الذي تأثر برفض « مالينوسكي » أن اللغوي يجب أن يأخذ في الحسبان ، السلوك اللغوي للمجتمعات القبلية منفصلاً عن الإطار العام لهذا السلوك ، وبخاصة الموقف الحياتي الحقيقي الذي ورد فيه هذا السلوك اللغوي ، أي أنه يؤكد على أهمية **المعنى السياقي** ، بنفس الدرجة التي يؤكد بها أهمية القواعد النحوية Grammar .

وبرغم عدم ظهور أساليب دلالية حقيقية ، لدراسة وبحث المعنى السياقي ، فإن الكثير من أساليب الكلام ، تعتمد اعتماداً تاماً على السياق الذي ترد فيه مثل هذه الأساليب . وعلى سبيل المثال ، فإن السياق الإنجليزي : What a tripe! لا يمكن أن يكون أكثر من مجرد اندفاعة

شديدة من اندفاعات السخرية من شيء قيل أو قرئ ، ولكن هذا السياق أيضاً يمكن أن يكون بنفس الدرجة تعبيراً عن الاستياء من قطعة حقيقية من « الكرش » . ونحن لا نستطيع القطع بأي من هاتين الدلالتين إلا في حدود السياق .

الاتجاهات الدلالية .. ومشاكلها

يهتم معظم اللغويين بطريقة التعبير عن الأفكار ، **بالكلمات** ، كما يهتمون أيضاً **بمركبات الكلمات** ، بمجرد ظهورها ، فضلاً عن اهتمامهم بكم وكيف ورود الفعل للحوافز الفعلية وغير الفعلية ، ولكنهم لا يهتمون برياضيات نظرية المعلومات . ومع ذلك ، هناك بعض المشاكل المحددة الخاصة بالمعنى التي يهتم بها اللغويون مثل مشكل **دور النحو في المعنى ، وطبيعة المرادفات ، وأيضاً عالميات الدلالة .**

هذا التردد الملحوظ إزاء التعامل مع أنواع محددة من المشاكل ، له أسبابه الكثيرة ، فطلاب دراسة اللغة ، منذ فترة طويلة ، يخلطون بين العبارات التي يوردونها عن الأشكال اللغوية ، وبين العبارات التي ترد عن المعاني : **فقد قيل عن الأسماء ، إنها كلمات للتسمية ، وقيل عن الجمل ، إنها مجموعات عن الكلمات تكون معنى ، وأدوات الاستفهام مجموعات من الكلمات تسأل أسئلة .**

وأخذ الكثير من علماء اللغة المنهجيين يشقون لهم طريقاً ، خلال غابة الارتباك مبتعدين بذلك عن مجال عملهم في النظم والأشكال اللغوية . هؤلاء العلماء يسوقون حججاً مفادها : **إن اللغة باعتبارها نظاماً لتوصيل المعنى ، تجعل الباحث ، الذي يستعمل اللغة لوصف خواص هذا النظام ، غير قادر على وصف مثل هذا النظام الرسمي للغة من اللغات أو للمعنى ذاته وصفاً دقيقاً ؛ كما أنه ليس بوسعه أيضاً الهرب من تداول هذه اللغة وتعلمها .**

ومن ثم ، فإن المنهج السائد في التحليل اللغوي يحتم أن نقوم أولا بوصف النظام الفنولوجي لأي لغة من اللغات ، وأن يتم هذا الوصف دون أن نترسم في ذلك معلومات نحوية أو دلالية ، زد على ذلك أن الوصف النحوي لأي لغة من اللغات يجب أن يكون بعد الوصف الفنولوجي لهذه اللغة نفسها . ثم في النهاية ، يتم إبداء بعض الملاحظات من حول المعنى . في ظل مثل هذه الظروف يجب ألا نستغرب ذلك التقدم القليل جداً ، الذي قد نصيبه في فهم المعنى .

وتزداد أهمية المعنى وتتجلى بازدياد اهتمامنا بمعرفة ، قد تساعد اللغويين أو لا تساعدهم في البت ، في بعض المسائل الخاصة ، بالتقسيم والتجميع المورفيمي .

ومع ذلك أهمل اللغويون ، في أعمالهم ، معظم الجوانب الأخرى الخاصة بالمعنى واستعمالاتها التي من أهمها :

(١) البنية والمضمون : تتمثل المشكلة ، الأساس في دراسة المعنى في إيجاد أسئلة ذات أهمية للإجابة عليها . ويمكن لنا أن نضع واحداً من هذه الأسئلة على النحو التالي : **هل تختلف معاني الكلمات - الإنجليزية مثلاً - بصورة ملحوظة طبقاً لخصائصها القواعدية ؟**

للرد على مثل هذا السؤال يجب أن نلاحظ أن الكلمات التالية يمكن وضعها وتصنيفها في مجموعتين متميزتين :

1. Cat, a, ran, stairs, the, down.
2. a, the, down, cat, ran, stairs.

وبوسعنا تجميع هاتين المجموعتين ، وتكوين تتابع واحد من مكوناتها يشكل جملة قواعدية واحدة هي : A cat ran down the stairs « **نزلت القطة جرياً على الدرج** » ، ومع ذلك تظل هناك فروق أخرى بين المجموعتين : الفرق الأول ، أن المجموعة الأولى ، تشكل مجموعة كلمات المضمون Content لأنها تشير إلى « **أشياء** » و« **أعمال** » و« **أحداث** » في عالم الواقع ، بينما المجموعة الثانية ليست لها هذه الخاصية ، إذ ليس بوسع امرئ أن يشير إلى حالة مثل : «a», «the», «down» .

الفرق الثاني ، أن المجموعة الأولى تنتمي إلى درجات **يمكن تصريفها** ، فنحن مثلاً : نجد أن كلمة cat (قطة) ، و stair (درجة) ، تكونان في الجمع cats (قطاط) ، و stairs (درج) ، وكلمة run (يجري) تصبح ran (جرى) في صيغة الماضي . وفي مقابل ذلك نجد أن الكلمات : down (أسفل) ، و the (أداة التعريف) ، و «a» **لا يمكن تصريفها** .

والفارق الثالث ، أن المجموعة الأولى تعتبر **مجموعة مفتوحة** ، أما المجموعة الثانية **فمجموعة مغلقة** .. فالكلمات التي تقبل التصريف ، تجري إضافتها إلى اللغة بصورة مستمرة كأسماء جديدة ، وأفعال جديدة يجري خلقها ، ولكن لا يجري خلق أدوات أو حروف جديدة مثل : a, the بنفس الدرجة . ثم هناك فارق آخر بين المجموعتين هو : أن الكلمات مثل «a», «the» تعتبر كلمات بنيوية structure في مقابل كلمات المضمون content word .

(٢) الانتظام Collocation : ترى .. ما هي أنواع الكلمات التي يمكن أن ترد في جملة من الجمل ؟

خذ كلمة : « **جندي** » على سبيل المثال ، التي يحتمل أن تتردد في إطار يرتبط بكلمات مثل « **حرب** » و« **حرس** » و« **جيش** » و« **سلاح** » أكثر من ارتباطها بكلمات مثل : « **سبورة** » و« **خلاق** » . كما أن الكلمة « **قاعة بحث** » يكون ارتباطها بكلمات مثل : « **أستاذ** » و« **كتب** » أكثر من ارتباطها بكلمات مثل « **يخت** » و« **دولاب** » .

ومع ذلك فإن انتظام هذه المجموعات ، التي يطلق عليها في بعض الأحيان اسم : **المجموعات المنطوقة** ، التي تقوم على أسس محددة ، يثير الكثير من المصاعب . زد على ذلك أن الغالبية العظمى من اللغويين تتشكك في هذا الانتظام في ظل غياب الأساليب المنظمة لتناول مثل هذه المعلومات . وترتيباً على ذلك ، يظل الانتظام مجالا بكراً تقريباً في نطاق

علم اللغة ، لأن هذا المجال يناسب الاستكشافات التي يقوم بها علماء البلاغة .

(٣) مفردات الاتصال والتفاهم : يقصد بها المفردات المحددة ، التي يختارها فرد بعينه ، أو مجموعة بعينها ، لتحقيق الوظائف اللغوية المتنوعة ، التي تزيد من الاتصال والتفاهم . وهناك مجموعات متباينة لهذه المفردات ، فمنها مثلاً : **المجموعات الفنية ، والمجموعات الاجتماعية** ، بل وحتى **مجموعات إقليمية** . فالأستاذ الجامعي ، يستعمل سجلاً لغوياً محدداً ، ومع زملائه الأكاديميين ، يستعمل سجلاً من نوع آخر ، وسجلاً ثالثاً مع أطفاله ورابعاً مع أصدقائه . فالأستاذ ، والأب ، وفريق كرة القدم ، هم نفس الأشخاص ، غير أن الكلمات الخاصة والتعبيرات التي يستعملها كل منهم تختلف بدرجة كبيرة طبقاً لطبيعة السياق والجمهور .

ودراسة السجلات اللغوية تثير العديد من القضايا التي لا يمكن إضافتها إلى القضايا التي تثير دراسة الانتظام ، ذلك أنه من خلال هذه الدراسة ، يبرز تداخل بينيّ بين النحو والمعنى ، وهذا التداخل تصعب دراسته تماماً . ويميل علماء اللغة إلى تركيز اهتمامهم على مسائل الاختلافات اللهجية ، أكثر من تركيزهم على الخلافات بين السجلات اللغوية ذاتها ، نظراً للنجاح الذي يصيبه اللغويون في ابتكار تكنيكات وأساليب يتعاملون بها مع الخلافات اللغوية . وبناءً على ذلك فإن هذه الجوانب الخاصة بالسجل اللغوي التي يمكن تصنيفها تحت اسم **اللهجة** ، هي التي تجري دراستها وإهمال ما دونها . وهنا نرى أن هذا يحدث نتيجة عدم وجود نظرية محددة بالسجلات اللغوية .

التحويليون ــ التوليديون .. والدلالة

تواجه عالم اللغة بعض الصعوبات ، عند محاولته تحديد تفاصيل المكون الدلالي ، في نطاق علم القواعد التحويلية ــ التوليدية ، في مسألة تحديد أفضل طريقة لتمثيل وحدات المعنى التي يريد العالم اللغوي تقديمها في البنية النحوية التحتية .

إلا أن ثمة حلاً لتلك الصعوبات ، يتمثل في إدخال الكلمات على أساس أنها تكون وحدات كاملة ، مثل كلمة : « **أمل** » و« **منزل** » و« **قطة** » و« **رجل** » ، مع معلومات إضافية تخص الفئة النحوية : « **اسم** » ، « **فعل** » ، « **صفة** » ، إلخ .. إضافة إلى نطق كل كلمة من الكلمات . مثل هذا الحل يسمح للقواعد بتوليد الجمل على النحو الوارد في كل من : « أ » و« ب » :

أ	ب
ذلك أمل أحمر	تنفس المنزل
تكلمت القطة	ذلك أمل مغرم
بقي المنزل فارغاً	ماتت القطة
	تكلم الرجل

بوسعنا أن نلاحظ أن الجمل في العمود « أ » **غير قياسية** ، بشكل ما . ويتعين علينا أن نكتب القواعد التي تحول دون توليد قواعد لمثل هذه الجمل ، ومن هنا تصبح المشكلة واحدة ، من مشاكل تحديد علاقات مسموح بها بين الكلمات ؛ غير أن مثل هذه العلاقات تعتبر أكثر غموضاً لأنها تحتاج إلى تصنيف هذه الأجزاء المختلفة من الكلام ، على أساس من مكونات دلالية محددة . ومن هنا فإن مثل هذه القواعد ، يمكن أن تقر هذه التصنيفات الإضافية ، وبذلك يتسنى لنا عدم السماح بأن يكون « **الأمل** » « **أحمر** » ، وأن « **يتنفس** » « **المنزل** » وأن « **تتكلم** » « **القطاط** » .

وقد يمكن حل هذه المشكلة ، في تحديد سمات دلالية للكلمات ، طالما كانت لهذه السمات خصائص نحوية ، تلك السمات التي يؤدي إغفالها إلى جمل غير قياسية . وعلى ضوء ذلك يجوز لنا تعيين السمات الدلالية للأسماء الواردة أعلاه ، على النحو التالي :

أمل	منزل	قطة	رجل
+ اسم	+ اسم	+ اسم	+ اسم
− مادي	+ مادي	+ مادي	+ مادي
− حي	− حي	− حي	− حي
− إنسان	− إنسان	− إنسان	− إنسان

وهكذا ، نجد أن قواعد البنية العبارية تسمح لصفة مثل : « **أحمر** » التي تم تحديدها بين الأشياء بالسمة الدلالية « + مادي » ، أن تستعمل في وصف اسم ، أيضاً ، محدد بسمة « + مادي » ، وليس في وصف اسم تتحدد له سمة « − مادي » . وبهذا ، نجد أن هذه القاعدة لا تجيز « **أمل أحمر** » ، وهذا أيضاً ينطبق على الفعل « **يتنفس** » الذي يتطلب أن يرد مع فاعل تحدد سماته على أنه « + **حي** » . ومن هنا لا تجيز مثل هذه القاعدة « **تنفس المنزل** » . أمّا الفعل « **يتكلم** » ، فيحتاج إلى فاعل محدد بسمة دلالية « + **إنسان** » ، ولكن نظراً لأن « **القطة** » تتميز بالسمة الدلالية « − **إنسان** » فإن مثل هذه القاعدة لا تجيز « **القطة تكلمت** » .

أمّا مشكلة تحديد المجموعة الكلية للسمات اللازمة للغة ما ، أو لعدد من اللغات بصورة عامة ، فهي مشكلة كبيرة وهائلة . وشقّ من هذه

المشكلة ، يتمثل أيضاً في المدى الذي يمكن الوصول إليه في تحديد هذه السمات . ونظراً لأن كل كلمة تقريباً تختلف عن أي كلمة أخرى ، من حيث المعنى ، فهذا بدوره يخوّل لنا الحق في أن نسوق حججاً مفادها : إن الأمر يستلزم الكثير من السمات ، نظراً لكثرة عدد الكلمات ، الأمر الذي تقل معه الفائدة التي يمكن تحقيقها من هذه السمات على الإطلاق .

زد على ذلك ، أن «**أفعالا**» محددة ، تتطلب أنواعاً محددة من «**الفاعل**» أو «**المفاعيل**» فالفعل «**يتكلم**» مثلاً : يحتاج إلى فاعل تتحدد سماته على أساس أنه «+ إنسان» وكذلك الفعل «**ينزع الثياب**» doft يحتاج مفعولا تتحدد سماته على أنها «+ غطاء خارجي» و«+ جسم عُلوي» ، نظراً لأننا نستطيع نزع القبعة والمعاطف و(السترات) ، ولكن ليس بوسعنا مثلاً أن ننزع الأحذية أو القمصان . وعلاوة على ذلك فإن أفعالا مثل : «**يبعثر**» أو «**ينثر**» لا تزال أفعالا معقدة ، نظراً لأن الفاعل أو المفعول لا بد من تحديده بسمة «+ متعدد» ، نظراً لأن الجمل التالية من ١ إلى ٦ تعتبر أمراً ممكناً :

١ ــ تبعثر الجمهور ٢ ــ نثر الفلاح الحب
٣ ــ بعثرت الطائرة المتفرجين ٤ ــ انتشر الدهماء
٥ ــ فرّق الإمبراطور الجمهور ٦ ــ أدى الغاز إلى بعثرة الفصيلة

أمّا الجمل من ٧ ــ ١٠ فهي غير ممكنة :

٧ ــ انتشر الفلاح ٨ ــ نثر الفلاح الشجرة
٩ ــ انتشر الإمبراطور ١٠ ــ نثر الغاز الصبي

والجملتان ١ ، ٢ يمكن أن تفيدا أيضاً في تمييز حالة الجمع الدلالي من الجمع النحوي . كلمة «**جمهور**» Crowd في الجملة «١» أو كلمة «**بذور**» في الجملة «٢» تعتبران جمعاً من الناحية الدلالية ، أو بمعنى آخر «+ متعدد» ، ولكنها مفردتان من الناحية النحوية . هذه الجمل تختلف من ناحية المعنى عن الجملتين «١١» و«١٢» اللتين فيهما كلمتا «جمهور» Crowd و«بذور» بالصيغة النحوية للجمع ، وهذه حقيقة يشير إليها مورفيم الجمع :

11 – The crowds scattered
12 – The farmer scattered the seeds

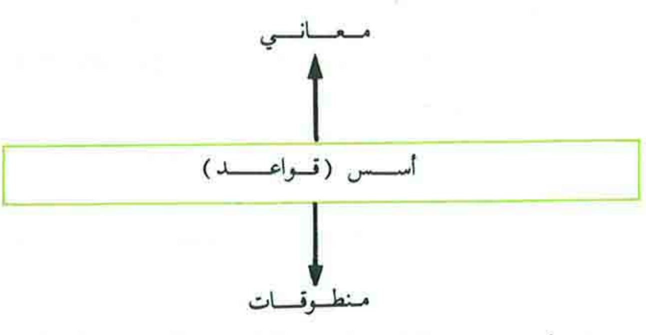
يتبق ، بعد ذلك ، فرق واحد بين «جمهور» و«بذور» : إذ بوسعنا أيضاً أن نقول : «بذور كثيرة» ولكن لا يمكن أن نقول : «جمهور كثير» . هذا يعني أن سمة العدد Count مطلوبة هنا لتوضيح هذا الاختلاف . وكلمة «بذرة» Seed يمكن تحديد سماتها على أنها «- عدد» أو «+ عدد» ، وبذلك نسلم بوجود «خشب كثير» و«بذور كثيرة» ولكن كلمة «جمهور» Crowd لا بد من تحديد سماتها على أنها : «+ عدد» ، نظراً لأنه في الوقت الذي نسمح فيه بـ «جماهير كثيرة» many crowds لا نسمح فيه بأن نقول : «جمهور كثير» much crowd . من هنا نستطيع القول : إن كلمتي much و many تردان مع سمات : «+ عدد» و«- عدد» كل على حدة ، عند تحديد الكميات .

وبوسعنا أن نجري مقارنة بين : «**رجال كثيرون**» ، التي تتميز فيها كلمة «رجال» بالسمة «+ عدد» وكذلك أيضاً «**لبن كثير**» much milk التي تتميز فيها كلمة «لبن» بالسمة «- عدد» .

البنيويون والدلالة

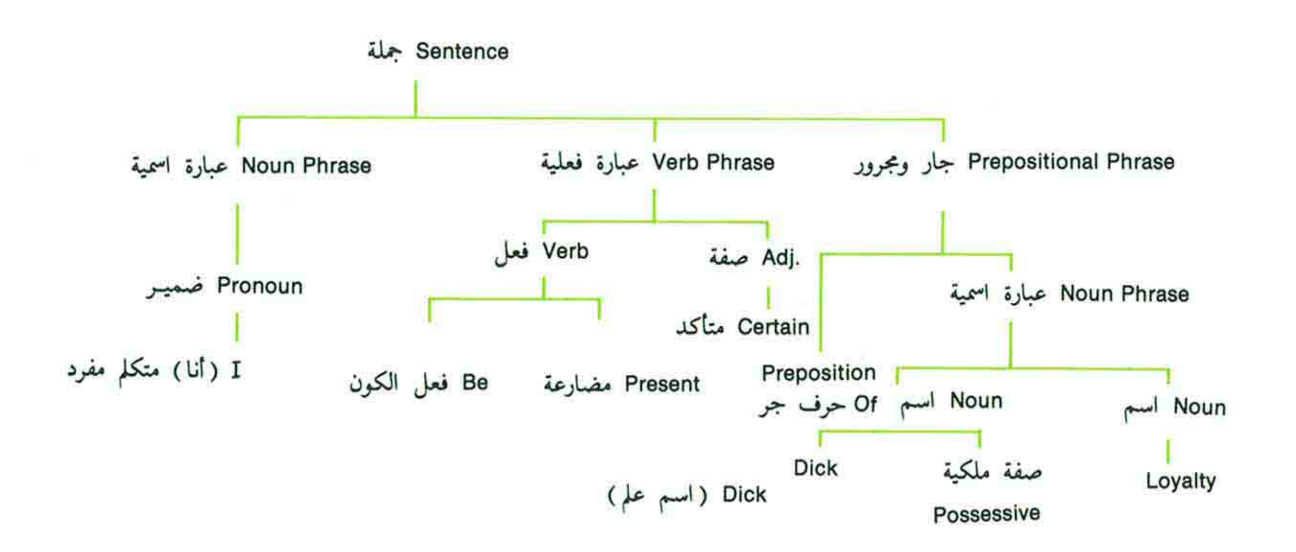
اللغويون ، على اختلاف أنواعهم ومشاربهم ، يعترفون بوجود نوع من الدلالة غير الأنواع الظاهرية ، غير أنهم يختلفون في طريقة تحديد وتفسير مثل هذا النوع من الدلالة . وأشد الناس عداءً لمفهوم الدلالة هم **السلوكيون أو البنيويون** . وأشهر هؤلاء هو «**لانجسكر**» ، إذ إنه أحدثهم وأكثرهم جهداً في هذا المجال ، وهو يقر بوجود هذا المعنى الدلالي ، ولكن من منطلق المنهج الذي يسلكه لتحقيق الهدف من جهوده في هذا المجال .

ويبدأ «لانجسكر» من منطلق أن **اللغة مجموعة من الأسس «القواعد» التي تربط المعاني والمنطوقات** ، كما هو موضح في الكروكي التالي :



ونظراً لأن المتحدث بلغة ما ، يختزن هذه المجموعة من الأسس ، يكون بوسعه ترجمة أفكاره إلى سياقات ملحوظة ، كما يكون بوسعه أيضاً ، استنتاج واستخلاص معنى السياقات التي ينتجها الآخرون . وبوسع المتحدث بلغة من اللغات ، أن يخلق ويفهم جملاً جديدة ، أي أن بوسعه أن يخلق جملاً لم ترد من قبل في تجربته اللغوية ، نظراً لأن الارتباطات بين «**الصوت**» ــ «**المعنى**» في لغته ، تحكمها القواعد بدلا من الصدفة والاعتباط .

وفي رأي «لانجسكر» أن معنى الجملة هو : «**التمثيل الدلالي أو البنية المفهومة**» ؛ وبرغم عدم تيسر سوى القليل ، عن الأشكال المختلفة للتمثيل الدلالي ، فإن بعض حقائقه تظهر واضحة جلية ، فمن الواضح مثلاً ، أن التمثيل الدلالي لجملة من الجمل يعتبر كياناً بنيوياً ، تعمل فيه معاني الوحدات المعجمية منفردة ، عمل المكونات اللازمة للتمثيل الدلالي . وعلى ذلك يمكن القول : **إن المفردات المعجمية مثل : believe «يصدق» و girl «بنت» و the «ال» ، مضافاً إليها «صيغة المضارعة» تشكل جميعها التمثيل الدلالي للجملة : The girl believes «البنت تصدق» . ويمكن لنا تخطيط التمثيل الدلالي للجملة : I am certain of Dick's loyalty «أنا متأكد من ولاء دك»** ، على النحو التالي :



يتضح من هذا الكروكي أن معاني الوحدات المعجمية لا تستنفد البنية الخاصة بمفهوم الجملة . إضافة إلى ذلك ، فإن الجملة « **الولد يعرف أن البنت تصدق** » **The boy knows the girl believes** وجملة أخرى : « **البنت تصدق أن الولد يعرف** » **The girl believes the boy knows** تحتويان على نفس الوحدات المعجمية ، فضلاً عن أن معنى كل وحدة معجمية هو نفس المعنى في الجملة الأخرى ، غير أن الجملتين لهما معنيان مختلفان تماماً . وحتى يتسنى لنا تعليل ذلك ، يتحتم علينا هنا أن نورد افتراضاً مفاده : **إن معنى الجملة ، أكبر من مجرد مجموع معاني الأجزاء المكونة لهذه الجملة ، فضلاً عن أن التمثيل الدلالي يشتمل على المعاني المفردة للوحدات المعجمية ، والطريقة التي يتم بها ترتيب مثل هذه المواد بالنسبة لبعضها** . ومن هنا نجد أن البنية السطحية للجملة تتمثل في خيط من المواد المعجمية التي تنتظم في وحدات يطلق عليها اسم **المكونات** .

ولذا يكون بوسعنا تعريف البنية السطحية للجملة : I am certain of Dick's loyalty « أنا متأكد من ولاء دك » ، بأنها تتكون من تتابع من الوحدات المعجمية المجمعة في مكونات . وبرغم أن الاسم الذي يطلق على البنية السطحية ، فهي : كيان معنوي مجرد بدرجة كبيرة . ونحن عندما نسمع الجملة لا نسمع شجرة البنية ، الشكل رقم « ١ » ، ولكن كل ما نسمعه عبارة عن : سلسلة من الأصوات تعكس التحقيق الكتابي لهذه الأصوات نفسها ، أو التمثيل الصوتي لهذا التتابع من الأصوات الواردة في هذه الجملة .

بنية تحتية

جملة Sentence

Noun Phrase عبارة اسمية
Verb Phrase عبارة فعلية
Prepositional phrase جار ومجرور

Pronoun ضمير
I متكلم مفرد
Verb فعل
Adj. صفة
Certain متأكد
Be فعل الكينونة
Present مضارعة
Prep. حرف جر
of
Noun Phrase عبارة اسمية
Noun Phrase عبارة اسمية
Noun اسم
Loyalty ولاء
Noun اسم
Possessive صفة ملكية
Dick
's

بنية سطحية

قاعدة نحوية ↓

- جملة Sentence
  - Noun Phrase عبارة اسمية
    - Pronoun ضمير
      - I متكلم مفرد
  - Noun Phrase عبارة اسمية
    - Verb فعل
      - Be فعل الكينونة
      - Present المضارعة
    - Adj. صفة
      - Certain
  - Noun Phrase عبارة اسمية
    - جملة
      - that
      - Noun اسم علم
        - Dick
      - Verb Phrase عبارة فعلية
        - Verb فعل
          - Be فعل الكينونة
          - Present المضارعة
        - Adjective صفة
          - Loyal موال

والعلاقة التي تربط بين البنية السطحية والتمثيل الصوتي ، تحددها القواعد الفنولوجية ، وتتمثل كل وحدة من وحدات البنية المعجمية السطحية للجملة ، في سلسلة من الخواص الفنولوجية والنحوية والدلالية . ومن هنا يجوز لنا أن نتكلم عن التمثيل الدلالي ، والنحوي والفنولوجي للمادة المعجمية .

وإذا كان التمثيل الدلالي ، لأي مادة معجمية ، يتمثل في معنى هذه المادة ذاتها ، فإن التمثيل النحوي للمادة المعجمية ، يتمثل أيضاً في مجموعة الخصائص التي تحدد الطريقة التي تتفاعل بها هذه المادة المعجمية مع القواعد النحوية ، والأمور البنيوية ، التي تتعلق بذات اللغة وتخصها . ومثال ذلك أن الكلمة الإنجليزية : certain **(متأكد)** تعمل عمل الصفة وتسمح بعبارة جار ومجرور بعدها مسبوقة بكلمة : of ، وهاتان خاصتان من المجموعة التي تشكل التمثيل النحوي لهذه الكلمة .

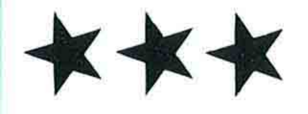
ويعتمد التمثيل الصوتي للمادة المعجمية ، على أمور ثلاثة : التمثيل الفنولوجي لهذه المادة ، والسياق المحيط بها ، والقواعد الفنولوجية الخاصة بلغة هذه المادة .

من الجملتين السابقتين يمكن لنا أن نصل إلى قاعدة على النحو التالي :

التتابع : صفة + حرف جر + عبارة اسمية **(تتابع قواعدي)** ، ولكن التتابع : صفة + عبارة اسمية **(تتابع غير قواعدي)** .

وهذا يعني أن ظهور الجملة الاسمية المبدوءة بـ that في البنية السطحية ، لا يسمح بورود حرف الجر ، إضافة إلى أن حرف الجر لا يحذف إلا عندما تكون الجملة الاسمية مبدوءة بـ that ، وبذلك نصل إلى القاعدة النحوية التالية :

بنية سطحية		بنية تحتية
صفة + حرف جر + that ×	قاعدة نحوية ←	صفة + that





من المكتبة السعودية

● الكتاب : ابن حزم خلال ألف عام .

● المؤلف : أبو عبد الرحمن بن عقيل الظاهري .

● الناشر : مجموعة أسفار أصدرتها دار الغرب الإسلامي بيروت . ١٤٠٢ هـ / ١٩٨٢ م .

دأب أبو عبد الرحمن بن عقيل الظاهري على تأكيد علاقته بشيخه ابن حزم في تحصيل صنوف المعرفة ـ على بعد الشقة بينهما وتقلب الأزمان ـ والكتابة عنه والتنويه بفضله ، جارياً في ذلك على عادة محبي الشيخ وخلصائه في مختلف العصور ، ومتصدياً بالنقد أو التفنيد لما رُدَّ به عليه ونُقص !

فالشيخ ـ فيما نعلم ـ كان طلعة ، وقد عُدَّ من الأفذاذ وإن لم يسلم من التورّط فيما يشكك فيه ، ويحاول أن ينال من قدره في دعوته إلى اعتماد الكتاب والسنة فقط فوصفت دعوته بالتحجّر مع أنها في جوهرها احتكام حرّ إلى الحقيقة الخالصة ، وأصحابها ليسوا من الشذاذ وإنما يصلحون ما أفسده الناس .

على أن الشيخ ـ مهما يكن من شيء ـ لا يعنينا هنا بقدر ما يعنينا تلميذه ، أو صنيع تلميذه الذي يتفنن في إبهارنا بما يصدره عن ابن حزم . وفي مجموعة من الأسفار نقدمها اليوم للقارئ يتعقب أبو عبد الرحمن ما ورد في المصادر والمراجع ـ قديمها وحديثها ـ عن ابن حزم شيخه ، مرتباً إياه ترتيباً زمنياً فيه كثير من التقصي ، وكثير أيضاً من الدقة ، ثم كثير من البراعة والطرافة قد لا يحسها ولا يقدرها إلا من كابد مكابدته .

فبمَ نصف جهداً مبذولا على مدى عشرة قرون ـ من الخامس إلى نهاية الرابع عشر الهجري ـ في تقديم حياة ابن حزم من خلال مصادر متنوعة وكتابات مختلفة وآراء متباينة ، مما يجبر الجامع إلى نقدها وتصحيح ما يحتاج إلى تصحيح منها ، والتعليق عليها بعد تخريجها !

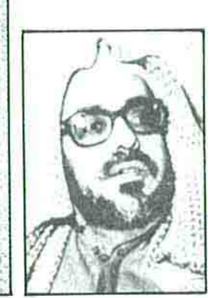
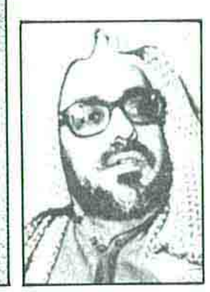
ومع ذلك نراه يقول في مقدمة أسفاره «سيرة ابن حزم بقلمه مأخوذة من كتبه وتعليقاته يجب أن تكون السفر الأول من هذه الموسوعة ، ولكنني أدرجتها ضمن موسوعة أخرى بعنوان (نوادر ابن حزم) . وبتمام أسفار هذا الكتاب ـ ابن حزم خلال ألف عام ـ من القرن الخامس إلى عصرنا هذا ، أكون حققت وحررت مصادر ترجمة ابن حزم وصححت بعض المعلومات . ولكنني لن أكون بذلك أنهيت كل ما يمكن أن يقال عن ابن حزم من ناحية حياته وعلمه» ص ١١ .

هو إصرار منه إذن على التنقيب والتشقيق والتبويب . . .

مائدة مبسوطة أمامه دائماً ، فليس يمنعه شيء من الإقبال عليها بنهم أو بنفس غير مصدودة ، ولا سيما بعد أن خبر ألوان ما يقدمه الأستاذ ـ وقد عرض لها بدقة في فهرسة ابن حزم ـ وأدرك قيمتها .

وهو يدرك أيضاً قيمة أن نتعرَّف شيوخه وتلاميذه ، ولا ينبغي أن تفوتنا نحن أمور لم يُتح له أن يكشف عنها قبل . . ومن هذه ـ على سبيل المثال ـ خصومته مع ابن الريوالي ولا توجد إلا في ترجمة ابن الريوالي ، ومن ثم فإن الرجوع إليها واجب تماماً كواجب أن يرجع إلى مصادر أخرى متنوعة لتتهيأ له الفرصة الكاملة لتحرير ترجمة عن الإمام الأستاذ أو تقديم دراسة منهجية ووثيقة عنه بالرغم من اعترافه بأن ثمة مصادر ـ غير قليلة ـ مفقودة أو ليست متاحة له على الأقل .

وأول مصدر سجله أبو عبد الرحمن وفيه ترجمة لابن حزم كتاب «يتيمة الدهر في محاسن العصر» لأبي منصور عبد الملك بن محمد الثعالبي المتوفى سنة ٤٢٩ هجرية ، واليتيمة بتحقيق محمد محيي الدين

★ أبو عبد الرحمن بن عقيل الظاهري ★

عبد الحميد في طبعتها الثانية عام ١٣٩٣ هجرية .

وآخر مصدر ـ تحت رقم مسلسل ١٦١ ـ مجلة العربي عدد ٦٨ لسنة ١٩٦٤م ، وهو مقال بقلم محمد عبد الله عنان عن ابن حزم مؤرخاً (ص ٨١ ـ ٨٢) .

أي أن أبا عبد الرحمن لم يحرم قُرَّاءه الشاردة عن ابن حزم فأدخل كل عمل إلى دائرة اهتمامه ، الأمر الذي ضخم من موسوعته وإن أوسعها تلويناً .. فطه حسين ـ مثلاً ـ يكتب في مجلة الكاتب المصري مقالة في الحبّ «مقارنة بين ابن حزم وستندال» عدد ٥ فبراير (شباط) ١٩٤٦م ، فتكون في القيمة ـ عند أي مؤرخ دارس ـ على مستوى ما كتبه «العاق لشيخ أبيه» محمد بن العربي إذا صح أنه غير منسوب له ، أو على مستوى المصدر السادس عشر «بغية الملتمس في تاريخ رجال الأندلس» لأحمد بن يحيى بن أحمد بن عميرة الضبي المتوفي سنة ٥٩٩هـ . المطبوع بمجريط سنة ١٨٨٤م .

كما يتساوى ماهر حسن فهمي ـ في المصدر ١٣١ وهو «السيرة تاريخ وفن» ـ بالمصدر ٧٦ «تنزيل الرحمات على من مات» لأحمد القطان ، على ما بين المصدرين من فروق هائلة أهمها أن ما قدمه القطان ـ وهو من رجال القرن الثالث عشر ـ مجرد خبر جاء ضمن أحداث سنة ٤٥٦هـ ،

إذ يقول «وتوفي أبو محمد علي ابن حزم بن سعيد بن حزم ابن غالب بن صالح بن خلف ابن معدان بن سفيان بن يزيد» بدون تعليق من الجامع المحقق .

وبالمناسبة ينبغي أن نجعل لطه حسين وماهر فهمي ونحوهما من كتّاب العصر أرقاماً أخرى غير تلك الأرقام التي حملتها المصادر إلى عصر أحمد القطان ، كذلك كف أبو عبد الرحمن عن إيراد النصوص مكتفياً «بذكر هوية المصدر والتعريف بموضوع الدراسة» وبعض ما يلزم من تعليق ،

وهو دائماً مقتضب «وتركت ومضات لا يستحق إفرادها بالذكر وإن كانت على بالي عندما أحرر ترجمة منهجية مختصرة عن ابن حزم» ١٥٢:٤ (في المقدمة المسهبة) .

وإنما هو بين يدي هذا السفر الرابع ـ وهو عن القرنين الرابع عشر والخامس عشر الهجريين ـ يكتفي بتصيّد المعلومات وتدوينها تمهيداً لأن يؤلف في قابل المتناثر فيهذبه ويحرره .. فيبدو كما لو كان استعاض عن أسلوبه بذلك العرض المنهجي «الجديد» والاستنتاج الذي قد يكون غير موفّق لاعتماد أصحابه على المستشرقين ؛ حتى ليقولوا ـ مثلاً ـ إن الإمام ابن حزم يرجع إلى أصل إسباني ، وإنه كان نصرانياً فأسلم أو أموياً صليبية .

وهناك دراسات عنه لأجانب وعرب ـ أنور تشيجني بجامعة مينسوتا ، وسهير فضل الله أبو وافية ـ عن عشق الإمام وشعره وظاهريته ولغته وتصوفه وإبطال القياس وإثبات النبوّة قد عقد النيّة على تناولها في مواضعها والإفادة منها ما كان إلى ذلك من سبيل .

وقد أسرع شيئاً في هذا السفر فوقف نفسه على الظاهرية يدافع عنها وكأنه يشقيه خطأ الناس في فهمها طالما اعترفوا هم بأنهم يتمسكون بحرفية النصوص وظاهرها ، ومع ذلك فقد يبيحون لأنفسهم تأويل النص عن ظاهرة حيث أباحه الله تعالى ، وثمة برهان على صرفه عن ظاهره «من نص شرعي آخر أو من سياق دل على المجاز أو من ضرورة حس أو من لزوم عقلي» .

وبإسهاب بيَّن جملة من المسائل نصر فيها عدة كبيرة من أهل الظاهر (١٧ ـ ٥٩) ومسائل أخرى ـ كبيان معنى المحصنات وطلاق البائن والاستثناء والرجعة والاصطدام وغيرها ـ أخذ ببعضها وعارض بعضها الآخر (٥٩ ـ ٧٢) فتكشف هذه وتلك على حرية الفكر التي يتمتع بها واحد كالإمام أو آخر كأبي عبد الرحمن نفسه .

الأسفار على أي حال عظيمة النفع جمة الإفادة ، وفي ظننا أنها تثري مكتبتنا بعامة ومكتبة أهل الظاهر بخاصة .



● الكتاب : الحياة الفكرية والأدبية في جنوبي البلاد السعودية (١٢٠٠ ـ ١٣٥١ هـ / ١٧٨٥ ـ ١٩٣٢ م) .

● المؤلف : عبد الله محمد حسين أبو داهش .

● الناشر : دار الأصالة للثقافة والنشر والإعلام ـ الرياض ، ط ١ ، ١٤٠٢ هـ / ١٩٨٢ م (٤٢٠ ص) .

شُغل كثير من الدارسين بتسجيل الحركة الأدبية في بيئاتهم بتحديد ووضوح وليس ضمن الحديث عن أدب عربي عام ، فوجدنا في البيئة التونسية الشيخ محمد الفاضل بن عاشور ، وفي البيئة السورية ، دمشق ، إسكندر لوقا ، والحلبية سامي الكيالي ، وفي الكويت محمد حسن عبد الله ، وفي البيئة السعودية بكري شيخ أمين ، وفي البيئة الليبية طه الحاجري ، وفي البيئة الفلسطينية عبد الرحمن ياغي وأمثالهم ، بل منهم من تناول أدب الجزيرة مثل آل مبارك ، وعبد الجبار وغيرهما .

ومن هؤلاء من ضيّق إطار البيئة إلى جزء من البيئة المحلية ، كحديث عن الأدب في الحجاز أو نجد ، وهكذا نجد من هذا اللون حديث أبي داهش عن جنوبي المملكة ، وهي فكرة طيبة حقاً تذكرنا بصيحة الشيخ أمين الخولي في مطلع العقد الرابع من هذا القرن الميلادي ، إذ رأى الاهتمام بأدب كل بيئة بتضافر جهود الأدبيين والتاريخيين والأثريين ، وهنا يأتي جهد عبد الله أبو داهش في تتبع الظواهر الفنية في بيئته الحبيبة إلى نفسه ، ولعله ـ من هنا ـ يكون أقدر من غيره على إجالة نظراته الفنية في أنحاء بيئته يتفحصها ويتأملها ويتعمق جوانبها ، فإذا هو منها قاب قوسين أو أدنى ، وإذا بنتائجه العلمية أقرب إليه من حبل الوريد !.

وكتابه هذا هو ـ في أصله ـ رسالة علمية تقدم بها إلى قسم اللغة العربية بكلية الآداب بجامعة الملك سعود بالرياض بعنوان (الأدب في جنوبي البلاد السعودية خلال القرن الثالث عشر والنصف الأول من القرن الرابع عشر الهجري) للحصول على درجة الماجستير في الآداب عام ١٩٨١ م .

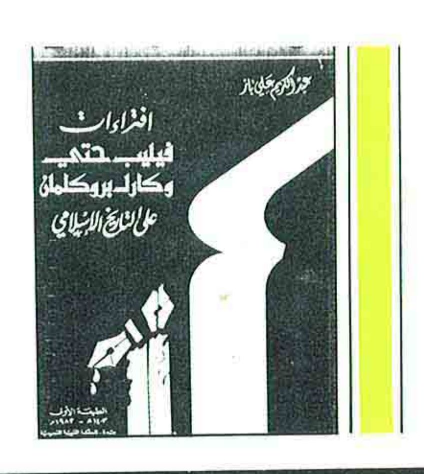
وقد قدّم للبحث أستاذ المؤلف ، وهو أحد أعلام درس الأدب السعودي ودراسته وهو الدكتور محمد عبد الرحمن الشامخ الذي نتفق معه في أن أدب الجزيرة ظل حقبة من الدهر مجالا لأخيلة الرحالة ، وأصبح مجال الدراسات العلمية ، كما كان الجزء الجنوبي متجاهلاً من الدارسين منبهاً لأوهام الرحالة من أمثال (بُرْكهارت) .

كما نتفق مع الشامخ في حمده المؤلف على جمع الوثائق التي كادت تفنى ، واطلاعه على المخطوطات مشيداً بما في الرسالة من جهد .

والحق أنه حين نطالع مصادر المؤلف ومراجعه نجدها من الوفرة بمكان يدفع إلى احترام جهده ، فهو يرجع إلى مصادر ومراجع عدتها ٨٠ عنواناً ، ثم إلى مخطوطات عددها ٢٨ عنواناً ، ثم إلى مقابلات شخصية مجملها ٦٧ مقابلة [ينقص بيانها التاريخ] ، ثم يستعين بمقالات في الدوريات والمجلات جملتها ٣١ دورية ، ثم يلجأ إلى الوثائق وهي ست وثائق وهي جانب طريف من مصادر الباحث ، ما بين مكاتبات ترجع إلى سنة ١٢٢٨ هـ ، وسنة ١٢٢٩ هـ ، وسنة ١٢٧٥ هـ ، وسنة ١٣٥٥ هـ ، يرجع بعضها إلى ديوان إمارة الخلاف السليماني ، أو ديوان إمارة عسير ، أو ديوان الحكومة المصرية في عهد محمد علي ، أو في مديرية المعارف السعودية .

وتأمل هذا الجهد التوثيقي يجعل القارئ مُقبلاً على بحث علمي رصين كان في تمهيد (سياسي ، واجتماعي ، واقتصادي ، وديني) ، ومن أبواب ثلاثة ، كان الأول منها بعنوان : الحياة العلمية والفكرية ، وكان الثاني عن النثر ، وكان الثالث عن الشعر .

وعلى الرغم من وفاء الحديث في هذه الأبواب الثلاثة أو في هذه الميادين الثلاثة فقد بدا الكتاب في حاجة إلى تعريف بأعلام



الأدب (شعره ونثره) في تلك الآونة، وهم قد وردوا ضمن صفحات الكتاب، لكن إفراد الحديث يقدّم صورة أكثر تفصيلاً ووفاءً عنهم يضاف إلى بيان منزلتهم في التيارات والظواهر الفنية المدروسة، ويقدم نماذج من إنتاجهم، وفي ذلك تقديم فائدة أخرى لمن يلي الباحث من الدارسين، وبخاصة والحقل يكاد يكون في حاجة إلى مزيد من العناية من الدارسين تعويضاً عما مضى من تجاهل هذا الميدان من ميادين الأدب العربي الحديث.

يضاف إلى ذلك ما نلحظه من خلوّ الكتاب من فهرس الأعلام الذي يساعد على الاستقصاء، ويخفف من نتائج الملحوظة السابقة.

وبتأمل نتائج البحث، يقف القارئ على جهود العلماء الفكرية والأدبية، واتجاههم للنثر الأدبي التقليدي كالرسائل الإخوانية والديوانية والمقامات والخطابة بمحافظة على التقاليد الشكلية الموروثة، واتباع الطرق الفنية المعهودة المسرفة في الصنعة اللفظية والتكلف البديعي، ومحاولات إظهار المقامة البديعية الأدبية، وقد استحوذت الموضوعات الدينية والسياسية على الخطب، وعالج الشعر الأغراض التقليدية من مدح ورثاء وغزل ومعارضات وإخوانيات، وقد أولى الباحث الشاعر السعودي محمد بن علي السنوسي عناية في دراسته وتناول سمات شعره وخصائصه.

وأعتقد أن الباحث حين يعود إلى الأجيال الجديدة من أدباء المنطقة في بحث لاحق إن شاء الله سيقف بنا على موجة جديدة من موجات الأدب العربي في بقعة من بقاعه، وهم جيل من الأدباء في حاجة إلى التفاتة الباحثين الجادين.

● الكتاب: افتراءات فيليب حتي وكارل بروكلمان على التاريخ الإسلامي.

● المؤلف: عبد الكريم علي باز.

● الناشر: تهامة ـ جدة، ط (١)، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م. (١٧٤ ص).

قلة هي الكتب التي يلتزم بها مؤلفوها الأمانة، والدقة، والموضوعية، والرصانة، وجاذبية الأسلوب، وتشويق القارئ منذ البداية وحتى الخاتمة.

وكتاب [افتراءات فيليب حتي وكارل بروكلمان على التاريخ الإسلامي] لمؤلفه (عبد الكريم علي باز) من هذه الكتب القليلة المميزة بتلك الصفات التي ذكرناها؛ والتي جعلته يوفق في معالجة موضوعه، ويستثير حمية القارئ المسلم بروح علمية متأنية، لا يتصنع الافتعال العاطفي، أو التفاخر العلمي، والكسب العقلي، لأنه يصل لحقائقه بكل هدوء ورزانة، ويجعل القارئ يحسها قبل أن يقررها. ولأنه كان يتجنب الإفاضة والاستزادة بمواده ومعلوماته، ويكتفي بالقدر الذي ينصب مكثفاً مركزاً، ومحدداً لمجال أفكاره وحقائقه.

لذلك بدا لنا هذا الكتاب مرسوماً بوعي، ومخططاً له بيقظة وفهم، فجاءت محتوياته متكاملة متناسقة، من المقدمة، فالتمهيد، فأقسامه الثلاثة: من افتراءات حتي، ثم بروكلمان، والمقارنة بينهما، وحتى الخاتمة. وكل كلمة، أو عبارة، كانت ترفد قضيته الكبرى ـ دحض آراء المفترين على التاريخ الإسلامي ـ من خلال سياق الكلام المركز، وفي مجمل صفحات الكتاب.

وإن تلك القضية، (الكشف عن بعض التهم التي حاول المغرضون إلصاقها بالإسلام وإظهار زيفها)، لهي محور دراسة المؤلف وهدفه الأول. فانصب موضوعه وتركز في الرد على اثنين هما: «فيليب حتي» وكتابه [تاريخ العرب المطول]، و«كارل بروكلمان» وكتابه [تاريخ الشعوب الإسلامية].

وإذا كان المؤلف يدرك أنه ليس هو أول من كتب في ذلك المجال، فقد سبقه: أبو بكر ابن العربي، وإبراهيم شعوط، ومحمد الغزالي، وأحمد محمد جمال.. إلا أن كتاباتهم ـ كما يقول ـ كانت شاملة وعامة، ولم تتركز في الرد على رأي شخص معين.

ولهذا فسيكون كتابه

بمثابة كشف القناع عن شخصيتين اغتر بهما الكثير من المثقفين، وإظهارهما على حقيقتهما ونواياهما.

وكانت طريقة المؤلف في التناول، هي تقديم الفرية ثم الرد عليها وتفنيدها. وقد اختار فترة تاريخية ممتدة من بداية البعثة المحمدية حتى نهاية العصر العباسي الأول. ولذلك فقد تناول افتراءات كل من «حتي وبروكلمان» عبر العصور الثلاثة: النبوة، والراشدين، والأمويين والعباسيين. وبلغت افتراءاتها التي تعرض لها المؤلف ثماني وعشرين فرية، حاول في نهاية الكتاب ـ القسم الثالث ـ أن يقارن بين طريقة كل من المؤلفين في ذكر تلك المفتريات، وأدرجها تحت ثلاث قضايا هي: القضايا التي اتفقا على ذكرها، القضايا التي انفرد بها فيليب حتي، القضايا التي انفرد بها بروكلمان.

وإذا كان المؤلف يعتمد في دحض وتفنيد وانتفاء تلك الافتراءات، على القرآن والسنة وتفسير الثقات من الأوائل والمحدثين، وآراء العلماء المسلمين المعاصرين، وبعض المستشرقين... فقد كان يعتمد كذلك على مجهوده الذاتي ورؤيته الخاصة واستنتاجه المنطقي، كي تتضافر عملية المجابهة والرد القطعي على تلك الافتراءات الخطيرة، وبخاصة التي تمس العقيدة الإسلامية وجوهرها ورسولها، وتشكك المسلمين بدينهم وتاريخهم ورجاله على مر العصور.

ولقد ركز المؤلف ـ في تفنيده لآراء حتي وبروكلمان ـ على مجانبتهما الحقيقة، وذلك بتجنبهما مراجع الثقات من العرب المسلمين، واعتمادهما على الروايات والأخبار الضعيفة الهزيلة، وبناء آرائهما الخطيرة عليها.

فكان المؤلف دائماً يستعرض الكثير من الروايات والأخبار، ويؤكد الحقيقة إن أجمع عليها الرواة، ويستنكرها إن اختلفوا فيها، لأنه يرى أن «اختلاف الروايات دليل على عدم التأكد من الموضوع ذاته»، ولكنه لا يكتفي بهذا الموقف لإثبات الحقيقة، بل يلجأ إلى «الأخذ بالأقرب للواقع والمنطق والمطابق لواقع العصر والشخصية ذاتها»، ص ١٢٧.

كما أن المؤلف حين كان يلجأ إلى القرآن الكريم، فإنما ليجد في ضوئه انعكاساً وتفسيراً لقضايا هو بصددها. ولا تفوته أحياناً الجوانب اللغوية في القرآن، كي يوظفها في دعم آرائه.

ولقد توخى المؤلف دائماً الرصانة والموضوعية وتجنب التجريح بألفاظ حادة أو قاسية. وإن أشد قسوة ألفاظه لا تتعدى لفظ «الزنادقة» لخصومه، ولا سيما حين يتجهون بافتراءاتهم على القرآن أو إيمان الرسول، ص ٩٥، ليبقى محافظاً على سلوكه واتباعه أسلوب الحجة والإقناع المصحوبين بالمنطق والاستنتاج السليم الذي يشف عن رؤية صائبة وعقل سديد.

على أن المؤلف كان يتطرق لافتراءات لا خطورة منها، أو يقف عند ألفاظ، أو معان ربما كان «حتي» لا يعنيها بحذافيرها، أو قد تكون ألفاظاً عصرية لم يعهدها القدماء، فكان عليه ألا يتطرق أو يرد إلا على الفرية الخطيرة. مثلاً نرى المؤلف يرد على كلام «حتي» عن أحوال المسلمين بعد موقعة (أحد) الذي يقول فيه: «ولكن انتصار المكيين لم يدم، فما لبث الإسلام أن استرجع قواه وتحول ـ بعد الهزيمة ـ تدريجياً من دور الدفاع إلى دور الهجوم وأصبح انتشاره دائماً مؤكداً»: فيرد بقوله: «فلم تكن للإسلام قوة فقدها حتى يسترجعها..» كما حمّله معنى لم يرده بقوله: «وربما كان قصد «حتي» أن الإسلام انتشر بالسيف»، ثم يستطرد قائلاً: «فالقتال الذي أمر به الإسلام كله قتال دفاع، وليس قتال هجوم». وهذا الهجوم الذي تم به انتشار الإسلام لم يقصد به «حتي» إلا مجاهدة الذين لم يستجيبوا لدعوة الإسلام. وكذلك رده على قول «حتي»: [وجعل الدستور العسكري الاشتراكي لعمر سمواً للعروبة.. إلخ]. فلفظ «دستور عسكري» ربما كان يريد به الشدة أو الحزم في الحكم وليس ديكتاتورية أو فردية الحكم.





ليليان هيلمان .. والمسرح الحي!

«مسرح حياة ... والحياة مسرح»

عندما أسدل الستار للمرة الأخيرة في شهر يوليو (تموز) سنة ١٩٨٤م، خرج جمهور المسرح في نيويورك دون أن يدري أن الدراما الأمريكية قد أكملت مائة عام من عمرها الحافل بالحيوية والخصوبة وبالنشاط والنضال، وإنما مضى الجمهور كل إلى سيارته، لكي يعود بها إلى بيته، بعد أن استمتع بمسرحية «الثعالب الصغيرة»، التي كانت ثمرة جهاد استمر نصف قرن من الزمان.

ولم يكن جمهور تلك الليلة يعلم أنها الليلة الأخيرة في حياة «ليليان هيلمان» الكاتبة المسرحية الشهيرة، التي أسهمت بمسرحياتها في بلورة شخصية المسرح الأمريكية، وتحديد ملامح الدراما الجديدة، والانتقال بالشخصية المسرحية الأمريكية من نطاق المحلية إلى آفاق العالمية!.

بقلم: جلال العشري

إن جوانب ضعفنا الصغيرة تظل تتراكم في الجسم مثل حبات الجير، وينتهي الأمر إما باحتراق الشخصية من الداخل، أو بتفريغ طاقة لا تنتهي من الحيوية والنشاط..

ولم يكن يسيراً على هذه الكاتبة ولا على زملائها من كتّاب المسرح من جيل ما بعد **يوجين أونيل**، أن يتصدوا لغزو السينما أو التليفزيون لجمهور المسرح، بما في السينما من وسائل الإبهار، وبما في التليفزيون من أساليب الترفيه، فكان عليهم أن يبذلوا الجهد المتواصل في الابتكار والابتداع حتى يجتذبوا الجمهور إلى المسرح، استناداً إلى أن قراءة المسرحية المطبوعة ليس كافياً لأنه كقراءة النوتة الموسيقية.. حروف بلا حركة ولا حياة، وكذلك المسرحية المسجلة التي تظهر على الشاشة في التليفزيون، ليست كافية، لأنها تسلب المسرح كل ما فيه من فعل وانفعال.

إن المسرح حياة، لأن الحياة ذاتها مسرح كبير، وعلى ذلك فالمسرح له جمهوره.. وجمهوره العريض.. الذي يرتاده لكي يتفرج ويفكر، لكي يسمع ويستمتع، لكي يشاهد ويرى.. لكي يضرب بجناحيه كالنسور أو الصقور، دفاعاً عن حقها في المتعة الفنية والفكرية.

وإذا كان الستار قد أسدل في تلك الليلة، من ذلك الشهر، من تلك السنة، فإنه لا يسدل إلا لكي يرتفع من جديد، فالمسرحيات تتغير، وكتّاب المسرح يتجددون، وجمهور العرض المسرحي يتبدل كل ليلة، ولكن أكثر الأشياء ثباتاً في عالم المسرح، هي عبارة «إلى اللقاء في العرض القادم!».


ليليان هيلمان

رحلة المائة عام

لعل أول مسرحية أميريكية ظهرت في الولايات المتحدة، تلك التي كتبها **توماس جودفري** بعنوان **«أمير بارثيا»**، تمثلها فرقة أميريكية محترفة، وتعرض على **مسارح فيلادلفيا** سنة ١٧٦٧ م، ويستغرق عرضها يوماً واحداً فقط.

ذلك أن أميريكا لم ترزق بكتّاب مسرح كبار، في الوقت الذي كان حظها وافراً من الممثلين والمخرجين، ولذلك كان المسرح أكثر ازدهاراً من كتّاب المسرح، كما أن المؤلفين لم يتمكنوا من مسايرة الازدهار المسرحي، بسبب قلة التشجيع المادي من ناحية، وكثرة الإقبال على مسرحيات **شكسبير** من ناحية أخرى.

وبين توماس جودفري والكاتب المسرحي الكبير يوجين أونيل قرابة ١٥٠ عاماً، قضاها المسرح الأميريكي في نضال فني وفكري مرير، من أجل تحديد ملامح الشخصية الأميريكية بأقلام الكتّاب وأحاسيس الممثلين.

ولا يعني هذا أن الدراما الأميريكية الحديثة لم تعرف كاتباً مسرحياً قبل يوجين أونيل، فقد كان هناك أربعة كتّاب مسرحيين على الأقل، مهدوا الطريق لهذا الكاتب المسرحي الكبير، وإن كانت مسرحياتهم لم تعد تمثل الآن كما تمثل مسرحيات معاصريهم الأوروبيين من أمثال **إبسن، وبيورنسون، ومترلنك، وستريندبرج**.

غير أن أثر هؤلاء الكتّاب الأربعة وتأثيرهم لا ينكره أحد ولا يتنكر له، فقد استطاع كل

★ تينسي وليامز ★





★ فولتير ★

◄◄ إن الميلودراما التي تستخدم العنف دون هدف معين، ودون أن تبرز قيمة معينة، ودون أن تقول شيئاً، إنما هي أسوأ بكثير من المسرحيات التي لا تقول شيئاً على الإطلاق ►►►

من **هرن وهوارد وتوماس وفيتش** ، أن يرتفعوا بالذوق الشعبي ، وأن يشيعوا الوعي الاجتماعي ، وأن يؤكدوا الأدب القومي ، وأن يحددوا ملامح الشخصية الأميريكية ، وسمات المسرح الأميريكي . هذا على الرغم من أن الدراما الأميريكية الحقيقية لم تبدأ بالفعل إلا بالكاتب المسرحي الكبير يوجين أونيل ، الذي ملأ المسرح الأميريكي بشخصيات لا تنسى ، شخصيات رسمها من واقع الحياة ، ومن مراقبته للبشر ، شخصيات استمدها من صميم المجتمع ، وليس من متحف الشخصيات المسرحية ، شخصيات خلقتها ضرورة الموقف ولم تضعها تقاليد المسرح .

فالدراما الناضجة هي التي يكون الأبطال فيها جزءً من الحياة ، صورتهم وأعدتهم تجاربهم الماضية ، أما استجابتهم للمواقف فهي من وحي شخصياتهم لا من إلهام تقاليد المسرح . هذا بالإضافة إلى واقعية المواقف وواقعية الأشخاص ، باعتبارها المقدمة المباشرة لواقعية التمثيل وواقعية الإخراج ، ومعنى هذا أن الواقعية كانت عنصراً هاماً من عناصر الدراما الأميريكية الجديدة .

وهو ما نراه بشكل واضح في جيل ما بعد يوجين أونيل ، نراه عند **سيدني هيوارد ، وجورج كيللي ، وأوين ديفز ، وكليفورد أوديتس ، ووليم إنج ، وفيليب باري ،** فضلاً عن الكاتبين الكبيرين **تينسي وليامز ، وآرثر ميللر** ، ثم الكاتبة التي نكتب عنها الآن . . ليليان هيلمان !

المسرحية محكمة الصنع

إن ليليان هيلمان واحدة من رائدات الدراما الأميريكية الجديدة ، لها طابعها الخاص وأسلوبها المميز ، وإن اشتركت في صفات كثيرة مع زملائها من كتّاب جيل ما بعد يوجين أونيل .

فقد اشتهرت **من حيث الشكل الفني ،** بكتابة المسرحية محكمة الصنع ، أو المسرحية ذات الحبكة المتقنة ، التي لا تسمح بالحذف ، ولا تحتمل الإضافة ، التي لا تتيح للكاتب أن يتدخل بإقحام فكرة أو حشر شخصية إلا إذا كان لها دور درامي مرسوم ومحدد في دفع عجلة الأحداث .

أما من **حيث المضمون الفكري** ، فقد اهتمت بالعلاقات الشخصية المتداخلة ، والروابط الأسرية المتشابكة ، بما في ذلك من عواطف جامحة وانفعالات غير طبيعية ، على نحو مكنها من تجاوز الحدود الاجتماعية الضيقة ، إلى حيث التخوم الإنسانية العريضة ، **فشخصياتها وإن نبعت من جوف المجتمع الأميريكي ، إلا أنها اكتسبت على يدي هذه الكاتبة دلالتها الإنسانية العامة** ، ومن هنا كانت صفة العالمية التي تحققت في مسرحيات ليليان هيلمان ، التي فرضتها على خريطة المسرح الأوروبي ، بل والمسرح غير الأميريكي بوجه عام .

لقد ولدت ليليان هيلمان في **نيو أورليانز** عام ١٩٠٥ م ، وتنقلت بين **جامعتي كولومبيا ونيويورك** ، لتتلقّى تعليمها الجامعي . ودخلت عالم المسرح من نافذة الصحافة ، حيث **بدأت حياتها مراسلة صحفية** ، تهتم بأخبار المسرح ، ثم قارئة مسرحيات لدى المنتج المسرحي **هرمان شوملين في برودواي** .

وكانت أولى أعمالها المسرحية **«زمن الأطفال» ١٩٣٤ م** ، وفيها تعالج الآثار



★ آرثر ميللر ★

★ يوجين أونيل ★

المدمرة لإشاعة أطلقتها طفلة في إحدى المدارس الداخلية ، وكان من جراء هذه الإشاعة أن دمرت حياة فتاتين تعملان بالتدريس في ذات المدرسة ، وأهم ما في هذه المسرحية ، أن الكاتبة لم تتوقف عند الحادثة في حد ذاتها ، حادثة إطلاق الإشاعة ، ولكنها تعقبت آثارها النفسية وكذلك نتائجها الاجتماعية ، على المجتمع المحلي الذي اتخذته مسرحاً للأحداث ، ومن هنا كان نجاح المسرحية ، سواء على مستوى النقّاد أو على مستوى الجمهور .

وبعدها كتبت ليليان هيلمان **مسرحيتها الثانية « الأيام التالية »** ١٩٣٦ م ، لكنها لم تحقق من النجاح ما حققته مسرحيتها الأولى . وربما كانت الجرعة الميلودرامية الزائدة في المسرحية هي التي جعلتها هدفاً لسهام النقّاد وسبباً في إعراض الجمهور .

وسرعان ما كتبت **مسرحية « الثعالب الصغيرة »** ١٩٣٩ م ، التي استعادت بها ثقتها في نفسها ، وأعادت إليها ثقة النقّاد والجمهور جميعاً ، حتى لقد كُتب عنها **« تعد ليليان هيلمان من أصحاب أكثر العقول قوة وجرأة ، من بين كتّابنا المسرحيين المحليين ، فهي تغرق حتى أذنيها في مشكلات الحياة الاجتماعية المعاصرة ، ولا تترك الباب مفتوحاً لكي تهب منه العواطف الجامحة أو الأوهام الشعرية »** .

ثم كتبت مسرحيتها الجريئة **« مراقبة على نهر الراين »** ١٩٤١ م ، التي مزجت فيها بين الدوافع الإنسانية والمواقف السياسية ، وجسدت صراع الحب بين دسائس النازيين ونزعات الانفصاليين في الولايات المتحدة الأمريكية ، إنها تصور الصراع الأخلاقي في نفس أحد القادة المعادين للنازي ، ضد أحد الأرستقراطيين الرومانيين الذين يعيشون في واشنطن ، لكي تنتهي إلى أن أمريكا لا يمكنها أن تقف طويلاً مغلولة اليدين أو حتى على الحياد في الصراع الدائر ضد قوى **النازي** . فالنصر في النهاية لا بد أن يكون للحرية ! .

وبعدها كتبت مسرحيتها الأكثر جرأة **« الريح الكاشفة »** ١٩٤٤ م ، التي تناولت فيها التعديلات التي طرأت على سياسة أمريكا



الخارجية ، بعد أن واجهتها المشكلات الدولية والأزمات العالمية ، لكنها ظلت تدين بالسيادة للمبادئ الإنسانية ! .

ثم جاءت **مسرحية « الجانب الآخر من الغابة »** ١٩٤٦ م ، حيث عادت ليليان هيلمان لموضوعها الأثير في مسرحية « الثعالب الصغيرة » ألا وهو الجنوب الأمريكي ، فراحت تصور تلاعب الظروف الاقتصادية بمصير عائلة من عائلات الجنوب .

وفي عام ١٩٥١ م ، كتبت ليليان هيلمان **مسرحية « حديقة الخريف »** ، الحافلة بكافة معاني الإحباط النفسي لدى بطلة في سن اليأس ، قادمة من أوروبا إلى الولايات المتحدة الأمريكية ، لكنها استطاعت أن تستجمع كل ما بقي عندها من حيوية ونشاط ، وأن تدير ظهرها لكل ما حولها من مظاهر البلادة والخمول ، لكي تحصل على ثروة طائلة تعود بها إلى بلادها ، عوداً منتصراً .

وحاولت بعد هذه المسرحيات جميعاً ، أن تطرق أبواب **المسرح الغنائي** ، فأعدت في عام ١٩٥٦ م ، **رواية « كانديد » لفولتير** ، لكي تصبح مسرحية موسيقية ، وضع ألحانها **ليونارد برنستاين** ، في عام ١٩٦٠ م ،



★ شكسبير ★



★ إبسن ★

عادت ليليان هيلمان من جديد إلى طابعها الخاص وأسلوبها المميز ، فكتبت **مسرحية « الدمى في غرفة السطح »** ، حيث عالجت مصير عائلة أخرى من عائلات الجنوب الأمريكي ، وتعاملت مع مشكلة الشر في الحياة ، لكي ترتدي ثياب الواعظ التقليدي الذي يهاجم الخطيئة هجوماً مباشراً ، ويدعو إلى المثالية الأخلاقية في دنيا الواقع الاقتصادي والاجتماعي .

ويجيء عام ١٩٦٩ م ، لتعكف ليليان هيلمان على كتابة سيرتها الذاتية في كتاب بعنوان **« امرأة لم تنته بعد »** ، وفيه عرضت خبراتها وتجاربها العريضة والعميقة ، في كل من **إسبانيا وروسيا** ، كما روت عن علاقاتها الأدبية والفنية بقادة الفكر والفن في الولايات المتحدة .

المثل الأخلاقي

هذا هو كشف حساب ليليان هيلمان المسرحي ، ومنه ندرك كيف وهبت هذه الكاتبة حياتها كلها لفن المسرح ، فليس في حياتها أحداث بارزة ، ولا في سيرتها أنباء عظيمة الخطر ، وإنما حياتها كلها موجهة نحو هدف واحد بالذات ، أخلصت له الكاتبة حتى أعطته كل شيء ، فأعطاها بدوره كل شيء .

لم تتزوج ، فكان المسرح هو رجلها الذي أحبته وأخلصت له ، ولم تنجب أولاداً فكانت مسرحياتها هي كل ما أنجبت في الحياة ، ولم تعش في مجتمع أسري ، لكن الجمهور كان أسرتها ، وكانت عشيرتها هي المجتمع .

ومن حياتها استخلصت قانون العلاقة بين الفرد والمجتمع ، أو بين طبيعة الفرد وطبيعة الظروف الاجتماعية ، فالظروف الاجتماعية هي الخيوط التي يغزل منها الفرد كيانه ، وفي ضوئها تتحدد أفعاله وردود أفعاله ، ويا له من قانون صارم ، ذلك الذي يقول : « إن جوانب ضعفنا الصغيرة تظل تتراكم في الجسم مثل حبات الجير ، وينتهي الأمر إما باحتراق الشخصية من الداخل ، أو بتفريغ طاقة لا تنتهي من الحيوية والنشاط » .

هنا تبرز المثل العليا الأخلاقية ، مصابيح

على الطريق في رحلة الفرد في دروب المجتمع، فالشر عارض وزائل، أما الخير فباق وأصيل، **وعند ليليان هيلمان أن الفضيلة أمل .. أمل في الحياة، أما الرذيلة فهي اليأس، اليأس المرادف للموت.**

ولذلك نراها لا تتورع عن ارتداء زي الواعظ التقليدي الذي يهاجم الخطيئة مباشرة، خطيئة البلادة واليأس والخمول، ويدعو إلى الفكرة الأخلاقية التي تشيد بالحيوية، وتنشد الإيجابية، وتهتف لكل معاني الحركة والنشاط، حتى لقد عاب عليها النقّاد هذه المباشرة في مسرحية «حديقة الخريف»، و«الثعالب الصغيرة»، و«الجانب الآخر من الغابة»!.

الفرد صانع المجتمع

والواقع أن ليليان هيلمان في بحثها عن المثل الأعلى الأخلاقي لا تنظر إلى الفرد على أنه إفراز طبيعي لظروف المجتمع، وأنه أسير الحتمية الاجتماعية التي تحيط به من كل جانب، ولكنها توقن بالمسؤولية الشخصية الملقاة على عاتق الفرد، التي تمكنه من أن يكون صانعاً وليس صنيعة للمجتمع.

إن شخصياتها جميعاً شخصيات مسؤولة وملتزمة، تعرف المسؤولية اختياراً، وتعترف بالالتزام طواعية، ولا تعتذر بأنها غير مذنبة لأن الذنب كله هو ذنب المجتمع.

وهكذا نجد أن الصراع الدرامي في مسرحياتها سرعان ما يتحول إلى اختيار حر لدى الشخصيات التي قد تعرف القهر، وقد تواجه القسر، لكنها تثق في قوى الخير الكامنة في ضمير الكون، التي تنير لها الطريق في بحثها الدائم عن الخلاص.

والتاريخ شاهد على أن النصر في النهاية معقود على شخصيات تحدوا الفساد المستشري في عصرهم، وقاوموه ببسالة لا تعرف الخوف، فكانوا رواداً للوعي الإنساني، وصناعاً للضمير الأخلاقي، وتجسيداً حياً لكل معاني الخير في تطور الحضارة. هذا ما نراه بشكل صارخ في مسرحيتي «الرياح الكاشفة»، و«مراقبة على نهر الراين».

لقد استطاعت ليليان هيلمان أن تضفي على مضمونها المسرحي، فكرة إنسانية شاملة في هاتين المسرحيتين أكثر من غيرهما، **فهي تؤكد على أن الأخلاق هي ضمير السياسة، ويوم تتعرى السياسة من المثل العليا الأخلاقية، تصبح شيئاً بلا ضمير، مجرد مناورات ملتوية وألاعيب رخيصة، قد تهدئ من أعصاب العالم، وقد تسكن آلام الشعوب، ولكنها لا تخلف سوى الحقد والبغض والكراهية، وكل نزعات الفاشية والنازية والدكتاتورية.**

ومن هنا كان اهتمام ليليان هيلمان بالكشف عن الخطأ الأخلاقي والسيكولوجي في عالمنا المعاصر، خطأ سياسة توازن القوى، الذي لا يفرز سوى الشعارات الرنانة والكلمات الجوف، التي تتشدق بها القوى المتصارعة أو المتناورة بصرف النظر عن سعادة الإنسان وسط هذه القوى.

إن الخلاص لا يكون بالأقوال التي قد تثير الإعجاب، ولكنه بالأفعال التي تنال الاحترام، وهذه الأفعال تقتضي الإرادة القوية، والذكاء الواعي، والجهد المبذول، والإحساس البشري بالآخرين، وعند ليليان هيلمان أن العمل المثمر للبشرية هو المقياس الحقيقي والوحيد لدور الإنسان في الحياة.

الميلودراما .. أو المسرحية الدامعة!

ولكن .. هل كانت هذه المضامين الإنسانية الإيجابية والرؤيا الشمولية العامة، تقتضي من الكاتبة أن تلزم نفسها بما لا يلزم من مسرحيات محكمة الصنع، وميلودرامات مسيلة للدموع؟.

لقد عاب عليها النقّاد افتقار مسرحياتها إلى الإشباع الجمالي والرضا النفسي، وخلوها من لمسات الشعر والخيال، بسبب حرصها البالغ على إطار المسرحية محكمة الصنع، والطابع الميلودرامي المسيل للدموع، وإن قنع المسرحيات بأقنعة إنسانية مسطحة.

ولكن ليليان هيلمان تدافع عن المسرحية المحكمة الصنع، ولا ترى في الحبكة المتقنة، ولا في البناء المحكم، ولا في التخطيط الفني ما يعيب العمل المسرحي، بل على العكس من هذا تماماً، نراها تعجب كيف يكون المنطق في توالي الأحداث والإتقان في رسم الشخصيات، والدقة في إدارة الحوار، مما يعاب على أي عمل فني!.

ومتى كانت المسرحية المحكمة الصنع، ضد الإثارة والتشويق، وعلى النقيض من الشعر والخيال؟. إنه إذا كان **برنارد شو** في أواخر القرن الماضي قد عاب على المسرحية حبكتها الكاملة وحتميتها المطلقة، فلا يعني هذا أن كل مسرحية من هذا القبيل، تضحي بالقيمة الجمالية من أجل الشكل المتناسق فقط المتسق وكفى.

وهذا ما عبّرت عنه بقولها: «إنه لا يوجد ما يسيء إلى أية مسرحية مخططة تخطيطاً شديد الدقة ومحكمة البناء ومتينة النسيج، فهذه جميعاً شروط ضرورية لأي شكل فني متكامل، ومن الغباء تلوين الحقائق النقدية إلى الحد الذي يقلب المعايير الجمالية رأساً على عقب».

أما عن الميلودراما التي تحتوي على مجرد العنف والشر وإسالة الدموع وإراقة الدماء، فهي تتصدى لها بالهجوم الشديد، وترفض أي عمل مسرحي، ما لم يحتو على فكرة إنسانية، أو قيمة أخلاقية أو قضية اجتماعية، وفي هذا تقول: **«إن الميلودراما التي تستخدم العنف دون هدف معين، ودون أن تبرز قيمة معينة، ودون أن تقول شيئاً، إنما هي أسوأ بكثير من**


★ ستراندبرج ★


★ كليفورد أوديتس ★



المسرحيات التي لا تقول شيئاً على الإطلاق ».

والواقع أننا لا نكاد نجد مسرحية لهذه الكاتبة ، إلا ونراها تقوم بتوظيف العنف توظيفاً درامياً ، يكون بمثابة وسيلة لتحقيق أهداف درامية بالذات ، خاصة إذا كان موضوعها الأثير هو الصراع الدائر بين الخير والشر في المجتمع .

وهذا هو ما فعله برنارد شو في مسرحية **« تلميذ الشيطان »** حين استخدم كل حيل الميلودراما من إثارة بالغة ، وخطابة زاعقة ، وشخصيات شاطحة ، وحرب وضرب ، ومحاكمة وهروب ، ووصية لميت تتلى على ورثته وتحمل معها المفاجآت . وكأنما يفيد من شكل الميلودراما المثير للحماس ، والقادر على تعبئة الجماهير ، في الدعوة إلى كراهة الاستعمار ، وفي التنديد بنفاق « الأخبار » ، وفي بث فكرة أن الخير ينبغي أن يقصد لذاته ، بصرف النظر عن أي ثواب .

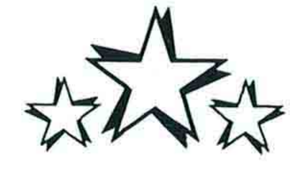
إن برنارد شو كمن يخرج لسانه لنقّاد الميلودراما ، وهو يقول : « نعم .. هذه هي الميلودراما التقليدية ، ولكن انظروا كيف أطوعها لخدمة الأهداف التقدمية والقضايا الإنسانية ! » .

نعم .. إن ليليان هيلمان لا ينطبق عليها المفهوم التقليدي للمسرحية الميلودرامية التي تعنى فقط بالعنف والقسوة وإسالة الدموع ، دونما مضمون فكري إنساني ، أو هدف أخلاقي نبيل . إنها لا تتردد في استخدام فن الميلودراما لعلاج القضايا الاجتماعية والسياسية والاقتصادية التي يزخر بها عصرنا الحاضر ، علاجاً تقدمياً وإنسانياً يهم الجماهير .

إنها بهذا تخدم قضية المجتمع وقضية الانتشار المسرحي معاً ، فإن أعمالا ميلودرامية تقدمية المضمون ، إنسانية المحتوى ، كفيلة بأن تلهب خيال الجمهور ، وتستحوذ على اهتمامه ، وتجعله يلتف في وقت واحد ، حول قضايا المجتمع وفن المسرح ! .

امرأة لم تنته بعد !

وربما كان أكبر إنجاز للكاتبة ليليان هيلمان ، في الدراما الأميريكية المعاصرة ، بالإضافة إلى براعتها في البناء الدرامي المحكم ، والنزعة الميلودرامية الجديدة ، أنها أكدت قدرتها على طرح الآراء والرؤى في مسرحياتها ، وأنها جمعت بين فني المتعة النفسية في المسرح ، والخلاص الاجتماعي في الحياة . إنها وإن رحلت عن عالمنا كامرأة ، إلا أنها ككاتبة .. لم تنته بعد ! .



ابن رشد

عميد الفلاسفة

بقلم : د . محمد عاطف العراقي

إن فيلسوفنا ابن رشد يعد أكبر عميد للفلسفة في بلدان العالم العربي ، ولا تذكر كلمة الفلسفة إلا ويذكر معها ابن رشد ، ولا نتحدث عن المذهب العقلي إلا ويتبادر إلى أذهاننا اسم هذا الفيلسوف وفلسفته .

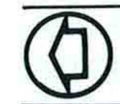
ابن رشد وفلسفته

قد لا نكون مبالغين في القول إذا ذهبنا إلى أن الفيلسوف الأندلسي أبو الوليد ابن رشد يعد أعظم فلاسفة العرب على وجه الإطلاق . نقول هذا ونحن نضع في اعتبارنا أنه أكثر الفلاسفة تأييداً للعقل وللمنهج العقلي . كما نضع في اعتبارنا عمق آرائه وتأثير تلك الآراء على مفكرين غربيين وذلك من خلال ما يعرف بالرشدية اللاتينية .

إن فيلسوفنا **ابن رشد** يعد أكبر عميد للفلسفة في بلدان العالم العربي ، ولا تذكر كلمة الفلسفة إلا ويذكر معها **ابن رشد** ، ولا نتحدث عن **المذهب العقلي** ، إلا ويتبادر إلى أذهاننا اسم هذا الفيلسوف وفلسفة هذا الفيلسوف .

من هنا لم يكن غريباً أن يُعقد الكثير من المؤتمرات لإحياء ذكرى هذا الفيلسوف ، ومن هذه

★ ابن رشد ★





ابن رشد عميد الفلاسفة



★ أرسطو ★

المؤتمرات ما عقد في بلدان غربية أوروبية ، ومنها ما عُقِدَ مؤخراً بمدينة **الجزائر** بمناسبة مرور ثمانية قرون على وفاة الفيلسوف **ابن رشد** . وقد نشرت بحوث هذا المؤتمر في مجلدين . وقد تناولت البحوث جوانب عديدة من فكر وفلسفة **ابن رشد** . بالإضافة إلى قيام الأب **جورج قنواتي** بإصدار مجلد ضخم عن مؤلفات **ابن رشد** ، سواء منها المخطوطة أو المطبوعة ، وكان هذا المجلد أكبر عون للدارسين في **فلسفة ابن رشد** .

ونود قبل تحليلنا لفلسفة الفيلسوف المغربي الأندلسي ، أن نعرض بإيجاز لحياة الفيلسوف الفكرية والمجالات التي اهتم بها .

حياته

ولد **ابن رشد** ببلاد الأندلس عام ٥٢٠ هـ - ١١٢٦ م . وقد تعمق **ابن رشد** في دراسة **الفقه** على مذهب **مالك** . وهو ذلك المذهب الذي كان يسود بلاد المغرب العربي . وقد ترك لنا **ابن رشد** الكثير من الكتب والرسائل التي تبحث في مجال الفقه ، ومن أهم هذه الكتب على وجه الإطلاق ، كتابه **« بداية المجتهد ونهاية المقتصد »** . وكان يغلب على **ابن رشد** حتى في دراسته للفقه ، الجانب العقلي ، وقد أشار إلى ذلك كثير من المؤرخين .

وقد تولى **ابن رشد** وظيفة **القاضي** في مختلف بلاد الأندلس ، بل وصل إلى **منصب قاضي القضاة** ، وهو ذلك المنصب الذي كان يعد من أرفع المناصب ببلاد الأندلس .

وإذا كان **ابن رشد** قد تعمق في دراسة الفقه ، فإنه قد تعمق أيضاً في دراسة علم الكلام . وقد ساعدته هذه الدراسة على معرفة الأخطاء التي وقع فيها **علماء الكلام** وخاصة **الأشاعرة** ، مما دفع **ابن رشد** إلى نقدهم نقداً عنيفاً ، بحيث إننا لا نجد فيلسوفاً من فلاسفة العرب اهتم بنقد آراء المتكلمين أكثر من فيلسوفنا **ابن رشد** .

ولم يقتصر **ابن رشد** على دراسة الفقه وعلم الكلام فحسب ، بل إنه اهتم أيضاً بدراسة **آراء الفلاسفة** الذين سبقوه سواء منهم فلاسفة اليونان القدامى وخاصة **أرسطو** ، أو فلاسفة العرب **كالفارابي وابن سينا** في المشرق العربي **وابن باجه وابن طفيل** في المغرب الإسلامي . وكثيراً ما نجد ذكراً لهؤلاء الفلاسفة بين ثنايا مؤلفات **ابن رشد** مما يدل على أنه كان واسع الاطلاع على آرائهم ومذاهبهم .

اهتمامه بالطب

كما نجد **ابن رشد** - كما سترى بعد قليل - مهتماً بمجال **الطب** ومجال شرح كتب **أرسطو** . وبهذا جمع **ابن رشد** بين هذه الميادين العديدة بعد دراسته الطويلة أثناء حياته ، حتى أنه لم يترك النظر ولا القراءة إلا ليلة وفاة أبيه وليلة بنائه على أهله .

وقد اهتم **ابن رشد** - كما أشرنا منذ قليل - بمجال الطب . صحيح أن شهرة **ابن رشد** في مجال الطب لا تبلغ شهرة **ابن سينا** في هذا الميدان ، ولكن **ابن رشد** قد اهتم بدوره بدراسة مجال الطب وترك لنا مجموعة من الدراسات في هذا المجال ، **أهمها** كتابه القيم **« الكليات »** .

ومن الطبيعي أن يهتم كثير من فلاسفة العرب بمجال الطب ، إذ إن الفلسفة كانت تبتلع كل العلوم في جوفها ، وذلك على العكس مما نراه الآن ، إذ أصبح الطب علماً مستقلاً عن الفلسفة .

وفي كتاب **« الكليات » لابن رشد** نجد دراسة لكثير من المجالات التي تدخل في ميدان الطب ، ومن بينها تحديد موضوع صناعة الطب ، والعلاقة بين الطب والعلم الطبيعي ومصدر الحركة في جسم الإنسان ، ووصف الأمراض التي تعتري الجسم وكيفية الوقاية منها أو علاجها .

وإذا كنا نجد نظريتين في الطب ، نظرية ترجع مصدر الحياة والحركة إلى القلب ، ونظرية ترجع ذلك إلى الدماغ . فإن **ابن رشد** بفضل النظرية الأولى متابعاً في ذلك **أرسطو** ، ويرفض النظرية الثانية التي قال بها **جالينوس** الطبيب .

وما يقال عن اهتمام **ابن رشد** بمجال الطب ، يقال عن اهتمامه بشرح كتب **أرسطو** . **إذ إن ابن رشد** قد عُرف في بلاد الغرب كشارح **لأرسطو** كما عُرف كفيلسوف .

شروح ابن رشد

وقد شرح **ابن رشد** ، **أرسطو** ، ثلاثة أنواع من الشروح . شرح أكبر وشرح وسيط وشرح أصغر أي تلاخيص .

في الشرح الأكبر يتناول **ابن رشد** كل فقرة من كتاب **أرسطو** ويأخذ في شرحها وتفسيرها بطريقة تفصيلية ويميز بين كلام أرسطو وبين شرحه وتفسيره . وهذا الشرح الأكبر يعد خاصاً بابن رشد ، بمعنى أننا لا نجد هذا النوع عند الفلاسفة الذين سبقوه . ومن أجل هذا الشرح الأكبر واهتمام فيلسوفنا به ، عُرف **ابن رشد** في الغرب باسم **« الشارح »** .

أما في الشرح الأوسط، فإن **ابن رشد** يذكر أول النص الأرسطي ، ثم يأخذ في شرح الباقي دون أن يميز بين ما هو خاص به وما هو خاص بفيلسوفه **أرسطو** .

وفي التلخيص وهو النوع الثالث من الشروح ، فإن **ابن رشد** يتكلم باسمه الخاص ، **فهو يضيف** تارة ويحذف تارة أخرى .

ونود أن نشير إلى أن **ابن رشد** قد تأثر تأثراً كبيراً بأرسطو . وهو يبدي اعجابه بأرسطو في كثير من كتبه وشروحه . فابن رشد يقول على سبيل





★ الفارابي ★ ★ ابن سينا ★

المثال في مقدمة شرحه لكتاب الطبيعة لأرسطو: «مؤلف هذا الكتاب - أي أرسطو - أكثر الناس عقلاً. وهو الذي ألف في علوم المنطق والطبيعيات وما بعد الطبيعة وأكملها. وسبب قولي هذا، أن جميع الكتب التي ألفت قبل مجيء أرسطو في هذه العلوم، لا تستحق التحدث عنها».

وإذا كان ابن رشد في حياته الفكرية قد اهتم بالفقه وعلم الكلام والفلسفة والطب، كما اهتم بالشروح، فإنه قد اهتم أيضاً برده على ابن سينا والغزالي، فكثير من الآراء التي توصل إليها ابن رشد تخالف ما توصل إليه ابن سينا فيلسوف المشرق العربي.

وكان ابن رشد مهتماً أيضاً بالرد على الغزالي الذي لا يعد في الواقع فيلسوفاً، بل هو متكلم أشعري وصوفي. وإذا كان ابن رشد يعد عدواً لدوداً لآراء الأشاعرة ولآراء الصوفية، فقد كان متوقعاً منه الرد على الغزالي، إذ إن الغزالي ذهب في كتابه «تهافت الفلاسفة» إلى تكفير الفلاسفة في مجموعة مسائل. ولكن ابن رشد يؤلف «تهافت التهافت» ليرد على الغزالي ويكشف عن الأخطاء التي وقع فيها الغزالي وما أكثرها.

هذا عن الحياة الفكرية للفيلسوف المغربي الأندلسي، ابن رشد. ونجد أنه من المناسب قبل أن ننتقل إلى عرض وتحليل فلسفة ابن رشد، أن نقف وقفة قصيرة عند النكبة التي حدثت لابن رشد، تلك النكبة التي تمثلت في نفيه وإبعاده عن قرطبة ببلاد الأندلس فترة من الزمان. وعلى كل حال فما حدث لابن رشد يعد أخف مما حدث لمفكرين وفلاسفة آخرين. فسقراط قد أعدم، والسهروردي قد قتل، والحلاج أيضاً قد تم إعدامه وقتله إلى آخر هؤلاء المفكرين.

نكبة ابن رشد

فإذا رجعنا إلى موضوع حديثنا وهو ابن رشد، فإننا نجد كتب التراجم تخبرنا أن ابن رشد قد حدثت له نكبة تمثلت في نفيه بعيداً عن قرطبة حيث كان يعيش، وصدرت أوامر الخليفة بعد ذلك بعدم الاشتغال بعلوم الفلسفة والمنطق وبإحراق كتب الفلسفة كلها والإبقاء على كتب الطب والحساب وعلوم الفلك التي تؤدي إلى معرفة أوقات الليل والنهار واتجاه القبلة في الصلاة.

وقد قيلت بعض الأبيات بمناسبة نكبته من بينها:

الآن قد أيقن ابن رشد
أن تواليفه توالف
يا ظالماً نفسه تأمل
هل تجد اليوم من توالف

وقد اختلفت الآراء حول نكبته والأسباب التي أدت إليها، ولا نريد الخوض في هذا الموضوع بطريقة تفصيلية ونكتفي بالقول إن السبب الرئيسي الذي أدى إلى نكبة ابن رشد - فيما يبدو لنا - هو اهتمامه بالاشتغال بالمنطق والفلسفة، خاصة إذا وضعنا في الاعتبار أن بلاد الأندلس في تلك الفترة كان يوجد فيها اتجاه نحو تحريم الاشتغال بالمنطق والفلسفة، وإذا وضعنا في الاعتبار أيضاً أن الخليفة بعد أن أصدر أوامره بنفي ابن رشد أمر بإحراق كتب المنطق وكتب الفلسفة.

لعلنا نكون قد أوضحنا حتى الآن الجوانب الفكرية لحياة فيلسوفنا ابن رشد، إذ إن معرفة هذه الجوانب الفكرية يساعدنا على تفهم آرائه في مجال الفلسفة.

ونود بعد ذلك - في حدود النطاق المرسوم لهذه المقالة - أن نعرض لكثير من آراء ابن رشد سواء ما تعلق منها بالمعرفة أو بالوجود أو بالإنسان أو بالإلهيات.

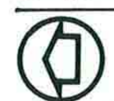
ابن رشد .. والمعرفة

إن ابن رشد في مجال دراسته لنظرية المعرفة يتأثر بأرسطو تأثراً كبيراً. وقد حاول ابن رشد إثبات وجود قوة ناطقة في الإنسان تختلف عن القوى الأخرى كالحس مثلاً. وعلى هذا فابن رشد يعد فيلسوفاً عقلانياً لأنه لم يكتف بالوقوف عند الحس كما هو الحال بالنسبة للفلاسفة الحسيين أو الماديين في تاريخ الفلسفة، بل إنه يصعد من الحس إلى العقل، يتجاوز المحسوسات بحيث يرتفع منها إلى المعقولات. نجد هذا في العديد من كتب ابن رشد ككتابه «تهافت التهافت» بالإضافة إلى تلخيص ما بعد الطبيعة وتلخيص كتاب النفس لأرسطو.

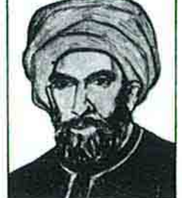
ولما يصعد ابن رشد من المحسوس إلى المعقول، فإنه يصعد تبعاً لذلك من الجزئيات إلى الكليات، إذ إن الجزئيات تتعلق بالمحسوس، أما الكليات التي نصل إليها عن طريق التجريد الذهني فإنها تتعلق بالمعقول.

وقد فرق ابن رشد أيضاً في مجال دراسته لنظرية المعرفة بين عقل نظري وعقل عملي. كما نجد من جانبه تفرقه بين **الإحساس والتخيل والغريزة والتجربة والعقل** إلى غير ذلك من الجوانب التي أفاض فيلسوفنا ابن رشد في دراستها وتحليلها.

ونود أن نشير إلى أن ابن رشد إذا كان يرفض الطريق أو الاتجاه الصوفي، ذلك الطريق الذي يعتمد على القلب أو الذوق والوجدان، فإنه في مجال دراسته لنظرية المعرفة، كشف عن أخطاء هذا الطريق، طريق المتصوفة. إن الصوفية حينما يتحدثون عن الاتحاد وعن الحلول ويتصورون أن







★ ابن طفيل ★

ذلك يمثل السعادة القصوى ، فإن هذا يعد ـ فيما يرى ابن رشد ـ خطأ . إذ إن السعادة لا تتمثل إلا في العلم ، أي الصعود من المحسوس إلى المعقول ، وهو ذلك الجانب النظري لا الجانب الذي يتحدث عنه الصوفية والذي يعد جانباً عملياً لأنه يعتمد على الزهد والتقشف .

ولعل تفضيل **ابن رشد** للجانب العقلي النظري ، كجانب يوصل إلى السعادة ، يعد من جانبه تأثراً بتعريف الفلسفة وبيان الغاية منها عند فريق من فلاسفة اليونان ، إذ إن الفلسفة عندهم هي التشبه بالله بقدر الطاقة البشرية .

هذا ما نجده عن **ابن رشد** بالنسبة لنظرية المعرفة : صعود من الحس إلى العقل ، وارتفاع من الجزئي إلى الكلي ، ونقد لطريقة الاتصال الصوفي ، وتأكيد على الجانب النظري كجانب يوصل إلى الاتصال والسعادة القصوى .

ابن رشد .. والوجود

وإذا انتقلنا من المعرفة إلى الوجود ، وجدنا اهتماماً من جانب **ابن رشد** بدراسة هذا المجال ، الذي يعد مجالا ميتافيزيقياً أساساً .

ونستطيع القول إن أبرز مشكلة يتعرض **ابن رشد** لدراستها في هذا المجال الميتافيزيقي ، مجال الوجود ، هي مشكلة قِدَم العالم .

وقد كان هذا متوقعاً من **ابن رشد** ، إذ إن قول فلاسفة العرب بقِدَم العالم كان موضعاً من المواضع التي كفر فيها الغزالي الفلاسفة .

والواقع أن الخلافات قد كثرت وتشعبت حول القول بحدوث العالم من جهة والقول بقدم العالم من جهة أخرى . فالمتكلمون بوجه عام ومنهم **الغزالي** يقولون بحدوث العالم ، أي أن اللّـه تعالى خلق العالم من العدم ولم يكن معه تعالى مادة أولى .

أما فلاسفة العرب ـ إذا استثنينا **الكندي** الذي تابع التيار الكلامي ، **والغزالي** الذي لا يعد فيلسوفاً بأية حال من الأحوال ـ فإنهم يقولون بقدم العالم ، بمعنى أن الله تعالى أوجد العالم من مادة أولى أزلية .

وإذا كان فلاسفة العرب بوجه عام قد ارتضوا لأنفسهم القول بقدم العالم ، فإن هذا يعد من جانبهم تأثراً بالفيلسوف اليوناني **أرسطو** الذي أثر بدوره القول بقدم العالم كما ذهب إلى ذلك قبله أستاذه **أفلاطون** .

وفيلسوفنا **ابن رشد** ، قد آثر القول بقدم العالم وذلك بعد أن استعرض أدلة المتكلمين من الأشاعرة على حدوث العالم . ومن هنا يختلف موقف **ابن رشد** عن موقف **الغزالي** .

ولم يكتف **ابن رشد** في مجال دراسته للوجود ، بدراسة مشكلة قِدَم العالم فحسب ، بل إنه درس العديد من المشكلات الأخرى التي تدخل في إطار البحث في الوجود .

من هذه المشكلات ، مشكلة كيفية صدور الكثرة عن الواحد ، وهي ما تعرف بمشكلة الفيض أو الصدور .

ونود أن نشير إلى أننا نجد مجموعة من الفلاسفة والمفكرين قد قالوا إن الواحد لا يصدر عنه إلا واحد وهكذا يصدر عن هذا الواحد واحد غيره حتى نصل إلى عقول عشرة . ومن الذين قالوا بذلك **الفارابي وابن سينا وإخوان الصفا** .

أما فيلسوفنا **ابن رشد** فقد نقد رأيهم نقداً عنيفاً وذهب إلى أنه لا مانع من صدور الكثرة عن الواحد تعالى ، أي لا نجد ضرورة في القول إنه من اللازم أن يصدر عن الواحد ، واحد ، أي العقل الأول .

وإذا كان **ابن رشد** قد درس هذه المشكلة ، مشكلة الفيض أو الصدور ، فإنه درس أيضاً في مجال الوجود ، صفات الأجرام السماوية ، وبيَّن لنا ـ متأثراً في ذلك **بأفلاطون وأرسطو** ـ أن طبيعة الأجرام السماوية غير طبيعة الأجسام الأرضية . وذلك طبقاً لتقسيم العالم إلى قسمين : **قسم علوي** وهو عالم ما فوق فلك القمر ، **وقسم سفلي** وهو عالم الكون والفساد ، أي عالم ما تحت فلك القمر . إن ما ينطبق على العالم السفلي لا ينطبق على العالم العلوي . إذ إن العالم السفلي نجد فيه عناصر أربعة تخضع للكون والفساد ، وهذه العناصر هي : **التراب والماء والهواء والنار** . أما العالم العلوي ، فإن الأجرام الموجودة فيه كالشمس والقمر والنجوم والكواكب ، من مادة الأثير . وهذه المادة لا تخضع لعوامل الكون والفساد .

وهذا الرأي من جانب فريق من فلاسفة اليونان ، وفلاسفة العرب ومنهم **ابن رشد** لا يعد الآن بمعيار العلم الحديث رأياً صحيحاً . إذ لا نجد في العلم الحديث تمييزاً بين سفلي وعلوي ، كما لا نجد في العلم الحديث أي جانب كيفي .

السببية

وقبل أن ننتقل من مجال دراسة **ابن رشد** لمشكلة الوجود ، إلى مشكلة أخرى ، نود أن نشير إلى رأي **ابن رشد** حول السببية ، أي العلاقة بين الأسباب والمسببات ، إذ إن مشكلة السببية تعد إحدى المشكلات التي تدخل في صميم الوجود .

وإذا كان **الغزالي** ـ متابعاً في ذلك للأشاعرة ـ قد ذهب إلى أنه لا توجد ضرورة بين النار واحتراق الأجسام ، بمعنى أن الأجسام ، قد لا تحترق رغم مجاورة النار لها ، فإن **ابن رشد** كان حريصاً على تأكيد العلاقات الضرورية بين الأسباب ومسبباتها . فلا بد أن تؤدي النار إلى احراق من جاورها .



★ ابن ماجه ★



★ سقراط ★

إن خصائص الأشياء تعد ثابتة . وهذا يعد التزاماً من جانب **ابن رشد** بمنطق الثبات والضرورة واليقين ونفياً من جانبه لمنطق الجواز والإمكان .

هذا ما نجده عند **ابن رشد** فيما يتعلق ببحثه في مجال الوجود ، هذا المجال الميتافيزيقي الذي اهتم به كثير من الفلاسفة . بل إن الفلسفة منذ قديم الزمان قد بدأت بالبحث في الوجود . نجد عند **ابن رشد** تأكيداً على القول بقدم العالم ، وتفرقه بين الميكانيكا الأرضية والميكانيكا السماوية ، ونفياً للقول بالفيض أو الصدور ، وإيماناً بأن العلاقات بين الأسباب والمسببات تعد علاقات ضرورية وثابتة .

الإنسان

فإذا انتقلنا من البحث في الوجود إلى البحث في الإنسان ، وجدنا عند **ابن رشد** اهتماماً بالبحث في هذا المجال ، مجال الإنسان .

وإذا حللنا فلسفة **ابن رشد** كلها ، استطعنا القول إن أبرز مشكلتين اهتم بدراستها فيلسوفنا **ابن رشد** وتدخلان في هذا المجال الإنساني ، هما مشكلة **الخير والشر** ومشكلة القضاء والقدر .

فبالنسبة لمشكلة الخير والشر ، نجد عند **ابن رشد** تأكيداً بأن الخير يغلب على الشر . وهذا يعرض من جانبه تأثراً بالفيلسوف المشرقي **ابن سينا** ، إذ إن **ابن سينا** قد بيَّن لنا أن الخير يمثل الأغلبية والشر يمثل الأقلية ، أي أننا نجده نادراً إذا قارنا بينه وبين الخير الذي يسود العالم الطبيعي .

وقد بحث **ابن رشد** في هذه المشكلة وربطها ببحثه في العناية الإلهية . فإننا إذا كنا نقول بعناية الله بالكون ، فإنه لا بد إذن من التسليم بأن الخير هو الغالب وليس الشر . فالنار خيرها أكثر من شرها . إننا إذا كنا نجد النار تؤدي إلى بعض الشرور أو الأضرار ، فإن هذا ينتج عن طبيعتها ، ولا يمكن أن نقول إنه من الأفضل أن تكون النار باردة حتى لا تؤدي إلى هذه الأضرار ، إذ إن خلق النار باردة يؤدي إلى أضرار أكثر من تلك الأضرار التي تترتب على كونها حارة . وهذه الفكرة التي يقول بها **ابن رشد** ، متأثراً في ذلك **بابن سينا** إلى حد ما ، تتشابه إلى حد كبير مع ما ذهب إليه الفيلسوف الألماني في العصر الحديث ، **ليبنتز** ، حين قال إنه ليس في الإمكان أبدع مما كان ، صادراً في مذهبه ذلك عن الإيمان بالتفاؤل .

هذا عن الخير والشر ، أما بالنسبة للمشكلة الثانية وهي مشكلة القضاء والقدر ، فقد اهتم **ابن رشد** اهتماماً كبيراً بدراستها . ويمكن أن نقول إنه كان أكثر الفلاسفة العرب اهتماماً بدراستها والبحث فيها .

إننا لو استعرضنا الآراء التي قيلت حول هذه المشكلة ، وجدنا رأياً يعتقد بالجبر ، بمعنى أن الإنسان لا حول له ولا قوة . إنه كالريشة في مهب الريح . هذا الرأي هو ما تقول به فرقة الجبرية أو الجهمية أتباع **جهم بن صفوان** .

أما الرأي الثاني فهو على الضد من ذلك . إن هذا الرأي يذهب إلى أن الإنسان حر الإرادة ، ولا يمكن الاعتقاد بالثواب والعقاب في الآخرة إلا إذا كان الإنسان مسؤولا عن أفعاله ، أي له إرادة حرة . ومن أقوى المعبرين عن هذا الرأي ، فرقة **المعتزلة** .

أما الرأي الثالث فإنه رأي يحاول التوفيق بين القول بالجبر والقول بالحرية ، حرية الإرادة الإنسانية . هذا الرأي هو رأي **الأشاعرة** أو أهل السنّة .

والواقع أننا لو تأملنا في رأي الأشاعرة ، وفي محاولتهم التوسط والتوفيق بين الرأيين ، لوجدنا أنهم فشلوا في التوفيق ، بحيث يمكن القول إن رأيهم يدخل في دائرة الاعتقاد بالجبر .

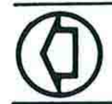
وقد تنبه فيلسوفنا **ابن رشد** إلى ذلك . إنه حين يعرض الآراء التي سبقته ، يتحدث عن **الأشاعرة** كما يتحدث عن أهل الجبر ، بمعنى أن الأشاعرة تعد آراؤهم معبرة عن الاعتقاد بالجبر .

إن **ابن رشد** يعرض في البداية للآيات القرآنية الكريمة وللأحاديث النبوية الشريفة التي تتعرض لهذه المشكلة ، مشكلة القضاء والقدر أو مشكلة الجبر والاختيار .

ويحاول **ابن رشد** حل هذه المشكلة ، التي تعد إلى حد كبير قديمة قدم الفكر الفلسفي الإسلامي ، وذلك عن طريق ضرب الأمثلة التي ينتهي بعد عرضها إلى أنه من الأفضل الاعتقاد بحرية الإرادة ، دون أن يعد ذلك تدخلاً في الإرادة الإلهية .

فابن رشد يفرق بين الإرادة الداخلية الإنسانية من جهة ونواميس الكون من جهة أخرى . فأنا داخلياً أعتقد بأنني حر الإرادة ، حر في الخروج من منزلي إلى مكان آخر ، ولكن نواميس الكون تعد منظمة لهذه الحرية ، حرية الإرادة ، بحيث لا تجعل حريتي حرية مطلقة شاملة . وإذا تساءلنا وقلنا لماذا يوجد الله تعالى نواميس الكون هذه ، تلك النواميس التي قد تحد من بعض جوانبها مقيدة لإرادتي ، أجابنا **ابن رشد** بأن الكون لا بد له من نواميس ، وبدون هذه النواميس لا يكون الكون كوناً . إننا لا يمكن أن نتصور كوناً بدون شمس ولا قمر ولا جبال ، تماماً كما نقول إنه لا بد من وجود قوانين وعادات وتقاليد لكل مجتمع من المجتمعات ، وبدونها لا يكون المجتمع مجتمعاً .

هذا مثال نستطيع استخلاصه من كتابات **ابن رشد** ، خاصة كتابه **«مناهج الأدلة في عقائد**







★ أفلاطون ★

الملة، وقد حاول **ابن رشد** من خلاله التوفيق بين القول بالحرية، والاعتقاد بالإرادة الإلهية، فالقول بالحرية يتمثل في **«الإرادة الداخلية»** والقول بالإرادة الإلهية، يتمثل في نواميس الكون.

أما المثال الآخر، فنستطيع أن نسميه من جانبنا بمثال **«الجوهر والعرض»**. إن الله تعالى قد خلق جواهر الأشياء، خلق جوهر بذرة القمح مثلاً. ولكن لكي تتحول بذرة القمح إلى سنبلة، فلا بد من عمليات يقوم بها الفلاح في الحقل، وهذه العمليات تمثل الأعراض. ومن هنا نجد دوراً لله تعالى، وهذا الدور لا ينفي دور الإنسان وعمله. إن بذرة النبات التي خلقها الله لا يمكن أن تتحول بمفردها إلى سنبلة، بل لا بد من تخمير الأرض وزراعتها وحرثها حتى يتسنى لبذرة النبات بعد إرادة إنسانية أن تتحول إلى سنبلة.

هذا ما نجده عند **ابن رشد** متعلقاً بمشكلة الإنسان، سواء من حيث الخير والشر، أو من حيث القضاء والقدر.

الإلهيات

وإذا انتقلنا من الإنسان إلى **الإلهيات**، وجدنا عند **ابن رشد** اهتماماً لا حد له بالبحث في هذا المجال، مجال الإلهيات، أي ذلك المجال الذي يبحث في فلسفة الدين. ولا شك أن كل مفكري العصر الوسيط قد اهتموا بالبحث في هذا المجال.

إن **ابن رشد** كان حريصاً بعد نقده للأدلة على وجود الله تعالى، التي قال بها الأشاعرة وقال بها أيضاً **ابن سينا**، نقول كان حريصاً على تقديم أدلة أخرى على وجود الله تعالى تعد في رأيه أفضل من الأدلة التي قدمها من سبقوه سواء كانوا صوفية أو متكلمين أو فلاسفة **كالفارابي وابن سينا**.

ونستطيع - إذا حللنا مؤلفات وشروح **ابن رشد** - أن نقول **إن ابن رشد قد ترك لنا ثلاثة أدلة على وجود الله تعالى**:

دليل أول يسمى بدليل **العناية الإلهية**.

إذ إن **ابن رشد** كواحد من فلاسفة العرب، قد اهتم بإبراز العناية الإلهية والصعود من ذلك إلى القول بوجود إله لهذا الكون سمائه وأرضه.

يوضح ذلك ما نجده في كتب **ابن رشد** سواء كانت كتباً مؤلفة أو كتباً شارحة. ففي مناهج الأدلة نراه يذهب إلى أن هذا الدليل، دليل العناية الإلهية يقوم على أصلين أولهما أن جميع الموجودات موافقة لوجود الإنسان، والأصل الثاني هو أن هذه الموافقة، موافقة الموجودات لوجود الإنسان، هي على وجه الضرورة من جهة فاعل مريد لذلك، أي لا يمكن أن يجيء الكون مصادفة.

وفي تفسير **ابن رشد** لكتاب الميتافيزيقا **لأرسطو**، نراه يذهب إلى أن **طريقة الحكماء، هي التعرف على الله بمصنوعاته**، فالخالق - فيما يقول **ابن رشد** - لا يُعبد بعبادة أشرف من معرفة مصنوعاته التي تؤدي إلى معرفة ذاته سبحانه على وجه الحقيقة.

ويمكن أن ندرج دليل **ابن رشد** في صورة قياس كالآتي:

العالم بجميع أجزائه يوجد موافقاً لوجود الإنسان والكائنات.

كل ما يوجد موافقاً في جميع أجزائه لفعل واحد ومتجهاً نحو غاية واحدة، فهو مصنوع.

∴ العالم مصنوع ضرورة وله صانع أي خالق.

هذا عن الدليل الأول، دليل العناية.

أما الدليل الثاني فهو دليل الاختراع.

ويرى **ابن رشد** أن هذا الدليل يقوم على أصلين: الأصل الأول: هذه الموجودات مخترعة، والثاني أن كل مخترَع فله مخترِع.

وقد ذكر **ابن رشد** الكثير من **الآيات القرآنية** التي تؤيد القول بهذا الدليل الثاني، دليل الاختراع.

هذا عن الدليل الأول، دليل العناية الإلهية، والدليل الثاني، دليل الاختراع.

أما **الدليل الثالث** فإنه دليل الحركة وقد تأثر **ابن رشد** في عرضه لهذا الدليل بالفيلسوف اليوناني **أرسطو** الذي ذهب إلى أن كل حركة لها محرك، حتى نصل إلى محرك أول لا يتحرك.

تبيَّن لنا إذن كيف اهتم فيلسوفنا ابن رشد بالتدليل على وجود الله تعالى اهتماماً كبيراً، خاصة إذا وضعنا في الاعتبار أنه اهتم قبل ذلك بنقد كثير من الأدلة التي قال بها مفكرون سبقوه. وإذا كان اتجاه هؤلاء المفكرين يختلف عن اتجاه ابن رشد، فقد كان متوقعاً منه إذن نقد آرائهم.

وإذا كنا قد أشرنا منذ قليل، إلى أن **ابن رشد** قد اهتم بمجال الإلهيات اهتماماً كبيراً، فإن ذلك يتبين لنا ليس في تقديمه لأدلة على وجود الله تعالى فحسب، بل في دراسته أيضاً لمشكلات أخرى تدخل في مجال الإلهيات.

الدين.. والفلسفة

من هذه المشكلات، مشكلة **التوفيق بين الفلسفة والدين**. تلك المشكلة التي اهتم بها أكثر فلاسفة العرب، سواء عاشوا في المشرق العربي، أو وجدوا في المغرب العربي.

ونود أن نشير إلى أن **ابن رشد** قد استفاد من بعض الأفكار التي قال بها فلاسفة سبقوه إلى البحث في هذا المجال، ابتداءً من **الكندي**، حتى **ابن طفيل**.

لمشكلة التوفيق بين الفلسفة والدين إذا كانت



★ الكندي ★

تعد هامة بالنسبة لفلاسفة المشرق العربي ، فإنها كانت أكثر أهمية بالنسبة لفلاسفة المغرب العربي ، بعد أن ركز **الغزالي** جهده في توجيه الاتهامات والمطاعن إلى الفلسفة ، مكفراً الفلاسفة في بعض الآراء التي قالوا بها .

وابن رشد هو أكثر فلاسفة العرب اهتماماً ببحث هذا الموضوع ، موضوع التوفيق ، وقد يكون ذلك راجعاً إلى ما ساد بلاد الأندلس في بعض الفترات من شعور عدائي نحو **المنطق والفلسفة** ، وقد يكون راجعاً أيضاً إلى أن **ابن رشد** قد جاء تاريخياً بعد **الغزالي** ، ووجد أن **الغزالي** قد ألف كتابه **« تهافت الفلاسفة »** ، ومن هنا وجد **ابن رشد** أن من واجبه الدفاع عن سمعة الفلسفة مبرراً ضرورة الاشتغال بها .

وإذا كنا قد أشرنا منذ قليل إلى أن **ابن رشد** كان من أكثر فلاسفة العرب اهتماماً بالبحث في هذه المشكلة ، فإن ذلك القول من جانبنا يتضح تماماً إذا عرفنا أن أكثر مؤلفات **ابن رشد** يتعرض للبحث في هذه المشكلة إما بطريقة تفصيلية أو بطريقة عامة . ومن مؤلفاته التي نجد فيها اهتماماً بالبحث في هذا الموضوع ، كتابه **« فصل المقال فيما بين الحكمة والشريعة من الاتصال »** ، وكتابه **« مناهج الأدلة في عقائد الملة »** ، وكتابه **« تهافت التهافت »** .

فابن رشد يتساءل في مقدمة بحثه لموضوع التوفيق : هل النظر في الفلسفة وعلوم المنطق مباح بالشرع أو محظور أم مأمور به إما على جهة الندب وإما على جهة الوجوب .

ويرى **ابن رشد** أن الفلسفة إذا كانت عبارة عن النظر في الموجودات ، واعتبارها من جهة دلالتها على الصانع ، فإن هذا يؤدي فيما يرى **ابن رشد** ، إلى القول إن الشرع قد دعا إلى اعتبار الموجودات بالعقل ، وطلب منا معرفتها به .

ومعنى هذا أن الدين يحثنا ويوصينا على الاشتغال بالفلسفة . ويذكر **ابن رشد** بعض الآيات القرآنية في معرض استدلاله على رأيه . منها قوله تعالى **﴿ أو لم ينظروا في ملكوت السموات والأرض وما خلق الله من شيء ﴾** ، ومنها **﴿ فاعتبروا يا أولي الأبصار ﴾** .

بل إن **ابن رشد** يرى أن دراسة الفلسفة تعد واجبة بحكم الدين على القادر عليها .

ويحاول **ابن رشد** دفع اعتراض قد يوجه إلى الاشتغال بالفلسفة . فهو يقول إنه إذا اعترض معترض ، قائلاً : إن هذا النوع من النظر في القياس العقلي ، أي الفلسفة ، يعد بدعة ، إذ لم يكن موجوداً في الصدر الأول للإسلام ، فإن الرد عليه هو أن النظر أيضاً في القياس الفقهي وأنواعه قد استنبط بعد الصدر الأول ، ومع ذلك لا نعتبره بدعة .

ويدعونا **ابن رشد** ـ في مجال دفاعه عن الفلسفة والفلاسفة ـ إلى أن نبحث عن الحقيقة كحقيقة ، أي بصرف النظر عن كونها إسلامية أو غير إسلامية ، أو كونها عربية أو يونانية .

وهذه الدعوة من جانب **ابن رشد** تعد تعبيراً عن الانفتاح لا الانغلاق ، خاصة إذا وضعنا في الاعتبار أن أكثر الذين يهاجمون الفلسفة قبل **ابن رشد** أو بعده ومنهم **الغزالي وابن قيم الجوزية وابن تيمية وابن الصلاح** ، نقول إذا وضعنا في الاعتبار أن هؤلاء وغيرهم ممن يهاجمون الفلسفة ، كانوا يستندون إلى أن الفلسفة قد جاءت إلينا من بلاد اليونان ، وبلاد اليونان غير بلاد العرب ، ومن هنا وجب في رأيهم محاربة الاشتغال بالمنطق والاشتغال بالفلسفة أيضاً .

وقد ميز **ابن رشد** في مجال دراسته لموضوع التوفيق بين طبقات ثلاث : طبقة تعتمد على **الخطابة والإقناع** ، وطبقة تعتمد على **الجدل** أي طبقة المتكلمين ، وطبقة ثالثة تعد أعلى هذه الطبقات لأنها تعتمد على **البرهان العقلي** ، وهي **طبقة الفلاسفة** . وهذا البرهان ـ **فيما يرى ابن رشد** ـ يعد أعلى مراتب اليقين .

وينتهي **ابن رشد** في دراسته لموضوع التوفيق ، إلى أن الحكمة (**الفلسفة**) هي صاحبة الشريعة (**الدين**) والأخت الرضيعة ، وهما المصطحبتان بالطبع ، المتحابتان بالجوهر والغريزة .

هذا هو **ابن رشد** أكبر مفكر عقلاني في تاريخ الفلسفة العربية . وهذه هي فلسفة **ابن رشد** التي جاءت تعبيراً عن إيمانه بالعقل إلى أقصى درجة . فكل فكرة لا تتفق مع العقل ، يعتبرها ابن رشد فكرة خاطئة ويقوم بنقدها . ولا شك أن النقد قد استغرق منه مجهوداً كبيراً ، بحيث لا نبالغ إذا قلنا إنه بذل في نقده جهداً يعادل الجهد الذي بذله في صياغة آرائه الإيجابية .

وإذا كان **ابن رشد** قد رحل إلى عالم الخلود عام ٥٩٥ هـ ـ ١١٩٨ م ، وعلى وجه التحديد في العاشر من ديسمبر (كانون الأول) . . نقول إذا كان **ابن رشد** قد رحل إلى عالم الخلود ، فإن فلسفته باقية وآراءه التي أعلنها سيستفيد منها كل متمسك بالعقل وبالمنهج العقلي . وإذا كانت الفلسفة قد انقطعت في عالمنا العربي منذ وفاة **ابن رشد** من ثمانية قرون ، بحيث لا نجد منذ هذه القرون الثمانية وحتى الآن فيلسوفاً عربياً ، فإن أملنا كبير إذا قمنا بحركة إحياء للتراث الفلسفي الإسلامي العربي ، وإذا ركزنا على الفلاسفة الذين اعتمدوا على العقل ، وعلى رأسهم فيلسوفنا **ابن رشد** ، نقول إن أملنا كبير إذا فعلنا ذلك في أن نجد فلاسفة في عالمنا العربي المعاصر ، حتى نستطيع بذلك وصل ما انقطع . لقد ترك لنا **ابن رشد** حديقة رائعة من المعرفة التي تقوم على العقل والعقل وحده ، وواجبنا أن نحافظ على تلك الحديقة ونأخذ ما فيها من ثمرات قد تفيدنا في حياتنا المعاصرة التي نحياها الآن .



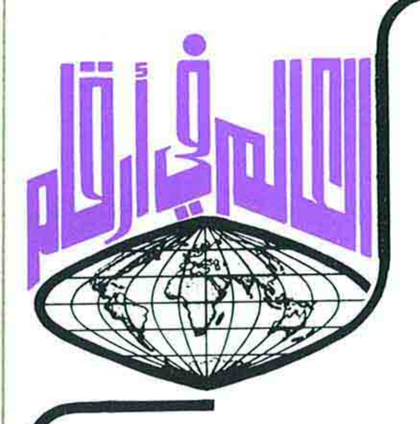
سلاسل جبال العالم العظمى

أولا : في قارة آسيا :

اسم السلسلة الجبلية	امتدادها «بالأميال»	ارتفاعها «بالأقدام»
الهيمالايا	١٥٠٠	أعلى قمة إفرست ٢٩٠٠٢
كاراكورام		٢٨٢٥٠
پامير		أعلى جبالها قمة كوموتزم ٢٤٩٥٠
التبت	١٥٠٠	١٥٠٠٠
الطاي		أعلى قمة بيلوخا ١٤٧٨٣

ثانياً : في إفريقيا :

اسم السلسلة الجبلية	امتدادها «بالأميال»	ارتفاعها «بالأقدام»
مرتفعات الحبشة		أعلى قمة رأس دهشان ١٥١٥٨
الأطلس	١٥٠٠	جبل طوب كال ١٣٦٦٥
روينزوري	٦٥	١٦٧٩٤
كليمانجارو	٥٥	١٩٥٦٥
كينيا		١٧٠٥٨



ثالثاً : في أوروبا

اسم السلسلة الجبلية	امتدادها «بالأميال»	أعلى قممها	ارتفاعها «بالأقدام»
الألب	٧٤٠	مونت بلان	١٥٧٨١
القوقاز	٨٩٠	جبل البرس	١٨٤٨١
الكربات		تاترا	٨٧٣٧
البرانس		بيكودي آنيتو	١١١٦٨
الأورال		نارودنايا	٦١٨٤

رابعاً : في أميريكا الشمالية :

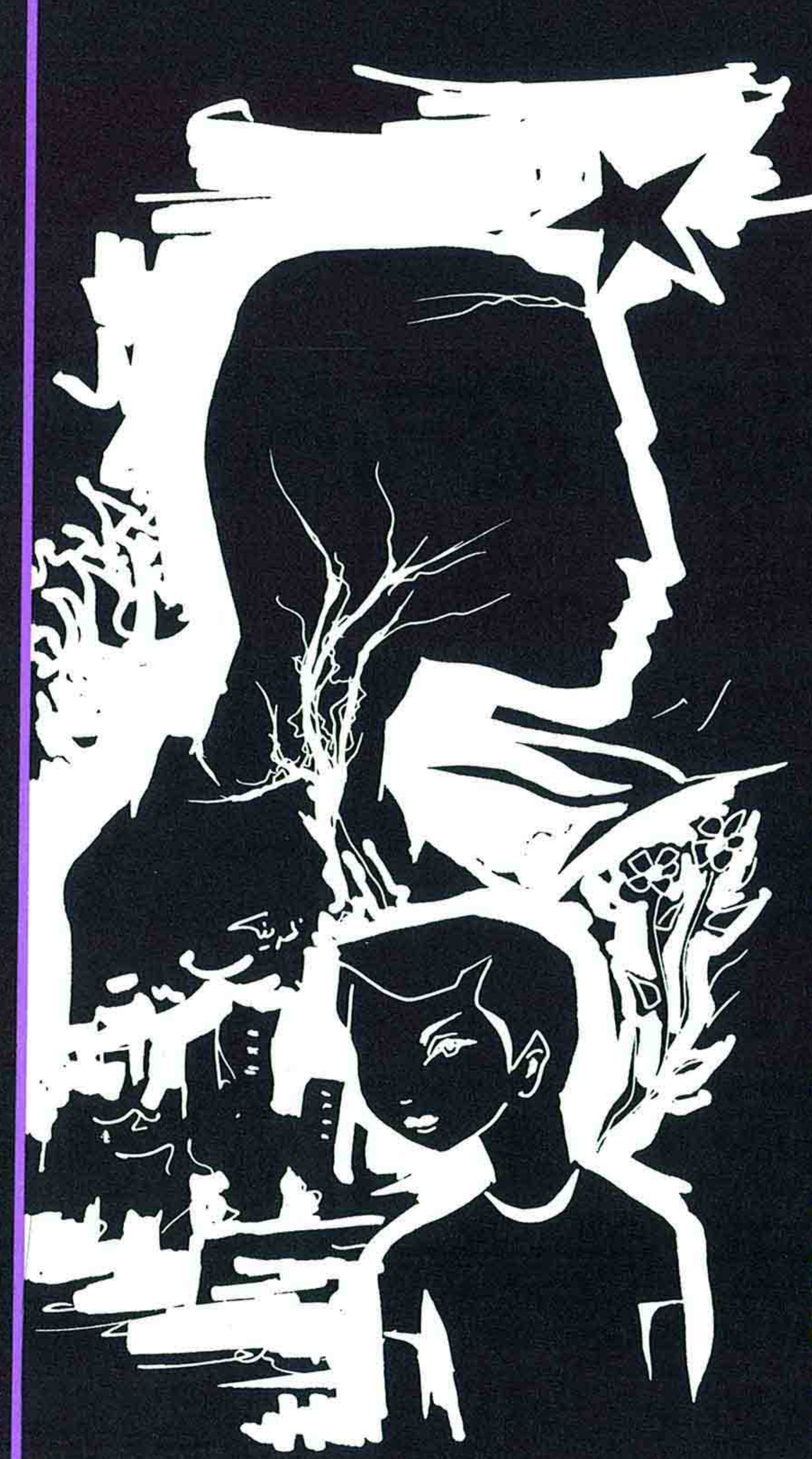
اسم السلسلة الجبلية	امتدادها «بالأميال»	أعلى قممها	ارتفاعها «بالأقدام»
روكـي	٢٢٠٠	ماك كنلي	٢٠٢٧٠
آبالاتشاين		جبل ميشيل	٦٦٨٤

خامساً : في أميريكا الجنوبية :

اسم السلسلة الجبلية	امتدادها «بالأميال»	أعلى قممها	ارتفاعها «بالأقدام»
الأنديز	٤٦٠٠	أكونكاجوا	٢٢٨٣٥

لاجئ.. من هناك

شعر: د. يوسف نوفل



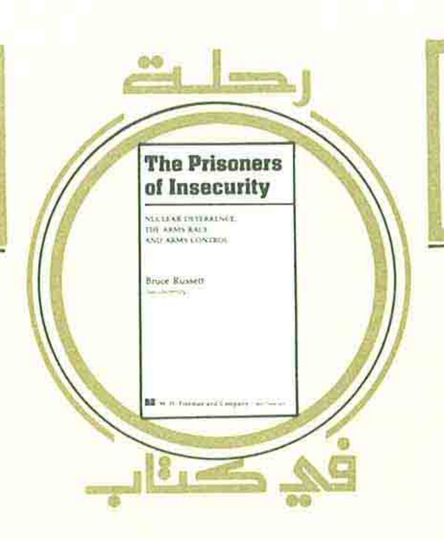
أنا مَن أرسلت دمعي ساخناً يكوي جبيني
أنا مَن أمضي وحولي عن شمالي ويميني
صبيتي يمضون مثلي .. من يقيهم أو يقيني؟
أنا بل نحن بهذا الكوخ في الدّجن الهتون
وظلام الليل يطوي في دياجيه أنيني
يشمل البقعة صمت في متاهات السكون
وأرى النجم يواسيني فيزداد يقيني
ودويّ الريح يشتدّ ويمضي كالمنون
وصُراخ الطفل يدعو فيّ عطفي وحنيني
وأنا أمضي، فقد بدّدت يا فجر ظنوني
شعلة النصر أراها فاستقري لا تليني

★ ★ ★

قد أزحت الهمّ عن دربي وهدّهدت شجوني
ومنحت الكون نوراً حلّقت فيه عيوني
وتباهى الطيرُ فيه فوق هامات الغصون
وزنا طفلي بعينين إلى الشمس الحنون
فعسانا نهتدي اليوم إلى السر الدفين
ونناجي الكون بالبشر بأصداء اللحون

بقلم:
بروست راسيت
عرض وتقديم :
عدنان عضيمة

رحلة في كتاب



سجناء القلق ٢


★ انفجار القنبلة الذرية ★

توازن الردع

تفهم الروس والأميريكيون بناء على الخبرة المكتسبة في القضايا الاستراتيجية خلال العقود الماضية بأن التوازن الذي تحقق في مجال القوى الرادعة يعد العامل الأساسي الذي يؤدي إلى منع التصعيد المفاجئ للحرب النووية ، فكلاهما يملك القدرة على القيام (بالضربة الأولى) ، كما يملك القوى النووية الانتقامية Nuclear Retaliatory Forces التي يمكن أن تحقق أفدح الأضرار بالطرف الذي يبادر بالهجوم . فلو كانت لأحد الطرفين وحده القدرة على إصابة الآخر بهذه الأضرار لتغير الموقف تماماً .

كما أن الأمر سيتغير فيما لو كان أحد الطرفين على اقتناع بأن الضربة الأولى ستحقق له ميزة تغيير التوازن القائم في مردود الحرب War outcome . وانطلاقاً من هذا المفهوم ركز الطرفان جهودهما على تعزيز القوى المخصصة للضربة الثانية الانتقامية فأنفقا مليارات الدولارات في مجالات تطوير وابتكار الأسلحة وحمايتها ، وتضمنت الجهود المبذولة منها في هذا الشأن الخطوات التالية :

(١) إنتاج عدد كبير من عربات نقل الصواريخ Delivery vehicles بحيث لا يمكن للمهاجم أن يدمرها دفعة واحدة .

(٢) توسيع رقعة انتشار عربات نقل الصواريخ بهدف مضاعفة عدد الأهداف التي يتعين على الخصم تدميرها ، فبهذه الحالة لا يمكن لرأس نووي هجومي واحد أن يدمر أكثر من قاعدة صاروخية واحدة .



(٣) تكثيف وسائل الحماية لقواعد إطلاق الصواريخ ، فـي الولايات المتحدة تخبأ الصواريخ ضمن **صوامع Silos** من الأسمنت المسلح بالفولاذ .

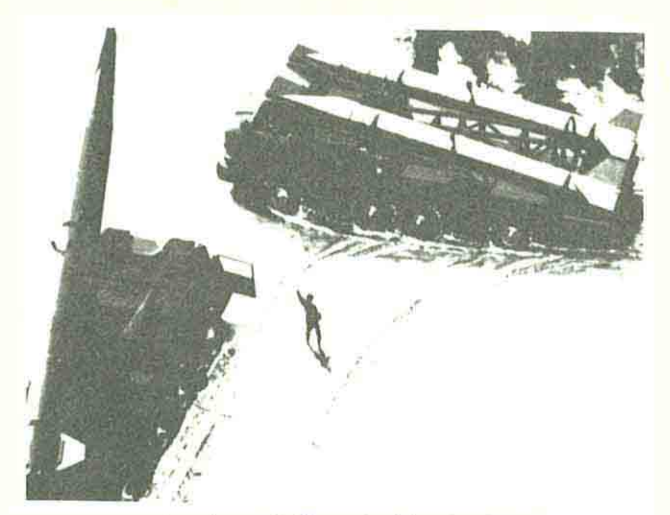
(٤) التركيز على إنتاج أعـداد أكبر مـن عـربات حمـل الصواريخ المتنقلة كالغواصات والقـاذفات الـطائرة الـتي تعـد أهدافاً دائمة الحركة يصعب رصدها وتدميرها .

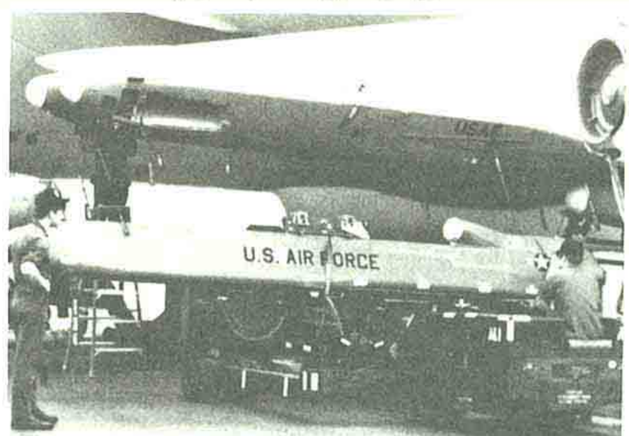
(٥) تطوير طرق إخفاء قواعد إطلاق الصواريخ في عصر الأقمار الصناعية التي تعد وسائل مـمتازة للتجسس ، كإخفائها ضـمن الأنفاق الأرضية .

ومن أهم المشاكل التي طفت على سطح مسألة الأمـن النـووي هـي صعوبة التوصل لنظام دقيق لإطلاق الصواريخ الحـاملة للـرؤوس النـووية عند وصول الإنذار ، فما الذي يؤكد مثلاً أن الإنذار ببدء الهجوم النـووي ليس خدعة ، أو أنه ناتج عن خطأ في الأجهزة الإلكترونية . . .؟ **ولقـد ثبت أن أكثر الأجهزة الإلكترونية تطوراً تكون عرضة في بعض الأحيان لارتكاب الأخطاء ،** فـي عامي ١٩٧٩م و١٩٨٠م ، سجلت ثلاثة إنذارات كاذبة ببدء الهجوم النووي في قيادة الدفاع الجوي في أميركا الشمالية وأدت في كل مرة إلى استنفار قوات الردع الاستراتيجية ، وتبين فيما بعد أنها نتجت عن أعطال في أجهـزة الكومبيوتر . وبـالرغم مـن أن أجهزة القيادة والاتصالات والاستخبارات في الاتحاد السوفييتي تعـد أكثر تنظيماً وانضباطاً عما هي في الولايات المتحدة ، إلا أنهـا أقـل تـطوراً مـن الناحية التقنية مما يبقي على هذه المشكلة الخطيرة في كلا البلدين .

ولقد آثر المؤلف أن يتطرق لمسألة أهمية **(التـوازن في القـوى الرادعة)** وتأثيره الفعال في منع حـدوث الحـرب النـووية بشيء مـن التفصيل ، إلا أنه يرى في هذه المسألة الكثير من نقاط الضعف ، فيتساءل عما سيبقى للطرف الذي سَيُهاجَمْ ! بعد قيام خصمه بـالضربة الأولى . .؟ وهل ستبقى لديه بعد ذلك القـدرة على التفـكير بـالقيام بـالضربة الانتقامية . .؟ وهل ستكون لديه فرصة الاختيار الفعّال لـلأهداف الـتي يتعين عليه توجيه الضربة الانتقامية نحوها في الوقت الذي يكون فيه تحت النار . .؟ بدلاً من الإجابة عن هذه الأسئلة يفضل (راسيت) أن يتخيل (سيناريو) ، يبدأ فيه الاتحـاد السوفييتي بمهـاجمة قـواعد الصـواريخ الأميركية ، ويؤجل ـ ربما ـ الهجوم على المدن الأميركية ، ثم يوجه بعـد ذلك إنذاراً إلى واشنطن يقول فيه :

(عليكم بالهدوء خلال تراجعكم قليلاً إلى الوراء ، فلا تهاجموا مـدننا لأننا نملك مخزوناً من الأسلحة والصواريخ يكفي لتدمير مدنكم) ، وعندئذ


★ صاروخ طراز «فروج» التكتيكي ، سوفييتي ★



★ صاروخ «كروز» أثناء تركيبه على جناح قاذفة طراز ب/٥٢ ـ القوات الجوية الأميركية ★

سيتوقف الأمر على مسألة مقدار القوة التي تـكون قـد تبقـت للـولايات المتحدة ، وهل تكفي لتوجيه الضربـة الانتقـامية لـلاتحاد السوفييتي الـذي ستكون أسلحته حتى ذلك الوقت سليمة تماماً . .؟

إن نقاط الضعف التي تطبع هذا السيناريو تـكمن في الافـتراض بـأن القادة الروس ستكون لديهم ثقة كبيرة بالمقدرة على نزع السلاح الأميركي الـمُعَدّ للضربة الأولى حتى يبادروا بمثل هذا الهجـوم ، وكذا الثقـة التـامة بأن الرئيس الأميركي لن يعطي الأوامر بالرد على الهجوم بتـوجيه الضربـة الانتقامية نحو المدن الروسية .

ويهدف الحفاظ على حالة التـوازن هـذه ، يبـذل الاتحـاد السوفيـيتي الكثير من الجهود ويقدم الكثير من التضحيات بـالرغم مـن المشـاكل الاقتصادية التي يعاني منها ، ولقد أثبت الـروس أن بـإمكانهم أن يـكونوا

أنداداً للأمريكيين ، ولا شك أن التكنولوجيا السوفييتية والمصادر الطبيعية تكفي لتحقيق التوازن المستمر ، فالروس لا يرغبون في التخلي عن حالة التوازن ، وبالتأكيد لن يرغبوا في ذلك مستقبلاً .

أعباء سباق التسلح

يرى المؤلف في السباق نحو التسلح واحداً من أضخم وأسوأ (المشاريع) التي عمدت البشرية إلى تنفيذها في التاريخ ، فإيجابيات السباق نحو التسلح لا يمكن أن تقارن بسلبياته . وتنحصر هذه الإيجابيات في تشغيل الأيدي العاملة من عسكريين وفنيين و (سياسيين) ، كما ساهم هذا السباق في تطوير بعض التكنولوجيات ، وخاصة منها تكنولوجيا الصواريخ التي ساهمت في إنجاح المشاريع المتعلقة بغزو الفضاء . أما سلبيات السباق فهي على درجة عالية من الخطورة ولا يمكن حصرها ، وأكثر هذه السلبيات خطورة يوردها (راسيت) في النقاط الثلاث التالية :

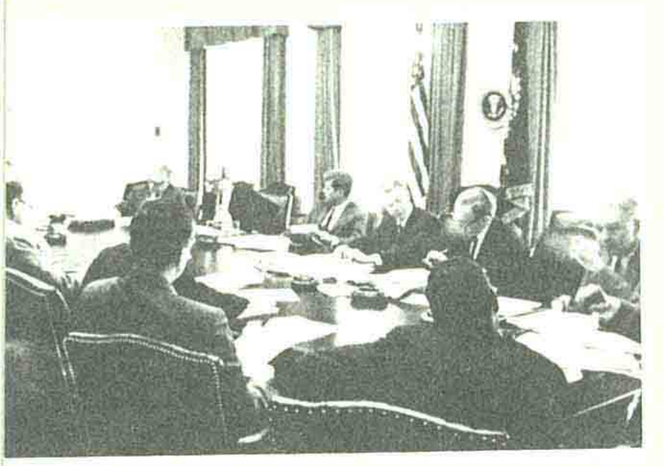
١ ــ الإنفاق Waste .

٢ ــ خطورة تواجد (القدرة التدميرية الكامنة Destructive Potential) .

٣ ــ زيادة (أرجحية Liklihood) حدوث الحرب .

الإنفاق

إن مقدار الإنفاق العسكري العالمي حالياً خلال عام واحد يتجاوز الدخل القومي العالمي الكلي خلال عام (١٩٠٠ م) ــ المقدر بعملة الدولار الثابت ، أو قيمة الدولار بإهمال آثار التضخم ــ ففي عام ١٩١٣ م ، قبل الحرب العالمية الأولى مباشرة خصص العالم للأغراض العسكرية نسبة (٣٪ إلى ٣,٥٪) من دخله القومي الكلي ، أما الآن فتضاعفت هذه النسبة لتصبح (٦٪ إلى ٧٪) . واليوم يبلغ الإنفاق العسكري العالمي ما يعادل مجموع الدخول القومية لدول أمريكا اللاتينية وإفريقيا ، أو ما يعادل إنفاق جميع دول العالم على القطاع التعليمي ، وهو يعادل أيضاً الدخل القومي الكلي لمجموع دول العالم الفقيرة التي تَعدُّ أكثر من نصف عدد سكان العالم . ولقد قال **الرئيس كارتر** في رسالة وجهها إلى **الأمم المتحدة** في شهر أكتوبر (تشرين الأول) من عام ١٩٧٧ م : **«إن الإنفاق العسكري في الدولتين العظميين يقارب الآن (٣٠٠) بليون دولار في السنة ، فأمم العالم تصرف لإعداد جندي أكثر بستين مرة مما تصرفه لتعليم طفل»** . كما قال **الرئيس (أيزنهاور)** في أحد خطاباته : **«كل مدفع يُصنَعُ ، وكل سفينة حربية تُدَشَّن ، وكل صاروخ يُعَدُّ للانطلاق ، ما هو في النهاية إلا (سرقة) من أولئك الذين يعانون المجاعة ، وأولئك الذين يعانون من البرد لأنهم لم يجدوا ما يلبسونه . فهذا العالم بسباقه نحو التسلح لا ينفق المال فقط ، بل ويستنزف أيضاً ودون طائل ، جهود خيرة عماله ، وصفوة عباقرته من العلماء ، وآمال أطفاله»** .



★ اجتماع الرئيس جون كينيدي بمجلس الدفاع القومي خلال أزمة الصواريخ الكوبية ، أكتوبر ١٩٦٢م

وتختلف الإدارات الأمريكية المتعاقبة على الحكم ، اختلافاً كبيراً من حيث نظرتها إلى (الأسبقيات) فيما يخص توزيع الميزانية والنفقات . فلقد عملت إدارة الرئيس (ريغن) على رفع ميزانية الإنفاق العسكري بنسبة كبيرة على حساب الاقتطاع من ميزانيات البرامج المدنية ، فتراجعت المخصصات المالية لشؤون الصحة والتعليم بشكل كبير في الميزانية المالية لعام ١٩٨٢ م ، حيث انخفضت بمعدل ١١٪ و٢٧٪ على الترتيب ، في حين زادت ميزانية الإنفاق العسكري بنسبة (٧٪) . كما تم الاتفاق بين إدارة الرئيس ريغن والكونغرس على الحد من الاهتمام بتنشيط القطاع الاقتصادي لصالح الرفع من مستوى الاستعداد العسكري . ويمكن أن تؤدي الاقتطاعات المالية من البرامج المتعلقة بالصحة والتعليم إلى نتائج بالغة السوء على الصحة العامة وقوة المجتمع . في حين تبدو العلاقة وثيقة بين مسألة الأمن الوطني والمستوى الصحي والثقافي للسكان ، لأن الاستعداد العسكري الأمثل يتطلب أفراداً يتميزون قبل كل شيء بالصحة الجيدة وارتفاع مستوى التعليم والتدريب .



القدرة التدميرية الكامنة

يقول راسيت إن الخسائر المادية في السباق نحو التسلح ليست أسوأ الخطايا ، إذ يمكننا أن نتحملها فيما لو لم يؤد السباق نحو التسلح إلى تهديد وجودنا بحدّ ذاته . فالقدرة التدميرية الكامنة في الأسلحة الحديثة بلغت مبلغاً كبيراً من الخطورة ، ولا نحتاج إلى المجهود الكبير لإثبات ذلك . فقبل الحرب العالمية الثانية كان المدى القتالي للطائرات لا يتعدى بضع مئات من الأميال ، ولم تكن باستطاعتها أن تحمل سوى طناً واحداً من القنابل كحدّ أقصى ، أما الآن فإن القاذفات بعيدة المدى والصواريخ العابرة للقارات بإمكانها أن تقطع نصف محيط الأرض وهي تحمل المتفجرات التي تزيد قوة انفجارها عن تلك التي استعملت خلال الحرب العالمية الثانية بمقدار (١٠٠) مليون ضعف . . . ؟ . وفي مطلع عام (١٩٨٢ م) امتلك الاتحاد السوفييتي (٣٠٨) من صواريخ (SS-18) التي يحمل كل منها رؤوساً نووية تتراوح قدرتها الانفجارية بين (١٠ ــ ٢٠) ميغاطن ، فقنبلة لها مثل هذه القوة الانفجارية يمكنها أن تدمّر تماماً مدينة كبيرة وتنثر بقايا أبنيتها عشرات الأميال بعيداً عن مكان الانفجار . أما الرؤوس النووية التي تبلغ قدرتها الانفجارية واحد ميغاطن والتي يملك الاتحاد السوفييتي ستة آلاف منها على الأقل ، فبإمكانها أن تدمر المدن التي يبلغ نصف قطرها أربعة أميال .

ولا شك أن هجوماً سوفييتياً شاملاً على الولايات المتحدة باستعمال بضعة آلاف من الرؤوس النووية سيكون مدمراً ، فلقد قامت وزارة الدفاع ، ووكالة الإعداد للدفاع المدني Defence civil Preparedness Agency ووكالة مراقبة ونزع الأسلحة الأميريكية U.S. Arms Control and Disarmement Agency بإصدار نتائج سلسلة من الدراسات حول الكوارث التي يمكن أن تلحق بالولايات المتحدة في خلال الأيام الثلاثين التي ستعقب الهجوم السوفييتي النووي ، وكانت هذه النتائج تدعو إلى التشاؤم الشديد ، إذ سيتراوح عدد الضحايا ما بين (١٥٥ و ١٦٥) مليون نسمة كحد أقصى (٧٥٪ من عدد السكان) و (٧٦ و ٨٥) مليون نسمة كحد أدنى . وهذه الإحصائيات لا تتعلق سوى بالضربة الأولى . والنسبة بين أعداد القتلى والجرحى لا يمكن افتراضها طالما أنه من غير المعروف مقدار الدمار الذي سيلحق بالمراكز الصحية التي ستعنى بالجرحى والمصابين ، فإذا ضُرِبَت مدينة واحدة فإن بالإمكان ترحيل الجرحى والمصابين إلى المناطق الآمنة المجاورة للحصول على الرعاية الطبية ، أما إذا ضُرِبَت جميع المدن الرئيسية في الولايات المتحدة فلن تكون هناك مناطق آمنة للعلاج ، يضاف إلى هذا أن نسبة (٧٠٪) من أطباء الولايات المتحدة يعيشون في ٧١ مدينة رئيسية ، وتُقدِّرُ الإحصائيات أن عدد المصابين سيكون أكبر من عدد الأسرة في المستشفيات بثلاثين مرة ، كما أن جرحى الحرب النووية هم بشكل خاص من جرحى الحروق ويجب علاجهم في المراكز الصحية المتخصصة بهذا النوع من العلاج في حين لا تحتوي أكبر مدن الولايات المتحدة على أكثر من مائة من هذه المراكز ، وأحد أهم هذه المراكز وأكبرها هو **مستشفى (ماساشوسيتس) العام في بوسطون** الذي تضم وحدته المتخصصة في معالجة الحروق ١٥ سريراً . . . ؟ . وهذه التقديرات تتعلق فقط بالنتائج قصيرة المدى للحرب ، أما على المدى الأبعد فسوف يعقب الضربة الأولى دمار واضح للمؤسسات الاقتصادية والاجتماعية ، فالمناطق الحضرية الرئيسية في الولايات المتحدة تضم (٦٠٪) من المصانع الأميريكية ، فإذا وجهت ضربة إضافية إلى مصانع الحديد والفولاذ ومصافي البترول فإن ما سيبقى من الطاقة الإنتاجية للمصانع الأميريكية لن يتعدى نسبة (٢٪) ، كما ستصاب شبكة المواصلات والنقل بالشلل التام ، بالإضافة إلى أضرار أخرى متنوعة كتدمير شبكات التموين بالمياه وأنظمة صرف مياه المجاري ، مما سيؤدي إلى انتشار الأمراض في الوقت الذي تكون فيه القطاعات الصحية عاجزة تماماً عن المبادرة والسيطرة على الموقف . ولوضع القارئ في صورة المأساة يدعوه (راسيت) إلى تخيل ما يعنيه الدمار التام لمؤسسات شهيرة مثل (**الحكومة الفيدرالية**) في واشنطن ، **وعيادة (مايو Mayo)** ، و (**الوول ستريت Wall Street**) **ومعهد ماساشوسيتس التكنولوجي (MIT)** والعديد من المراكز الأخرى ذات الأهمية الثانية أو الثالثة .

وفيما يتعلق بالتأثيرات بعيدة المدى على البيئة والمناخ فإن من أهمها تفكك طبقة (الأوزون) ، والتغيرات الخطيرة التي ستطرأ على مناخ الأرض ، **والفناء الانتقائي Selective Destruction** لأنواع كثيرة من النباتات والحيوانات . . إلى آخر الكوارث التي لا حصر لها . **ولقد وصف الكتاب الحال بعد نشوب الحرب النووية بقوله (إن ما سيبقى بعد ذلك هو «جمهورية» من الحشرات والأعشاب Republic of insects and grass)** .

احتمالية الحرب

ويقول المؤلف : إننا إذا استطعنا أن نتأكد من أن هذه (القدرة التدميرية) الهائلة لن يجري استعمالها نظراً (**لتوازن الرعب Balance of terror**) القائم الآن فإن الأمر يهون ، ولكن من الذي يضمن استمرار

هذا التوازن . . . ؟ . **في الحقيقة هناك عدة عوامل تهدد استمرار هذا التوازن منها :**

١ ـ التباين في سرعة التطور التكنولوجي في الدولتين العظميين ، مما قد يؤدي إلى تفوق إحداهما في مجال ابتكار وإنتاج الأسلحة الاستراتيجية .

٢ ـ انتشار الأسلحة النووية في دول كثيرة كانت لا تملكها ، وهذا ما يدعى بقضية (انتشار الأسلحة النووية Nuclear Proliferation) مما قد يؤثر في تغيير التوازن القائم للقوى المتحالفة مع كل من الولايات المتحدة والاتحاد السوفييتي .

٣ ـ التغيرات المفاجئة في نظام التحالفات الدولية القائم الآن .

يضاف إلى ذلك (**الحوادث العارضة**) كأن يقوم قائد عسكري مصاب بلوثة أو مجموعة من الإرهابيين بإطلاق الصواريخ النووية مما يؤدي إلى نشوب حرب نووية واسعة النطاق لا يمكن إيقافها .

والأبحاث التي أجريت حتى الآن حول العلاقة بين السباق نحو التسلح واحتمال نشوب الحرب النووية ما زالت تعوزها الدقة ، فإذا كانت الشعوب ما فتئت تتصرف وفق الحكمة القائلة : إذا كنت في حالة السلم فحضر لحالة الحرب ، فإن البعض يعتقد أن السباق نحو التسلح ليس مبرراً في النهاية لنشوب الحرب . إلا أن أغلب المحللين **للحرب العالمية الأولى** يرون أن السباق نحو التسلح قبل عام (١٩١٤ م) لعب دوراً أساسياً في نشوب الحرب . والدراسة الأكثر أهمية لهذه المسألة تتعلق بسلوك القوى العظمى إزاء (**الخلافات الجدية serious disputes** منذ عام (١٨١٥ م) ، ويقصد بالخلافات الجدية تلك التي كانت مصحوبة **بالتحديات العسكرية military confrontations**) ، **والتعبئة العامة mobilisation** ، **والحصارات blockades** ، **وضم الأراضي seizures of territory** ، وباقي المظاهر العسكرية المشابهة التي لا تبدو كافية لاندلاع الحروب الشاملة ، فبينت الدراسة أن (٨٢٪) من الخلافات التي كانت تتصاعد أثناء السباق نحو التسلح كانت تنتهي باندلاع الحروب ، في حين كانت الخلافات الأخرى تُحلُّ عن طريق التفاوض .

ويقود هذا المفهوم إلى نتيجة هامة ، ذلك أن هذه الدراسة توحي بأن السباق نحو التسلح عادة ما يكون متبوعاً بالحروب ، بالرغم من أنها لا توضح السبب الخفي وراء ذلك ، فلربما يكمن السبب في أن الدول المنشغلة في هذا السباق ستشعر (تلقائياً) أنها ذاهبة إلى الحرب بطريقة ما ، وهكذا يمكن القول إن السباق نحو التسلح هو (بادرة symptom) وليس سبباً للتحدي الذي ينتهي بنشوب الحرب . كما أكدت نفس الدراسة أن أخطر فترات التوتر بين القوى المتصارعة كانت تتميز بالتغير السريع والعميق في القدرات العسكرية لإحدى القوى على حساب منافستها ، وكذلك بالتغيرات المفاجئة والعميقة في هيكل التحالفات الدولية ، وأغلب الحروب التي اندلعت عبر العالم منذ عام (١٨١٥ م) ، وحتى عام (١٩٧٠) كانت مسبوقة بمثل هذه التغيرات .

وبيَّن (**ج . دافيد سينجر David singer**) لدى استعراضه لجميع الأزمات الدولية والحروب منذ عام ١٩١٥ م ، وحتى الآن أن (٧٥٪) من النزاعات انتهت بنشوب الحروب عندما كانت الأطراف المتنازعة على درجة متقاربة من درجات التعادل في القوى العسكرية ، وكانت منشغلة في السباق نحو التسلح . ويرجع ذلك إلى أن الدول المتخلفة في مضمار القوى العسكرية قياساً إلى منافساتها تكون أقل اهتماماً بالخوض في التحديات المسلحة ، لأن عملية حسابية بسيطة في مثل هذه الحالة يمكن أن تعين المنتصر من المهزوم في حالة نشوب الصراع العسكري . ويقول المؤلف إنه في حالة نشوب مثل هذا الصراع غير المتكافئ فإن الأضعف هو الذي يلجأ للاستسلام عادة ، إلا أن هذا المفهوم لا يُعَدُّ على أي حال ، قاعدة مطلقة ، فالجانب الأضعف لا يستسلم دائماً ، وهذا ما حدث أثناء التحدي بين الولايات المتحدة وفيتنام ، وبينها وبين إيران ، كما لا يشترط أن يربح الحرب الجانب الأقوى في كل مرة ، لأن هناك الكثير من العوامل التي تحكم على النتيجة النهائية للحرب ، كالبعد الجغرافي بين الدولتين المتصارعتين ، والمعنويات القتالية ، ومقدار الفعالية التنظيمية للدولة الأضعف .

ويقول (**أورجانسكي Organsky**) : « لا تحبذ الدول القتال إلا عندما يسودها الاعتقاد بأن لها حظوظاً جيدة في الانتصار » ، وقد تلجأ دولة ما إلى الحرب لظنها بأنها تملك فرصة لا يجوز تفويتها للانتصار ، أو لأنها تتنبأ بتضاؤل قوتها في المستقبل ، ولهذا فإن أية بوادر لتغيير توازن القوى للدول المتصارعة يجعل الحرب أكثر احتمالا . يضاف إلى هذا أن التغيرات المفاجئة في موازين القوى والتحالفات الدولية تؤدي إلى تعقيد الحسابات المتعلقة بالموقف الاستراتيجي ، وتجعل الحكم على مردود الحرب في حال نشوبها يلفه الغموض ، ويمكن أن يكون هذا سبباً في نشوب الحروب الصغيرة التي تتفاقم إلى حروب شاملة .

ويقول المؤلف : إن نظامي التحالف الدوليين يشهدان منذ العقدين الماضيين تفككاً تدريجياً يكاد يكون متوازناً لحسن الحظ ، ففي حين استبدل التحالف بين الصين الشيوعية والاتحاد السوفييتي بتحالف ضمني



مع الولايات المتحدة ، فقد سجل تراجعاً مقابلاً في درجة التحالف بين دول أوروبا الغربية والولايات المتحدة ، حتى أن بعض دول أوروبا الغربية فضلت الانسحاب تماماً من هذا الحلف وبعضها الآخر في طريقه إلى ذلك .

ولا شك أن استمرار تفكك التحالفات الدولية على هذا النحو المتوازن يؤدي إلى تخفيض احتمال نشوب الحرب ، ولكن قد يؤدي هذا التفكك فيما لو تعلق بأحد الحلفين وحده إلى درجة كبيرة من الخطورة ، خاصة إذا تمكن الاتحاد السوفييتي من تحقيق مطامحه بشأن وضع نظام صارم يضمن تأكيد قوة تحالف دول أوروبا الشرقية وغيرها من الدول معه .

وتلعب الأزمات السياسية الطارئة وخاصة ما يتعلق منها بالنزاع على مناطق النفوذ دوراً بارزاً في زيادة احتمال نشوب الحرب النووية . ويتطرق (راسيت) لهذه المسألة في مواضع كثيرة من كتابه ، ويقول إن الأميركيين لم يتوانوا في مناسبات عديدة عن التهديد باستعمال الأسلحة المعدّة للضربة الأولى للدفاع عن حلفائهم في حال تعرض هؤلاء لهجوم الشيوعيين ، ولقد صدر مثل هذا التصريح على لسان (جيمس شيلسينجر) لدى زيارته الأخيرة إلى كوريا الجنوبية حين هدد باستعمال الأسلحة النووية الأميركية المُنَصَّبة في كوريا ، في حال تعرضها للغزو الشيوعي . كما صدر تصريح مماثل عن الرئيس السابق (جيمي كارتر) حين هدد باستعمال الأسلحة

	★ الاتحاد السوفييتي ★	★ الولايات المتحدة ★
قاذفات بالستية عابرة للقارات	١٣٩٨	١٠٥٢
غواصات بالستية عابرة للمحيطات	٩٥٠	٥٧٦
قاذفات بعيدة المدى	١٥٠	٣٥٠
رؤوس ذرية	٥٤٠٠	٢١٥٢
رؤوس ذرية للغواصات العابرة للقارات	١٩٠٠	٤٧٠٠

★ الأسلحة الاستراتيجية (١٩٨٢م) يجب ملاحظة أن هذه الأرقام تقريبية بالضرورة ★

النووية في **الخليج العربي** عقب الأحداث التي أعقبت خلع الشاه في إيران .

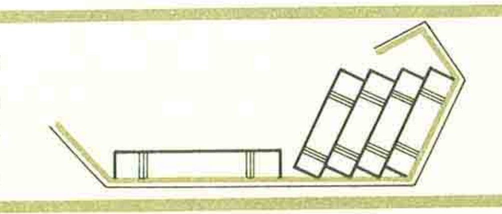
وهناك الكثير من الأزمات الطارئة التي لم تكن تمر بسلام لولا الحنكة السياسية البالغة التي تحلى بها قادة الولايات المتحدة والاتحاد السوفييتي ، فخلال الأيام العصيبة لأزمة الصواريخ الكوبية كان لزاماً على الرئيس كنيدي أن يعطي للرئيس (**خروتشوف**) الفرصة لسحب صواريخه من كوبا ، وفي نفس الوقت يترك له فرصة الحفاظ على ماء الوجه ، لذا فقد عمد الرئيس كنيدي إلى القول إن إذعان خروتشوف للتهديد الأميركي سيكون نصراً للسلام ولم يقل للولايات المتحدة . ويتساءل المؤلف عما كان سيحدث لو أن الرئيس كنيدي قد أشار إلى أن إذعان الروس للتهديد الأميركي يعد دليلاً على استحالة صمودهم أمام الضغط الأميركي . . ؟ لا شك أن الرئيس خروتشوف والشعب السوفييتي سيعتبرون مثل هذا القول إهانة تستوجب الرد عليها مهما كانت النتائج .

والأخطر من هذا ، أن هذا الظرف العصيب قد أوحى للروس بأن الرئيس كنيدي كان جاداً في تنفيذ تهديده ، ومستعداً تمام الاستعداد لتوجيه الضربة الأولى نحو قوات الاتحاد السوفييتي في كوبا ، ولربما ضد مدن الاتحاد السوفييتي نفسه .

والنتيجة التي نخلص إليها من خلال ما تقدم هي أن العوامل الأساسية التي لعبت دورها حتى الآن في منع نشوب الحرب النووية كثيرة ومعقدة ، وأي خلل مستقبلي في أحد هذه العوامل قد يؤدي إلى الكارثة ، ويتساءل (راسيت) ، من الذي يستطيع أن يضمن عدم حدوث مثل هذا الخلل . . . ؟ وهنا نشير إلى الروح التشاؤمية التي طبعت أفكار المؤلف ، خاصة عندما تطرق لمسألة مستقبل السباق نحو التسلح ، والعواقب الخطيرة التي يمكن أن يؤدي إليها ، كما لا يخفى اعتقاده بأنه إذا لم تلجأ الدول المعنية لوضع حد قاطع لقضية السباق نحو التسلح ، فإن الحرب النووية التي ستعني (نهاية) حضارة الغرب لن يكون هناك مفر منها .

وعلى أي حال ليس (راسيت) أول من تنبأ بسقوط حضارة الغرب ، بل سبقه إلى ذلك كثيرون حتى قبل أن تأخذ مشكلة السباق نحو التسلح أبعادها الخطيرة التي نشهدها اليوم ، فلقد تطرق إلى هذه القضية **الفيلسوف الإنجليزي (كولن ويلسون) في كتابه الشهير (سقوط الحضارة) ، وكذلك الكاتب والشاعر الروماني (كونستانتان جيورجيو) في روايته (الساعة الخامسة والعشرين)** ، فلقد قال في تعريفه لتلك الساعة إنها الساعة التي ستعقب الرابعة والعشرين ، وهي التي لن يحل بعدها فجر جديد على حضارة الغرب . . . ؟

تأليف :
د. جاكوب برونوفسكي
عرض وتحليل :
د. سمير سرحان



ارتقاء الإنسان

أو

في العشرين عاماً الأخيرة ، حدث تغير في أولويات ما يعنى به العلم ، فبعد أن كان الاهتمام مركزاً حول العلوم الطبيعية ، انتقل هذا التركيز نحو علوم الحياة ، ونتيجة لذلك اتجه العلم أكثر فأكثر نحو الفردية أو دراسة الفرد ، ولا يكاد المراقب يعي ما يقوم به المعلم في هذا العصر في مجال إحداث أثر بعيد المدى في تغيير صورة مفهوم الإنسان .

و « برونوفسكي » كمختص في الرياضيات وتطبيقاتها الفيزيائية كان يمكن أن يبقى — **على حد قوله** — جاهلاً بتلك التطورات التي حدثت في أولويات ما يعنى به العلم ، لولا سلسلة من المصادفات السعيدة التي دفعته نحو علوم الحياة وهو في منتصف العمر ، كما يقول في مقدمة كتابه الذي صدر مترجماً في سلسلة « **عالم المعرفة** » بعنوان « **ارتقاء الإنسان** » ، وهو يضيف قائلاً : « إن توضيح الأفكار ونشرها — على أية حال — جهد فردي خاص وحميم . وهذا الأمر صفة مشتركة بين التليفزيون والكتاب المطبوع ، وكشخص مهتم ومنشغل بالتيارات الفلسفية الكامنة وراء أصول المعرفة ، يرى أن هذه الصفة هي أهم خاصة مميزة للتليفزيون ، وهي التي ستجعل منه قوة فكرية مؤثرة ومقنعة كالكتاب ، ولكن للكتاب ميزة تعطيه حرّية إضافية ، إذ إنه غير مرتبط بزمن محدد بدءً وانتهاءً » .

والمؤلف يقول ذلك بمناسبة ترجمة مجموعة أحاديثه التليفزيونية إلى هذا الكتاب في تتبع مسيرة ارتقاء الإنسان . ولعل محتوى هذه المقالات أو الأحاديث أوسع في الحقيقة من حقل العلم الرحب ، وكما يقول « **برونوفسكي** » كان عليَّ أن أجد عنواناً آخر غير (**ارتقاء الإنسان**) لولا أن في ذهني خطوات أخرى في تطور البشرية الفكري .

وطموحي في هذا المجال ، كما هو الأمر في كتبي الأخرى العلمية منها والأدبية ، هو إنشاء فلسفة للقرن العشرين تكون وحدة متكاملة .

الطبيعة .. والعلم

فهذه السلسلة ، كما هو الحال في كتبه الأخرى تقدم فلسفة لا تاريخاً ، وعلى التعيين فلسفة الطبيعة لا فلسفة العلم ، إن موضوعها يشمل المفهوم المعاصر لما كان يسمى سابقاً بالفلسفة الطبيعية .. وإننا الآن في مرحلة ذهنية مناسبة تؤهلنا لوضع هذه الفلسفة أكثر من أي وقت مضى خلال القرون الثلاثة الماضية . ويعود ذلك إلى أن الاكتشافات الحديثة في بيولوجيا الإنسان قد وجهت التفكير العلمي وجهة جديدة بحيث تحول الفكر العلمي من دراسة الخصائص العامة إلى الخصائص الفردية ، وذلك لأول مرة منذ أن فتح عصر النهضة باب المعرفة المطل على العالم الطبيعي ، **لا يمكن أن توجد فلسفة ، كما لا يمكن أن يوجد علم يستحق أن يسمى كذلك بدون الإنسانية .**

إن فهم الطبيعة لا بد أن يتخذ له هدفاً وهو فهم الطبيعة الإنسانية ، وفهم الوضع الإنساني ضمن إطار الطبيعة . وتاريخ الإنسان مقسم بشكل غير متكافئ ، فقد عاش الإنسان ما لا يقل عن مليون عام وهو يهيم على وجهه في مجموعات أسرية ، وكانت معيشته هذه أقرب إلى معيشة الحيوان .. إنها حياة بلا ملامح .. إن أكبر خطوة في ارتقاء الإنسان تكمن في انتقاله من **مرحلة البداوة إلى المرحلة الزراعية** وتأسيس القرية . **إن الوسائل والأجهزة الأساسية التي ابتدعها عقل الإنسان قديماً تعادل في براعة صنعها وأهميتها بالارتقاء بالإنسان أي جهاز من أجهزة الفيزياء النووية .** والثراء يأتي من تفاعل الاختراعات فيما بينها ، والثقافة تضاعف الأفكار والآراء ، بحيث إن كل ابتكار يسارع ويضخم قوة بقية الابتكارات الأخرى . إن الزراعة المستقرة تخلق تقنية تنبثق منها جميع العلوم ، ويمكننا أن نلمس ذلك من خلال تطور **المنجل البدائي** إلى المنجل الذي تلاه . على أن أقوى اختراع في الزراعة كلها ، هو بالطبع **المحراث** ، إنه أول تطبيق علمي لمبدأ الرافعة ، وعندما فسر « **أرشميدس** » للإغريق بعد ذلك بوقت طويل **نظرية الكتلة** الرافعة قال : « **إنه بواسطة التحكم بنقطة الارتكاز في الرافعة يمكنه أن ينقل الأرض** » . ولكن حراثي الشرق الأوسط كانوا يقولون قبل ذلك

الثقافة تضاعف الأفكار والآراء، بحيث أن كل ابتكار يسارع ويضخم بقية الابتكارات الأخرى

بآلاف السنين: «**أعطني رافعة وسأطعم الأرض**».

إن المسألة كما تواجهنا ترتبط بمدى القوة التي يمكن للآلة إنتاجها، ويمكن أن يطرح هذا السؤال: **هل تقع هذه القوة ضمن مجال العمل الذي ابتكرت الآلة من أجله؟** وهذا يبين لنا شيئاً بالغ الأهمية عن أصول الحروب ونشأتها في تاريخ الإنسان. وبالطبع هناك ما يغري المرء بأن يغمض عينيه عن التاريخ، وأن يتكهن عوضاً عن ذلك بأن **الحروب تعود في جذورها إلى الغريزة الحيوانية**، كما لو أننا ما زلنا مضطرين ـ مثل النمر ـ لأن نقتل لنعيش، أو كطائر الحناء أحمر الصدر الذي يدافع عن منطقة عشه! **لكن الحرب ـ والحرب المنظمة على وجه الخصوص ـ ليست غريزة إنسانية، إنها شكل من أشكال السرقة أو اللصوصية يتصف بالتعاون ودقة التخطيط**، وقد بدأ هذا الشكل من اللصوصية منذ عشرة آلاف عام عندما تراكم لدى حصادي القمح فائض من الحنطة، فانطلقت مجموعات البدو الرحل من الصحراء لتسلبهم القمح الذي لم يستطع أولئك الرحل توفيره لأنفسهم.

البنية الخفيّة

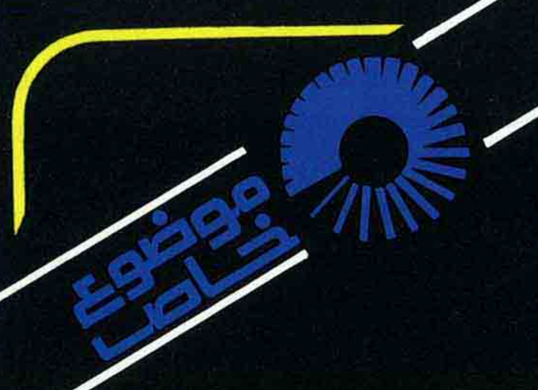
هكذا ينتقل بنا الكتاب خطوة خطوة في مسيرة ارتقاء الإنسان، متتبعاً أصول هذا الارتقاء منذ بدء الخليقة فيجمع لنا حصاد الفصول ويقرأ نسيج الحجر، بعد أن خلق الله الأرض قبل أكثر من أربعة آلاف مليون عام، كما يشرح لنا أن لدى الإنسان موهبة فوق كل المواهب الأخرى التي تجعل الإنسان فريداً بين الكائنات الحية، وهي سروره الشديد باستعمال مهارته وتطويرها.

وهناك قول عام كثير التردد في الفلسفة، مفاده أن العلم مجرد تحليل أو إرجاع إلى الأصول، كما يؤخذ **قوس قزح** ويحلل إلى ألوانه، بينا الفن تركيب بحت، إذ يأخذ الأجزاء ويجمعها ليركب قوس قزح، **وهذه النظرية لطبيعة العلم والفن ليست صحيحة**، ذلك أن كل خيال يبدأ بتحليل الطبيعة، فعندما تتحد اليد مع العقل تفرض المادة ذاتها عن طريق اليد، محددة بذلك مقدماً، شكل العمل للعقل، فالنحّات ـ مثل البنّاء ـ يشعر بالشكل الموجود داخل الطبيعة، وهذا الشكل موجود ومتوفر سلفاً في هذا الكون. إننا نشاهد ذلك واضحاً في كل وقت يتعلم فيه الطفل كيف يربط بين اليد والأداة، وحتى في مرحلة ما قبل التاريخ، نجد أن الإنسان قد صنع أدوات ذات حد أمضى مما كانت الحاجة تدعو إليه، ولكن هذا الحد الأكثر مضاء أدّى بدوره إلى أن تُستعمل هذه الأداة استعمالا أدق، **ولعل أهم حافز وأعظم دافع في ارتقاء الإنسان هو متعته في ممارسة مهارته، وخدمة الأداة التي هي امتداد لليد البشرية، وهي أداة رؤية، فهي تكشف النقاب عن بنية الأشياء، وتجعل من الممكن جمع الأجزاء مع بعضها ضمن تكوينات طموحة**، ولكن ما هو مرئي ليس التركيب الوحيد في العالم، إذ إن هناك تركيباً أدق موجوداً تحته. والخطوة التالية في ارتقاء الإنسان تكمن في إيجاد أداة تكشف عن البنية الداخلية غير المرئية للمادة، وهذا ما يتناوله المؤلف في الفصل الثالث تحت عنوان «**البنية الخفية**».. إذ توقف ارتقاء الإنسان فترة، متحفزاً بانتظار المرحلة القادمة التي تمثلت في إيجاد معدن صلب ذي حد قاطع.. وهناك في مسيرة ارتقاء الإنسان خطوة يخرج فيها من ظلال المعرفة السرية والمجهولة المصدر، ويدخل نظاماً جديداً يعتمد على الاكتشاف الشخصي والعلمي **وهذا ما تمثله رحلة ارتقاء الإنسان مع المعادن والسبائك وتركيباتها، مع العناصر الطبيعية والكيميائية المختلفة**.

العدالة

ولعل ما يلفت النظر في كتاب «**ارتقاء الإنسان**» هو لغته المحكمة المليئة بالصور البلاغية الراقية التي تكسب كم الفلسفة والعلم الذي بين دفتيه جاذبية خاصة، ويتجلى ذلك بوضوح في عناوين الفصول التي تأخذ شكل عناوين القصائد: **حصاد الفصول، نسيج الحجر، البيئة الخفية، موسيق الأجرام، رسول إلى النجوم، الكون كساعة مهيبة الانتظام، الانطلاق نحو القوة، سلم الخليقة، عالم ضمن عالم، معرفة أم يقين، جيل بعد جيل**.

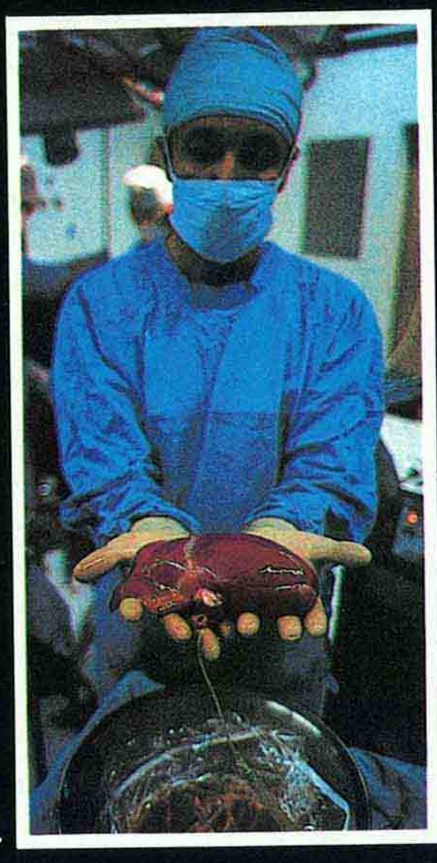
وفي الفصل الثاني عشر والأخير نلتقي مع «**الطفولة الطويلة الأمد**» إذ يحدثنا المؤلف **د. جاكوب برونوفسكي**، عن أن العدالة أمر شائع في كل الحضارات، فهي حبل مشدود يمشي عليه الإنسان متأرجحاً بين رغبته في تحقيق أمانيه من جهة، واعترافه بالمسؤولية الاجتماعية من جهة أخرى، ويقول **برونوفسكي**: «**إن الإنسان هو الوطن ـ من بين المخلوقات الحية ـ الذي يتطلع إلى أن تكون له هاتان الميزتان معاً، أي أن يكون فردياً واجتماعياً في ذات الوقت**. ولعل من المذهل أن نفكر أن العدالة جزء من التركيب البيولوجي للإنسان، ومع ذلك فإن هذا التفكير ذاته هو الذي أخرجني من عالم الفيزياء إلى علم الحياة، وعلمني منذ ذلك الحين أن حياة الإنسان وبيئته هما المكان الصحيح لدراسة تفرد الإنسان بميزاته البيولوجية».





بقلم: عبد الرحمن حريتاني

(ستورمي جونز) طفلة عمرها ست سنوات من مدينة كمبي في (تكساس)، كانت تعاني من خلل وراثي نادر يرفع نسبة الكوليسترول في دمها من (٦ ـ ٨) أضعاف النسبة العاديّة، ونسبة الكوليسترول المرتفعة جداً هذه أدّت لتراكمات وترسّبات دهنية داخل شرايينها ممّا أدى إلى إصابتها بنوبة قلبية وهي في الخامسة من عمرها حيث أجريت لها جراحة الممرّ الجانبي bypass surgary في شرايينها التاجيّة، فقرر أطبّاؤها الذين يعالجونها أنّه لا أمل لها في الحياة إن لم يُزرع لها كبد liver جديد عوضاً عن كبدها التالف الذي لم يعد يسيطر على إنتاج الكوليسترول في جسمها.. ولكن قلبها الضعيف ليس بمقدوره تحمّل معاناة عملية زرع Transplant الكبد المرهقة.. فاضطروا إلى إجراء عمليتي زرع لها، زرع قلب أولا ثم زرع كبد.. وفي منتصف شهر فبراير (شباط) الماضي زرع لها قلب جديد أخذ من طفل مات قبل عدّة ساعات من عملية الزرع، ثم زرع لها كبد جديد أخذ من الطفل نفسه في عملية زرع ثانية.. ونجحت العمليتان.. والطفلة (ستورمي) الآن في شهر أغسطس (آب) تتماثل للشفاء تماماً من عملية الزرع المزدوجة التي لم يسبق لها مثيل.


★ طبيب جرّاح يحمل كبد طفل عمره سبعة أشهر ليزرعه لطفل مصاب كبده بانسداد صفراوي ★

السايكلوسبورين.. العقار المذهل

زرع القلب أو زرع الكلية عملٌ جراحيّ بسيط إذا ما قورن بعملية زرع الكبد وما تستوجبه من جهد تقنيّ بارع لا مثيل له، فبينما عملية زرع القلب أو عملية زرع الكلية تستغرق من (٣ ـ ٥) ساعات، نرى **أن عملية زرع الكبد تشغل فريقاً كبيراً يتكوّن من أكثر من (٦٠) طبيباً وممرّضة وتقنيّ لمدّة (١٠) ساعات، ويمكن أحياناً أن تستمرّ لأكثر من (٢٤) ساعة متواصلة**، وعمليات زرع الكبد تُجرى عادة لمن تضرّرت أكبادهم بشكل خطير ولم تبق لهم

فرصة للحياة لأكثر من بضعة شهور ، **واليوم أكثر من (٧٠٪) من الذين زرعت لهم أكباد جديدة يُتوقَّع لهم أن يعيشوا لأعوام بعد العملية ، ويمكن أن تزداد فترة الحياة هذه بنسبة أكبر مع تزايد خبرة الأطبّاء الزارعين والتقنيين** ، وإن كان يُعزى فضل التحسّن الكبير المنشود لإطالة فترة الحياة لمستقبلي الأكباد الجديدة إلى العقار الرائع المكتشف حديثاً (**السايكلوسبورين cyclosporine**) الذي يقاوم **الرفض المناعي Immunity rejection** للعضو الجديد المزروع في الجسم ، وإلى تقنية جراحة الممرّ الجانبيّ الأحدث التي ساعدت كثيراً على حلّ الكثير من التعقيدات الخطيرة أثناء الجراحة . . وبعد أن كانت عمليات زرع الكبد عمليات تجريبية لسنوات قليلة مضت ، صارت الآن تُجرى كاختيار نظاميّ للمصابين **بالقصور الكبدي failing livers** ، ويوجد حالياً في **مستشفى جامعة (بتسبرج pittsburgh**) ستّة مراكز متخصّصة بزراعة الكبد ، أجرى الأطبّاء الجرّاحون (١٠٦) عمليات زرع كبد فيها في العام الماضي فقط ، بينما لم يُجرى في عام (١٩٨٢ م) كلّه سوى (٣٠) عملية فقط ، وتوجد حالياً أربعة مستشفيات في مدينة (بوسطن) تساهم في تطوير فرق زراعة الكبد فيها ، إضافة إلى مستشفيات كثيرة أخرى تحضر للقيام بمثل هذه العمليات مدفوعة بالنجاحات الجديدة لهذه العمليات ، وبعد هذه النجاحات نشطت عمليات التأمينات الصحيّة لتأمين التغطية المالية لهذه العمليات المكلّفة ، كما أقرّ **الكونجرس الأمريكي** مشروع قانون سوف يساعد المستشفيات على تحسين قدراتها لإنجاز أكبر عدد ممكن من عمليات زرع الكبد ، ولمعالجة قضيّة النقص في عدد المتبرعين بأكبادهم ، وكان الرئيس (**ريجان**) قد وجّه في الصيف الماضي من الراديو مناشدة غير عادية قوميّة النطاق على مستوى الولايات المتحدة كلّها يحث فيها الشعب الأمريكي على التبرّع بالأكباد لإنقاذ أناس يواجهون الموت الوشيك .

أصعب العمليات الجراحية

صعوبة عمليات زرع الكبد تأتي من طبيعة تكوين الكبد نفسه ، فلا يمكن أن يُحتفظ بالكبد خارج الجسم لأكثر من (٧) ساعات ، وبعد هذه المدّة يبدأ بفقد مقدرته على القيام بوظائفه الحيويّة المتعدّدة ، بينما مثلاً تبقى الكلية صالحة للزرع ولو بقيت خارج الجسم لأكثر من ثلاثة أيام (القلب ليس لأكثر من (٤) ساعات) ، وهكذا لا يكون عند الأطبّاء الجرّاحين وقت طويل لإنجاز عملهم المعقّد برويّة .

والكبد هو أهم أعضاء الجسم والعضو الداخلي الأكبر وتنتهي حياة الفرد باستئصاله ، يقع بجوار المعدة ممّا يلي الجانب الأيمن من الجسم ، ويندسّ تماماً تحت ضلوع القفص الصدري التي تحميه من أيّ أذىً ، يتراوح وزنه في الشخص البالغ بين (١,٣٥ ــ ١,٨٠) كيلوغراماً ، ومن الصعوبة بمكان أن يُعالج بعدما ينتشر المرض به ، وله مئات الوظائف الحيوية ، ولذا فهو يحتاج إلى شبكة معقّدة من **الأوعية الدموية vessels** لتربطه بأجزاء الجسم المختلفة ، والجرّاحون عندما يجرون عملية الزرع يفصلون هذه الأوعية الدموية بدقّة شديدة ويقطعونها ثم يعيدون وصلها بالخياطة بعد زرع الكبد الجديد ، لتتّصل الشرايين والأوردة الرئيسية بقناة الصفراء التي تؤدّي إلى الأمعاء ، وفي عمليات الزرع للأطفال المولودين بأكباد مريضة يتطلّب من الجرّاحين أن يجروا جراحة ميكروسكوبية حذرة لأن الأوعية الدموية للأطفال تكون دقيقة وربّما نشأت مشاكل أخرى أثناء إجراء عمليات زرع الكبد ، من ذلك مثلاً أنه عندما يثبّت الجرّاحون **الوريد البابي portal vein** وهو الوريد الضخم الذي يحمل الدم من الجهاز الهضمي والطحال إلى الكبد ، والأوردة الأخرى التي تتّصل **بالوريد الأجوف vena cava** ومن ثم إلى القلب ، يبدأ الدم بالتجمّع في الأوردة مسبّباً تراكماً خطيراً للسوائل في الأمعاء حيث يصاب الجهاز الهضمي بأضرار يتعذر شفاءها ، وربّما أدّى هذا إلى تلف الكليتين أيضاً ، وللتعامل مع هذه المشكلة الأساسية والخطيرة في عمليات زرع الكبد صنع وطوّر أخصّائيو الزرع مضخّة ممرّ جانبي **bypass pump** بإمكانها أن تحوّل جريان الدم من الوريد في الساق إلى الوريد في الذراع وترغم الدم على أن يجري في أعلى الجسم حول الأوعية الدموية المثبّتة بإحكام . . ومشكلة أخرى قد تنشأ أثناء عملية الزرع وهو النزيف الغزير في الاتجاه المعاكس ، فعندما يكون الكبد مريضاً يفشل في أداء واحدة من أهم وظائفه الحيوية وهي تصنيع وإنتاج المواد التي تسبّب تجلّط الدم ، ولهذا السبب فإنه عندما يجهز الجرّاحون الكبد الذي سيزرع يكونون على حذر شديد من إمكانية تسرّب دم الأوعية ، ولذا فهم يربطونها بسرعة . . ورغم كل هذه الاحتياطات يفقد المريض أثناء عملية الزرع كمّية كبيرة من الدم تعادل في المتوسّط أكثر من (٥٠) مرّة ما يُفقد في أيّ جراحة بطنية . وبعد أن تنجح عملية الزرع تظهر نتائجها المُرضية بشكل فوريّ وسريع ، ويقول الدكتور (**بييرس شو Byers Shaw**) جرّاح زراعة الكبد في مستشفى جامعة (بتسبرج) : « نحن لن نعلم فيما إذا كان الكبد المزروع سيعمل بصورة طبيعية حتى نزرعه في جسم المريض ، ولكن عندما يعمل هذا الكبد في الجسم الجديد فإنّنا نستطيع أن نرى آثار عمله مباشرة ، فخلال ساعات نشاهد الصفراء Bile تسيل خلال القناة الصفراوية ، كما أننا نرى آثار مواد التجلّط تجري في الدم بعد تصنيعها من قبل هذا الكبد الجديد » .

★ أول طفلة في العالم يتم زراعة القلب والكبد لها في أميركا ★



وعندما يؤتى بالكبد الجديد ليزرع يكون واهناً ولونه شاحباً ، ثم بعد أن يزرع في الجسم يعود لونه ليتحوّل إلى الأحمر الورديّ القاني ، ويتحسّن مظهر المريض تبعاً لذلك بشكل يدعو للدهشة ، وفي فترة قصيرة نسبياً ، وأيضاً يزول **اليرقان Jaundice** (مرض تتميّز أعراضه بتغيّر لون العيون والجلد إلى اللون الأصفر) في بضعة أسابيع ، كما يزول الانتفاخ البطني الذي هو أيضاً أحد أعراض مرض الكبد .

دواعي زراعة كبد جديد

لفترة قريبة ، كان حتى ولو نجحت عملية الزرع فإن النظام المناعي Immune system يُنذر بوجود نسيج غريب ، ويهاجم الكبد الجديد المزروع ويدمّر خلاياه ويسبّب الموت للمريض . . ولكن **بعد استعمال العقار الجديد (السايكلوسبورين) أمكن السيطرة على النظام المناعي للجسم ومنعه من مهاجمة وإتلاف الكبد المزروع ،** وكان قد وُوفق على استخدام هذا العقار في شهر نوفمبر (تشرين الثاني) الماضي بعد أن كان قد نال الموافقة للاستخدام التجريبي في عام (١٩٧٩ م) ، و (السايكلوسبورين) عقار جديد أحدث اكتشافه ثورة في عالم زرع الأعضاء ، وخاصة في عمليات زرع الكبد التي كان يستحيل إجراءها قبل عامين ، **واستعمال العقار الجديد من قبل من زرعت لهم أكباد جديدة زاد من فرصة الحياة عند (٧٠٪) منهم لخمس سنوات بعد إجراء العملية ،** وجعل عمليات الزرع تبدو كعمل روتينيّ ، كما أنّه سيحل قريباً جداً محل كل الأدوية التي استعملت سابقاً لإيقاف قدرة الجهاز المناعي في الجسم على رفض العضو المزروع .

وعقار (السايكلوسبورين) مادة عزلت من نبات فطر الأرض ، وقدرته تكمن في أنّه يوقف عمل خلايا الرفض دون أن يدمّرها ، وعمله لا يضرّ بجهاز المناعة في الجسم ، وهذه كانت معضلة كل الأدوية التي كانت تستعمل قبله والتي كانت تشلّ عمل جهاز الحصانة في الجسم ، فتمنع رفض العضو المزروع ولكنها تفقد الجسم حصانته ضدّ الجراثيم الغازية والأجسام الدخيلة .

و (السايكلوسبورين) يوقف عمل جزء من النظام المناعي للجسم ، وهو المتعلق برفض النسيج الغريب المزروع ، بينما لا يؤثّر على عمل الجهاز المناعي في الدفاع عن الجسم ضدّ الجراثيم والعدوى . . وهذه الناحية هي الأهم في عمل هذا العقار المذهل .

والدكتور الأميركي الطبيب (توماس ستارزل Thomas Starzl) من جامعة (بتسبرج) ورائد عمليات زرع الكبد بدأ يستعمل عقار (السايكلوسبورين) لمرضاه الذين زرع لهم أكباد منذ عام (١٩٨١ م) ، ومنذ ذلك الوقت زادت نسبة من بقوا على قيد الحياة لمدة مضاعفة بنسبة (٧٠٪) ، ووصف (ستارزل) هذا العقار بأنّه « المفتاح الذي فتح باب زراعة الأعضاء على مصراعيه » .

والذين زرعت لهم أكباد جديدة يُشفون بسرعة بعد إجراء العمليات

الجراحية ، هذا إذا لم تكن هناك أيّة مضاعفات ، ويقول **الدكتور (شو)** : «إن بعض من زرعت لهم أكباد جديدة يمشون خلال يومين أو ثلاثة أيام ، ولكن على جميعهم أن يتناولوا عقار (السايكلوسبورين) كلّ يوم طيلة حياتهم الباقية ، وأيضاً عليهم أن يتكيّفوا عاطفياً وجسدياً مع فكرة أنهم يعيشون بكبد إنسان آخر ، ذلك أن بعض الناس يحتاجون لوقت قبل أن يتقبّلوا هذه الحقيقة ، ويقول **الدكتور (كارل جارتنر) طبيب الأطفال في جامعة (بتسبرج)** : «نحن نهتمّ كثيراً بحالة نموّ وتطوّر الإدراك لدى الأطفال بعد الزرع ، كما نهتمّ بهم فكرياً ونفسياً لحين شفاءهم التامّ ، وربما هذا يأخذ وقتاً لدى بعض المرضى ، ولكنهم يتكيّفون بعدها مع الوضع الجديد ويصبحون طبيعيين جداً» .

وأمراض الكبد التي يرى الأطبّاء أنّها حالات تستوجب زرع كبد جديد تزيد عن الـ (١٢) مرضاً ، والمرض الشائع من بينها هو اعتلال الكبد الخطير في الأطفال (واحد من ٨٠٠ طفل يولد وبه هذا المرض) ، **ومرض الانسداد الخلقي الصفراوي biliary atresia** ، **والانسداد الخلقي في قناة الصفراء bile ducts** التي تؤدّي إلى أن تتجمّع الصفراء في الكبد وتتلفه ، **والتهاب الكبد hepatitis** ، والتليّف الكبدي **cirrhosis** (بما فيها الحالات التي يسبّبها إدمان الكحول) ، والخلل الوراثي الذي يسبّب التهاب الكبد ، **والقصور الكبدي liver failure** .

والنجاح في عمليات زرع الكبد لم يكن طريقه سهلاً بالنسبة للأطبّاء الروّاد ، فقد حاول الدكتور (ستارزل) زرع كبد في المركز الطبّي لجامعة (كولورادو) في عام ١٩٦٣ م ، وفشل ، وحاول في أربع مرّات أخرى وفشل أيضاً ، وأيضاً كانت هناك محاولات لزرع أكباد في (بوسطن) و (باريس) ، وفي عام ١٩٦٧ م ، نجح الدكتور (ستارزل) بزراعة كبد لفتاة عمرها (١٨) شهراً وعاشت به لمدّة (١٣) شهراً قبل أن تموت متأثّرة بالسرطان الذي بدا بوضوح أنّه كان قد انتشر في جسمها مبكّراً من ورم من الكبد المنزوع ، ومنذ ذلك الوقت زرع (٦٠٠) كبد في العالم ، منها (٤٠٠) كبد زرعهم الدكتور (ستارزل) لوحده .

وعمليات زرع الكبد الآن تنتقل من المراحل التجريبية إلى الممارسة الفعلية المقبولة ، وكلفة العملية لا تقل عن (٢٠٠,٠٠٠) دولار ، وفي شهر فبراير (شباط) الماضي اعتبرت شركات التأمين في ماساشوستس عمليات زراعة القلب ، والقلب ــ رئة ، وزراعات الكبد ، كإجراءات جراحية يمكن أن يغطّيها التأمين .

مؤسسات لأعضاء جسم الإنسان

تمّ إنشاء مؤسسات قومية وعالمية لتقاسم المعلومات حول المتبرعين والمستقبلين لمختلف الأعضاء في الجسم ، وعملت هذه المؤسسات على إقامة مراكز للحصول على أعضاء الجسم البشري وتوزيعها ، وهي تنسّق

★ ١١,٠٠/ مساءً : ربط أوعية الدم للمريض المستقبل إلى مضخة وتحويله ★



★ ١٠,٣٠/ مساءً : نقل الكبد بالسيارة إلى المطار ، في الوقت الذي يستعد فيه جراحو بيتسبورج لتحضير المريض الذي سيزرع به هذا الكبد ★





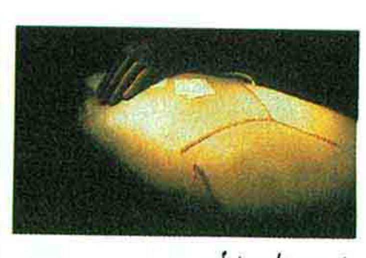
★ ١٠,١٥/ مساءً : غمر الكبد في الثلج بداخل الصندوق استعداداً لنقله من مانهاتن إلى بيتسبورج ★



★ ١٠,٠٠/ مساءً : غسيل الكبد بمحلول ملحي مثلج ★



★ ١٠,٠٠/ صباحاً : المريض بغرفة العناية المركزة تحسباً لرفض جسمه للكبد الجديد أو حدوث التلوث ★



★ ٨,٠٠/ صباحاً : مكان العملية ببطن المريض ★



★ ٤,٠٠/ صباحاً : تثبيت الكبد في مقامه الجديد ، وخياطة الأوعية الدموية ★

جهودها معاً لمنع الاستغلال ولمنع عمليات بيع وشراء الأعضاء ، ومن هذه المؤسّسات **شعبة خدمات الإنسان والصحة** التي أنشأت بعض المراكز المؤهلة لجراحة الزرع من أجل أن تغطّي عمليات زرع الأعضاء ماديّاً من قبل الحكومة وشركات التأمين الصحّية الخاصّة ، ولكي تؤمّن كلفة العقاقير المضادة للرفض لأكثر من ثلاث سنوات بعد عملية الزرع ، ولأن كلفة العناية لما بعد العملية غالباً ما تكون أكثر من كلفة الزرع ، وذلك بحسب ما يقول عضو الكونجرس الديمقراطي (**ألبرت جوري**) الذي يعدّ مشاريع القوانين في اللجنة الفرعية بالكونجرس الأميركي .

الكبد .. مصنع الجسم

إنّه العضو الداخلي الأكبر في جسم الإنسان ، يندسّ تحت الضلوع ، وله أكثر من (٥٠٠) عمل حيوي في الجسم ، يتزوّد بالدّم من موردين ، الدم النقيّ الأحمر يحمله إليه **الشريان الكبدي hepatic artery** ، والدم الغني بالغذاء الآتي من المعدة والأمعاء يحمله إليه **الوريد البابي portal vein** ، والأوردة الكبدية تحمل الدم من الكبد إلى **الوريد الأجوف vena cava** (الوريد الرئيسي في الجسم) الذي بدوره ينقله إلى القلب ، حيث يضخ خلال الجسم ثانية ، وكل دم الجسم تقريباً يمرّ خلال الكبد حيث يحوّل الكبد الأغذية إلى مواد أخرى تستهلك في نسج الجسم ، وتفرّعات الوريد البابي تكون على شكل نصف قطري شعاعي حول الفروع الأصغر للأوردة الكبدية ، حتى إذا ما رشح الدم من خلال الأوعية الدقيقة المتجهة باتجاه الوريد الكبدي المركزي فإن الأوعية البابية تحيط بها ، ومن بين أعمال الكبد الهامة والكثيرة تزويده الجسم بالطاقة الفوريّة ، كما أنه يصنع البروتينات ، ويبطل أثر السموم والمواد الضارّة في الجسم ، وينظم تجلّط الدم ، ويصنع الصفراء ، ويحوّل المواد الغذائية إلى صورة أكثر فعالية ، ويعالج آثار الكحول ، ويسيطر على إنتاج الكوليسترول ، ويخزن الفيتامينات والمواد المعدنية ، وينتج العوامل المقاومة للتلوّث .

المتبرّعون بأعضائهم

معظم الذين يموتون في الولايات المتحدة كل عام ، ويقدّرون بمليوني شخص ، تكون أعضاء أجسادهم غير صالحة للزرع ، وذلك بحسب أسباب وظروف موتهم ، وحوالي (٢٠,٠٠٠) إنسان منهم فقط يمكن أن تُؤخذ أعضاء سليمة منهم لتزرع في أجساد غيرهم ، وفقط حوالي (٢٥٠٠) شخص منهم تبرّعوا بأعضائهم في العام الماضي ، وكانوا يحملون معهم البطاقة التي تحدّد نوعية تبرّعهم والهدف منها ، ورغم ذلك فإن وكالات الحصول على الأعضاء تصرّ على أخذ الموافقة من أقارب المتوفّي بعد موته ، لأنها تعتبر أن بحث هذا الأمر مع عائلة المتبرع ضروريّ جداً .

عملية زرع الكبد بالصور من اليسار إلى اليمين




★ ٧,٠٠/ مساءً : الاستعداد لنزع الكبد ★



★ ٨,٠٠/ صباحاً : بدء العملية ★



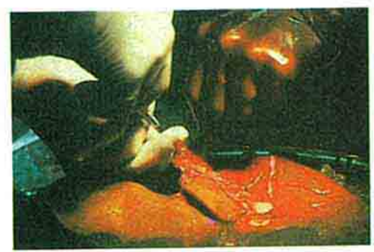
★ ٩,٠٠/ مساءً : نزع الكبد بعد قطع وربط الشرايين والأوردة بإحكام ★



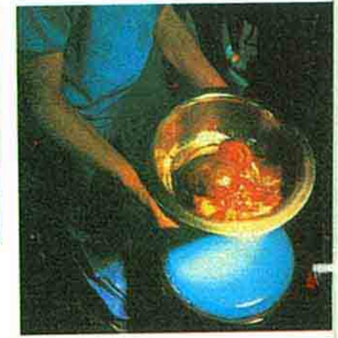
★ ١١,١٥/ مساءً : في بيتسبورج : الأطباء ينزعون كبد المريض المستقبل ، ويبعدون المرارة لئلا تلامس الأوعية الدموية ★



★ ١,٠٠/ صباحاً : الكبد في طريقه إلى غرفة العمليات ★



★ ١,٣٠/ صباحاً : تنظيف الكبد قبل احتلاله المكان الجديد ★



★ ٢,٠٠/ صباحاً : إلى المختبر لإجراء الفحوص اللازمة ★

علم الإنسان Anthropology

زاد عمر الإنسان على الأرض مليون عام :

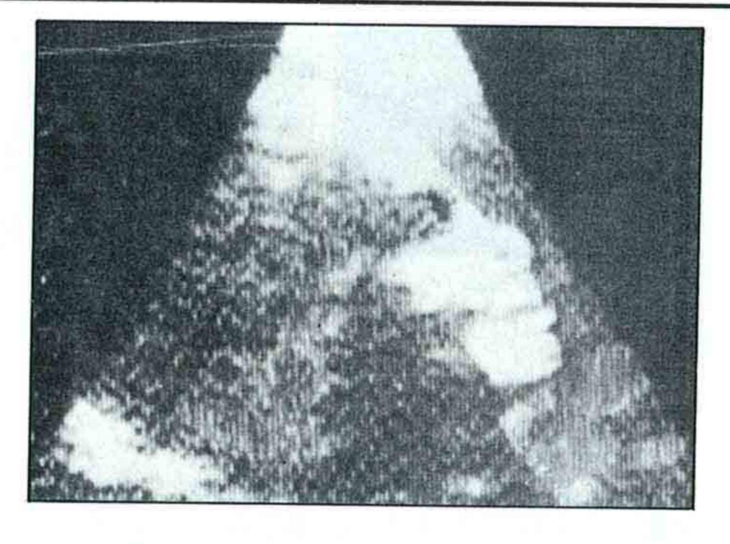
باكتشافات هذا العام فإن عائلة شجرة حياة الإنسان على الأرض قد أورقت أكثر ، فنتيجة لاكتشاف **مستحاثتين إنسانيتين hominid fossils** هما الأهم هذا العام ، زادت فترة الحياة التي قضاها الإنسان على الأرض حتى الآن بحوالي (مليون) عام .

ففي شهر فبراير (شباط) الماضي اكتشف **(كيتبالام شيبوي) عضو الفريق الكيني** في حملة اكتشاف المستحاثات الإنسانية **في كينيا** كسر صغيرة من عظام فك jaw إنساني طولها حوالي (٥) سم وضرسين Molars قرب بحيرة (بارينجو) في كينيا ، ويقول **قائد حملة الاستكشافات العالم بعلم الإنسان (الأنثروبولوجي) من جامعة هارفارد (آندرو هيل)** إنّه يظهر بأن هذه المستحاثات تنتمي إلى النوع الإنساني Australopithecus الجد الأقدم لعائلة الإنسان ، والتي منها أيضاً **المستحاثة الإنسانية المشهورة (لوسي) التي اكتشفت في أثيوبيا ،** ويقدّر العالم بعلم الإنسان **(ريتشارد ليكي)** عمر هذه المستحاثة الإنسانية المكتشفة بما مقداره من (٤,٥ – ٥) ملايين عام على الأقل ، وبهذا تعتبر أقدم بمليون عام من أيّ مستحاثة إنسانية معروفة حتى اليوم .. وأما المستحاثة الأخرى المكتشفة فقد اكتشفت **في الهند** وقدّر عمرها بمليون عام أقل من المستحاثة الكينية ، وقد تكون تمثّل الجد الحديث للإنسان الحالي ، وقد أعلن هذا الاكتشاف **الجيولوجي الهندي (آران شوناكي)** في أحدث اجتماع لعلماء علم الإنسان تمّ في **المتحف الأميركي للتاريخ الطبيعي** في مدينة نيويورك ، والمستحاثة عبارة عن قمّة

طب Medicine

الموجات الصوتية تحدّد جنس الجنين :

منذ عام (١٩٥٠م) يستعمل الأطبّاء الأجهزة فوق الصوتية ultrasound التي تبث موجات صوتية عالية التردّد high frequency لمراقبة الأجنّة الإنسانية وهي في بطون الأمهات ، وتقدّم هذه الأجهزة فوق الصوتية على شاشات تلفزيونية خاصّة صوراً واضحة تُظهر حجم وعمر وجنس وموضع الجنين أو أيّ تشوّه يكون قد أصابه ، وتوجد هذه الأجهزة في جميع المستشفيات الأميركية وعند أكثر من ثلث أطبّاء التوليد الخاصّ . ونشاهد في الصور عملية فحص بجهاز فوق صوتي وصورة مكبّرة للجنين المرتسم على الشاشة .



وعلى الرغم من الإجماع في الرأي بين جميع الأطبّاء على أن هذه الأجهزة لا تسبّب أيّ أذىً للجنين أو الأم فإن أكثرية النساء الحوامل تتخوّفن منها ، وفي شهر فبراير (شباط) الماضي وبعد أن طرح الأطبّاء مسألة استخدامها بشكل منتظم وعادي ، اجتمعت بدعوة من **المعهد القومي الأميركي للصحة** لجنة أطبّاء خاصّة من الخبراء لبحث هذا الموضوع ، وقرّرت في ختام جلساتها استخدامها بشكل عام في جميع المستشفيات والعيادات ، ولكن مع بعض الحذر ، لأنه وإن كان لا يوجد للآن أيّ برهان على أن هذه الأجهزة قد تؤذي الجنين أو الأم ، فإنه لا يزال هناك مخاطر افتراضية قد تحدث ، ولذلك يُنصح باستعمالها ولأسباب طبّية مقبولة ، وقدّمت لجنة الخبراء (٢٧) سبباً لاستخدامها ، من بينها الشك في إصابة الجنين بعيوب خلقية ، وفي بعض حالات الحمل التي يشك في خطورتها ، ورغم كل هذا فإن الغالب في استعمال هذه الأجهزة هو لإرضاء فضول الوالدين بمعرفة جنس الجنين ، رغم أن هذا قد يثبّط الهمّة كما تقول لجنة الخبراء .

☆ ☆



جمجمة إنسانية اكتشفت في **وادي (نارمادا) في غرب الهند**، وهي المنطقة التي اكتشف فيها من قبل أدوات حجرية قديمة كان يستعملها الإنسان القديم، ولكن لم يكتشف فيها من قبل أي مستحاثة إنسانية، وبحسب ما تقوله العالمة بعلم الإنسان **(ماريا أنطوانيت دي يملي) من متحف الإنسان في باريس** فإن هذه المستحاثّة ربما كانت لإنسان نياندرتال، أو على الأقل هي الجد الأعلى للإنسان المنتصب (القائم) Homoerectus، وهي تقول: «إن هذه المستحاثّة اكتشاف رائع، فهي تقدّم لنا الخيط الذي يصل بين إنسان نياندرتال في أوروبا والإنسان المنتصب في جنوب آسيا.

☆☆

حضارات Civilization

قاموس السومرية الأول: (بنسلفانيا) :Pennsylvania

المدن السومرية العظيمة التي انتشرت بين نهري **دجلة والفرات** في الفترة بين (٣٠٠٠ ــ ٢٠٠٠) قبل الميلاد، والتي كانت من أسس **الحضارة السومرية العظيمة**، اكتشف أخيراً بأن السكّان الذين يقطنون فيها كانوا يحتفظون بسجلّات خاصّة يدوّنون عليها جميع عمليات البيع والشراء والمقايضة التي كانت تتمّ فيما بينهم على أساس اقتصادي، وقد نقشت جميع هذه المعلومات على ألواح من الطين كالتي نشاهدها



في الصورة وبحروف **الكتابة المسمارية** التي هي أول كتابة استعملت على الأرض خلال التاريخ البشري.

في عام (١٩٧٦ م) بدأ طلاب من **جامعة بنسلفانيا** بتجميع وتصنيف **أول قاموس Dictionary وُجد على الأرض بحروف الكتابة المسمارية وباللغة الحديثة**، وأعلنوا في شهر أبريل (نيسان) الماضي عن اكتمال تجميع أول مجلّد من الـ (١٨) مجلّداً الذين سيضمّهم هذا القاموس، وقد اكتشف حتى الآن حوالي (مليون) لوح طينيّ منقوش بالكتابة المسمارية تعبّر عن روح أعظم حضارة قديمة وُجدت على الأرض، ويعتقد علماء الحضارات بأنّه ما زال يوجد تحت الأرض ما لا يقل عن (١٠٠) مليون لوح طيني آخر لم يكتشف بعد، وبحسب ما يقوله **عالم الحضارات (إرل ليبكتي Erle Leichty) مدير مشروع القاموس السومري الأوّل** فإن (٩٠ ــ ٩٥٪) من هذه الألواح تتحدّث عن أمور تجارية وأعمال البيع والشراء والمقايضات التي كانت تدوّن يومياً، والـ (٥ ــ ١٠٪) من الألواح الطينية المتبقّية دوّن عليها كل شيء نحن نكتب عنه الآن في حضارتنا الحديثة وطبعاً ما عدا العلوم الحديثة، كما أن معظم الألواح تحتوي على حروف رمزية ربما كانت تستخدم كفهرس لتسهيل الاطّلاع على محتويات القاموس، ويقول العالم (ليبكتي): «إنه عمل عظيم يُظهر عظمة هذه الحضارة الأولى على الأرض، وسيكون في مقدورنا إظهار عظمة هذا العمل الحضاري ليطّلع عليه الجميع».



لوحة وفنان



اللوحة : تجريد

● تنتمي اللوحة المنشورة إلى المدرسة التجريدية التعبيرية أو التصوير الحركي ، وقد اعتمد الفنان في تصويرها على سكب الألوان على سطح اللوحة ، وتوزيع تلك الألوان وفق نظام يحقق به الاتزان في اللوحة .. فساحات اللون الأحمر موزعة على شكل كتل متوازنة في فراغ اللوحة ، وكذلك المساحات والخطوط السوداء التي تنتشر في جميع أجزاء اللوحة .. وتفاعل المساحات الحمراء والمساحات والخطوط السوداء معاً يحقق النسيج العضوي في اللوحة ، إضافة إلى تحقيق الاتزان اللوني .

● لا تحمل هذه اللوحة مضموناً أدبياً أو تعبر عن موضوع محدد ، وإنما هي بمثابة تسجيل لأحاسيس وشعور الفنان .. ومضمون وموضوع اللوحة هو القيم الجمالية في التشكيل ذاته ، وتحقيق تكامل العناصر الشكلية من كتلة وفراغ ، ولون ، وضوء ، وظل ، وملمس سطح ، وإيقاع نغمي .

● لم يستخدم الفنان الفُرْشة فقط في تصوير هذه اللوحة ، وإنما اعتمد على سكب الألوان ونثرها من بعد على اللوحة ، وهي في وضع أفقي وذلك ليتمكن من السيطرة على جميع أجزاء اللوحة .

وحين قام بتوزيع الألوان ونثرها ، لم يقم بها بشكل عشوائي كما تبدو للمتلقي .. وإنما وزعها وفق خطة مسبقة ، أي أنه استخدم المنطق الرياضي في اختيار الألوان وتوزيعها .. والتكوين عنده يقوم على اتزان إيقاع الكتل « المساحات اللونية » ، ويبدو من نظرة عامة كلية .

* *

الفنان : جاكسون بولوك

* *

● ولد في مدينة « كودي » بمقاطعة وايومنج بغرب الولايات المتحدة الأمريكية في عام ١٩١٢ م .

● نشأ في أريزونا وشمال كاليفورنيا ، وتلقى دراسته الأولى للفن في مدرسة متوسطة للفنون بلوس أنجلوس في الفترة من ١٩٢٥ ـ ١٩٢٩ م .

● انتقل إلى مدينة نيويورك حيث استكمل دراسته الفنية في مركز الفنون في الفترة من ١٩٢٩ ـ ١٩٣١ م ، تحت إشراف الأستاذ توماس بنتون .

● عرض أعماله للمرة الأولى مع مجموعة من الفنانين المجددين بمعرض أقيم في مدينة نيويورك ، وكان ذلك عام ١٩٤٠ م .

● في عام ١٩٤٣ م ، أقام الفنان أول معرض شخصي لأعماله الفنية ، في صالة « فن هذا القرن » .

● تأثر في حياته الفنية بالفنانين السرياليين وكذلك بالمصورين : رايدر ـ أوروزكو ـ بيكاسو .

● يعتبر من زعماء المدرسة التجريدية التعبيرية ، وهو أول مصور أمريكي نال درجة كبيرة من الشهرة ، وله تأثير ملموس في الفن .

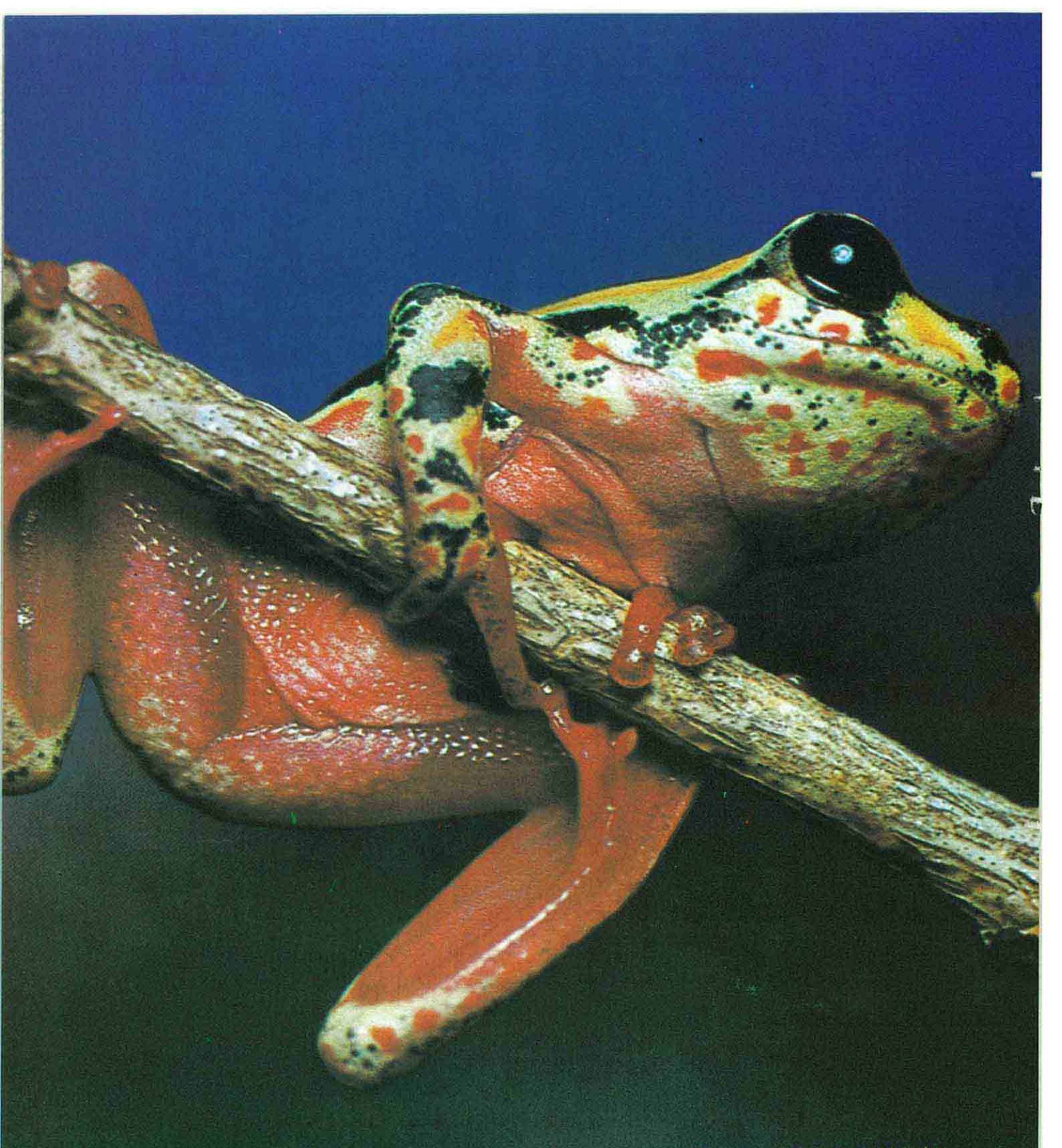




بقلم: فتحية محمد عبد الهادي

إن كثيراً من الناس لا يعرفون إلا القليل عن هذا المخلوق العجيب المألوف: الضفدعة!

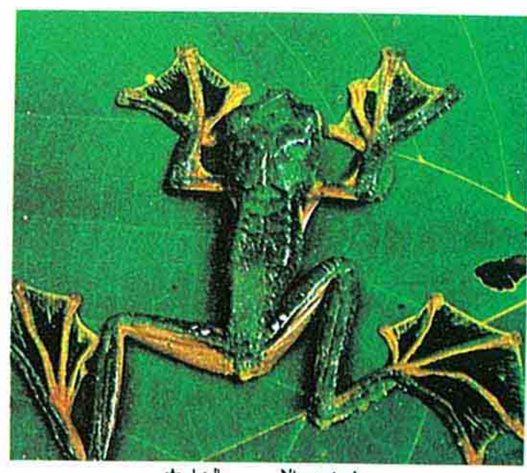
توجد الضفادع في أماكن كثيرة. تعيش في البحيرات والترع والمزارع والحدائق.. تحت الماء وفي الطمي، وعلى سطح المياه، وعلى شواطئ المستنقعات والبرك. توجد في أحقر الأماكن، كما نجدها في أفخر المطاعم وأفخم الفنادق الأوروبية، فهي تُقدم على صحاف نظيفة أنيقة كمأكولات شهية غالية الثمن!.. وكما توجد الضفادع في كل الأماكن تقريباً، فقد وجدت أيضاً في كل الأزمان! فشاهد جنسُ الضفدعة عصورَ ظهور واختفاء «الديناصور» ذلك الحيوان الضخم الذي انقرض منذ آلاف السنين. وما تزال ـ الضفدعة ـ بجنسها الخصب تتوالد وتتكاثر وتملأ أركان الأرض بنقيقها..!



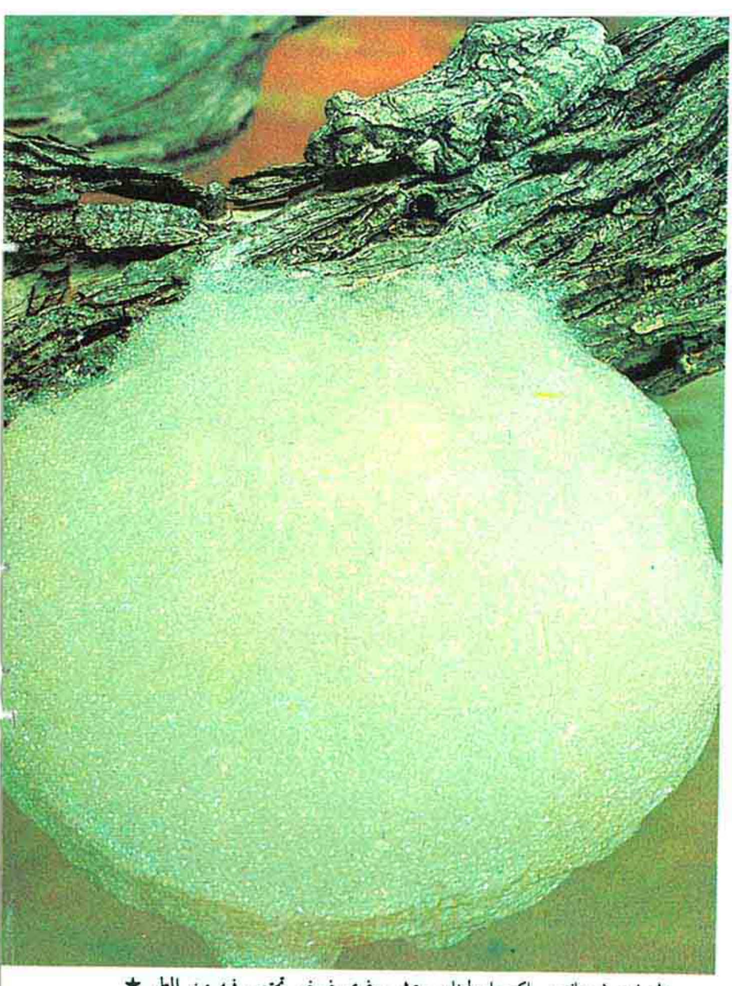
ويقول العلماء إن الضفدعة تعد بذلك (**فنان التطور**)، فهي تواجه سلم التطور بكل عقباته وصعوباته ومعوقاته مواجهة فريدة .. إذ استطاعت أن تتكيف مع بيئاتها المختلفة المعقدة تكيفاً عظيماً منحها البقاء والاستمرار وهي لا تعدو ذلك المخلوق الصغير المتواضع، على حين لم تستطع حيوانات ضخمة قوية أخرى كالديناصور أن تتغلب على مصاعب البيئة والتطور!

عرفت الضفدعة الأرض من قديم الزمان عندما كانت خالية من الإنسان والفراش .. والضفدعة ذات جلد ناعم أملس. وهي كائن خجول، تتمتع بقدرة فائقة على التكيف، مما جعلها تنتصر على أعداء كثيرين عبر قرون التطور، فهي تستطيع أن تذوب وتتلون في بيئاتها كالحرباء .. تتسلق الأشجار مثل السنجاب، وتفوق السمك في العوم والسباحة .. وتقفز إلى مسافة أعلى من قامتها عشرين مرة، فتقلد بذلك





★ نوع والاس ــ ماليزيا ★

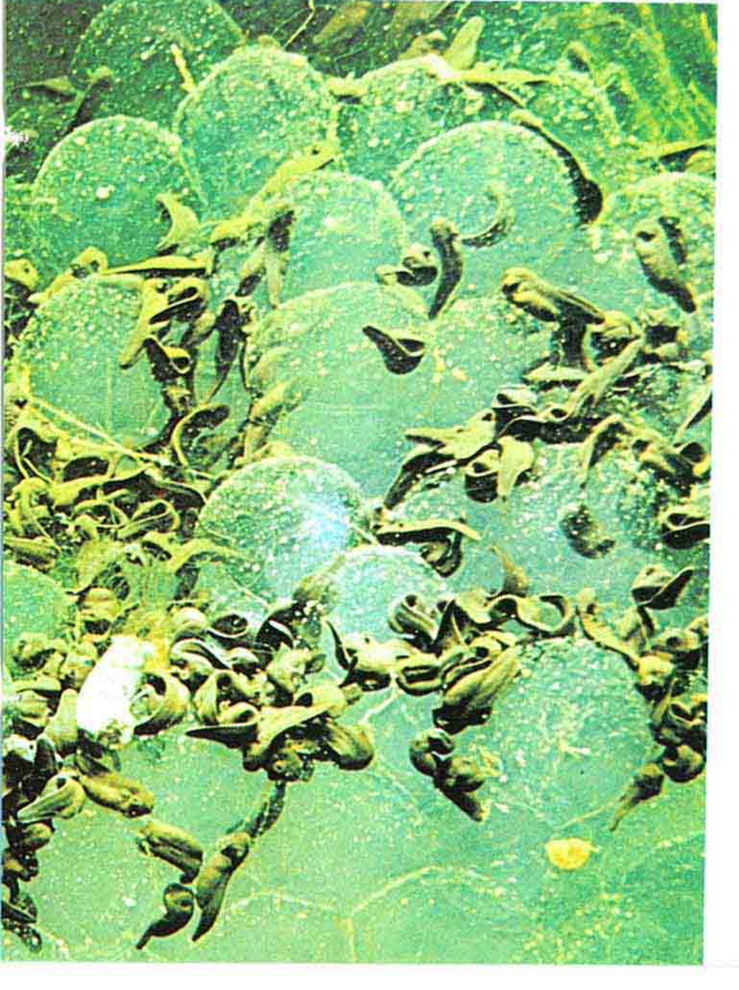


★ نوع شيرمانتيس إكسيرامبولينا ، وعش رغوي ضخم تحتمي فيه من المطر ★



★ التزاوج ★

★ أفراخ الضفدعة ★



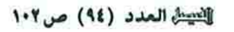
الطيور . . كما تجاهد الضفدعة للعيش في الصحارى ، وفي بلاد الشمال الثلجية !

ومن المعروف أن الثعابين تغيِّر جلودها فقط، أما الضفدعة فتستطيع أن تغيِّر في بضعة شهور، تكوينها الفسيولوجي كله !

ويقول علماء الأحياء ، إن تطور الضفدعة يدعو للدهشة حقاً . فقد صارت عبر مراحل تطورها **قادرة على العيش في الماء والهواء معاً** . وهي تضع بويضاتها بالآلاف .

ثلاثمائة نوع .. وآلاف البيض

ومن **أنواع الضفادع الثلاثمائة الموجودة في العالم** ، يوجد في فرنسا خمسة أنواع فقط . نوع **أخضر اللون** ، وأربعة **أنواع حمراء** . ويطلق العلماء اسم **« رانا ــ اسكلنتا » Rana Esculenta** ، على نوع الضفدعة الخضراء التي تعيش طوال العام في المستنقعات أو البحيرات أو





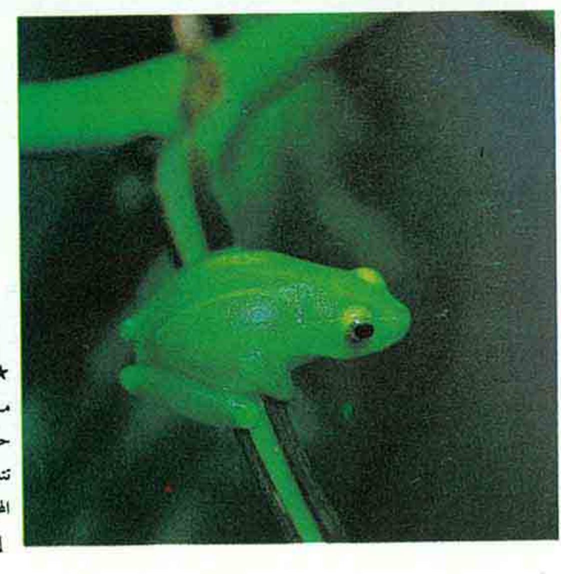
★ الخروج من العش الرغوي ★

★ ضفدعة الربيع . تلاحظ على ظهرها علامة «×» ـ أمريكا الشمالية ★





★ الضفدعة الراكضة ، طولها ٨ بوصات ـ الصحراء الكبرى والطرف الجنوبي من إفريقيا ★



★ ضفدعة زنبقية مائية ، يوجد منها حوالي ٢٠٠ نوع ، تتلون مع البيئة المحيطة بها ـ إفريقيا ★

الترع ، وهي التي تطلق في الليالي الصيفية « نقيقها الموسيقي » (كونشرتو الضفادع) ! .. أما **الضفادع الحمراء Rana temporaria** ، فهي تتمتع بقدرة فائقة على الوثب ، فهي خفيفة رشيقة راقصة ، تحب العيش في المزارع الرطبة ، ومنها ما لا يقرب الماء إلا بقصد الإنجاب .

ويتحدث العلماء عن أعداء الضفادع ، فيقولون إن الضفدعة مخلوق تعس ، فهي خجولة ، ألا يمكن أن يكون ذلك الخجل بسبب قبحها ؟! ولكن قبحها لا يحميها من طمع الكائنات الأخرى ! فهي مطمع أغلب الحيوانات التي تلاحقها من البر والبحر والجو ! **تفترسها القطط والفئران ، وتبتلعها الأسماك وتلتقطها الطيور .. ولكن عدوّها اللّدود : الثعبان !** ومع ذلك ، فما ساعد جنس الضفدعة على البقاء وعدم الانقراض ، هو خصوبة إنجابها وغزارة بيضها .. **فأنثى الضفدعة تبيض كل ربيع من ١٠٠٠ إلى ٤٠٠٠ بيضة (في المتوسط) ، ومنها ما تبيض حوالي ١٠,٠٠٠ بيضة ..** وكل بيضة هي بقعة صغيرة سوداء محاطة بنسيج « **جيلاتيني** » كروي الشكل . ويلقح البيض في الماء من جانب الذكر ، وهو يتساقط تدريجياً نحو القاع ..





★ ضفدعة الوحل ــ السويد ، شمال إفريقيا ، بعض أجزاء آسيا ★



★ الثور .. طولها ٢٠ سم ، أضخم أنواع ضفادع أمريكا الشمالية . يتراوح عدد بيضها بين ١٠ و ٢٠٠٠٠ بيضة ★



★ متأهبة في مخبئها ★



★ صورة مقربة للرأس والعنق ★

وسرعان ما يمتص هـذا الغشـاء الماءَ ويحـدث الفقس ، كما يحـدث لبيض الأسماك . وتظهر « المواليد » الجديدة بذيول مدببة ذات لون بني قاتم يحوي « خياشيم » المرحلة الأولى ، ثم يمر نموها بمـرحلة جـديدة مـن التحـول ، فتصير ضفادع صغيرة سرعان ما تغادر المياه التي ولدت فيهـا لتمـلأ الأرض وتواجه أخطار الحياة !

حياة غريبة

وإذا حلَّ الشتاء وانهمرت سيول الأمطار ، نجدها تهب من مكامنها في جموع غفيرة ، وتـتواثب في مرح وابتهاج غـريب . . وقـد رأى كثـير مـن العلماء هذا المشهد . ولكن الضـفادع ، مـع ذلك ، إذا هـي اسـتمرأت الاستحمام تحت سيول المطر مرة أو مرتين ، إلا أنها في فصل الشتاء بـوجه عام ، تلجأ إلى مكامنها لتختفي في القيعان والحفر والطين ، وتظل قابعة في مخابئها حتى يعود الربيع !

ومن العجيب حقاً ، أن الضفادع طوال شهور « **بيـاتها الشـتوي** » لا تـتنفس برئاتها ، بل تـتنفس من خلال مسـام جلـودها (الـتي تغـير « البيوكسيد » من الكربون في الجسم مـع الأكسـجين الموجـود في الماء) .

والضفدعة ، كما ذكرنا آنفاً ، واسعة الحيلـة ، قـادرة على التـكيف مـع بيئتها .

فـفي **أستراليا** ، حيث ترتفع الحرارة ، تدفن الضفادع نفسـها تحـت الماء الذي يوجد هناك بوفرة . . أما في الجبال العالية من المكسيك ، حيث يندر الماء ، فقد لاحظ العلماء أن الضفادع توجد في المنـاطق الـتي يسـقط فيها بعض المطر ، بل استرعى انتباه بعض العلماء أن الضفادع في إفـريقيا تحمل حفنات من الطين لتضعها فوق جذوع الأشجار لتحتمي داخلها من أعدائها !

كما لاحظوا أن بعض الضفادع تستعين بقطرات من المياه المتسـاقطة على أوراق الأشجار . . وفي **شمال آسيا** ، حيـث الثلـوج ، لـوحظ أن الضفادع تطرد بأياديها نثار الثلج المتساقط لتبعده عـن بيضـها المتراكم على أوراق الأشجار ، وهي تحرس بيضها وهو يطفو على سطح الماء . . وحـين تذوب الثلوج في فصل الفقس ، تـتراءى صـغارها وهـي تـتواثب وتـتقافز في المياه .

★ ضفدعة أوروبية ــ بريطانيا ، الدائرة القطبية الشمالية ★



★ النمر .. أكثر تعايشاً مع البيئة الزرقاء (الماء) منها إلى البيئة الخضراء (الأرض) ★

اللون الأزرق .. والموسيق

يقول علماء الأحياء : إن حيوانات قليلة هي القادرة قدرة الضفادع على الاختفاء والتكيف والتمتع بفنون الحيلة والخداع ، دفاعاً عن نفسها . واكتشف العلماء أخيراً ، بعد إجراء التجارب ، أن **اللون المفضل عند الضفادع هو اللون الأزرق .** حقاً ؛ إن الضفادع تعيش وسط المزارع المائية حيث يكتسي كل شيء بالاخضرار إلا سطح الماء الذي يعكس زرقة السماء .. لكن الضفادع إذا أحست بخطر يتهددها هناك فإنها تسرع بالقفز إلى الماء الذي يجذبها إليه اللون الأزرق ! .. وتفترس الضفدعة فريستها بسرعة البرق ، وذلك بلسانها اللزج .

وكان أكثر أصوات الحيوانات استثاراً باهتمام العلماء ، هو صوت الضفدعة ، فهي تطلق كمية كبيرة من عقيرتها المخزونة بين حبال صوتها الموصولة بين رئتها وفمها الواسع ، ولا صلة بالهواء الخارجي في عملية ترديد النقيق ، إذ هي تستطيع أن تنقنق تحت الماء ! وأبرع أنواع الضفادع في « عزف الموسيقى الضفدعية » ــ إن جاز هذا التعبير ! ــ هو نوع الضفدعة الخضراء ، إذ يُعد هذا النوع من « كبار الموسيقيين » ! .. ففي الأمسيات الصيفية ، تتبادل هذه الضفادع الخضراء « **الكونشرتو** » تباعاً ، فهي تقسم أنفسها إلى فرق ، توجد كل فرقة على بعد ١٥ متراً تقريباً من الأخرى ، وتوجد على رأس كل فرقة ضفدعة عجوز تمسك بزمام قيادة فرقتها الموسيقية .. منها مَنْ تتخصص في الغناء بطبقة صوتية جهيرة « الباس » ، ومنها مَنْ تغني بطبقة صادحة « التنور » ، ومنها مَنْ تؤدي غناءها بطبقة « السوبرانو » الحادة .



الضفدعة .. في سطور

●● تعيش الضفادع في كافة أرجاء العالم ، ما عدا قارة أميركا اللاتينية ، كما يندر وجودها بالمناطق القاحلة .

●● يتراوح حجم جسم الضفدعة بين الصرار الصغير ، والضفدع الأميركي الكبير الذي يبلغ طوله ست بوصات .

●● عينا الضفدع مزودتان بنوع من « العضلات الدوّارة » التي يستطيع بها تحريك عينيه في كل اتجاه ، ومن ثم تؤدي عين الضفدع وظيفتها مثل الكاميرا ذات البؤرة الثابتة ، من حيث إنها لا تملك القدرة على تحديد المسافات .

●● للضفدع زوجان من الأطراف غير المتساوية الطول . قدماها الأماميتان أقصر من الخلفيتين وأضعف منها ، كما أنهما ينتهي كل منهما بأربعة أصابع خالية من الأظافر ، ويستخدمهما الضفدع في إمساك طعامه وفي امتصاص صدمة ارتطامه على الأرض بعد القفز إلى أعلى . أما القدمان الخلفيتان فتدعمهما عضلات قوية هي التي تساعد الضفدع على القيام بقفزاته المتميزة . وينتهي القدم الخلفي بخمس أصابع متصلة ـ كما قدم البط ـ تساعده على العوم في الماء .

(المجلة)



★ الاستعداد للنقيق ★

التهديد بالانقراض

هل يهدد التقدم الحديث بقاء جنس الضفادع ؟!

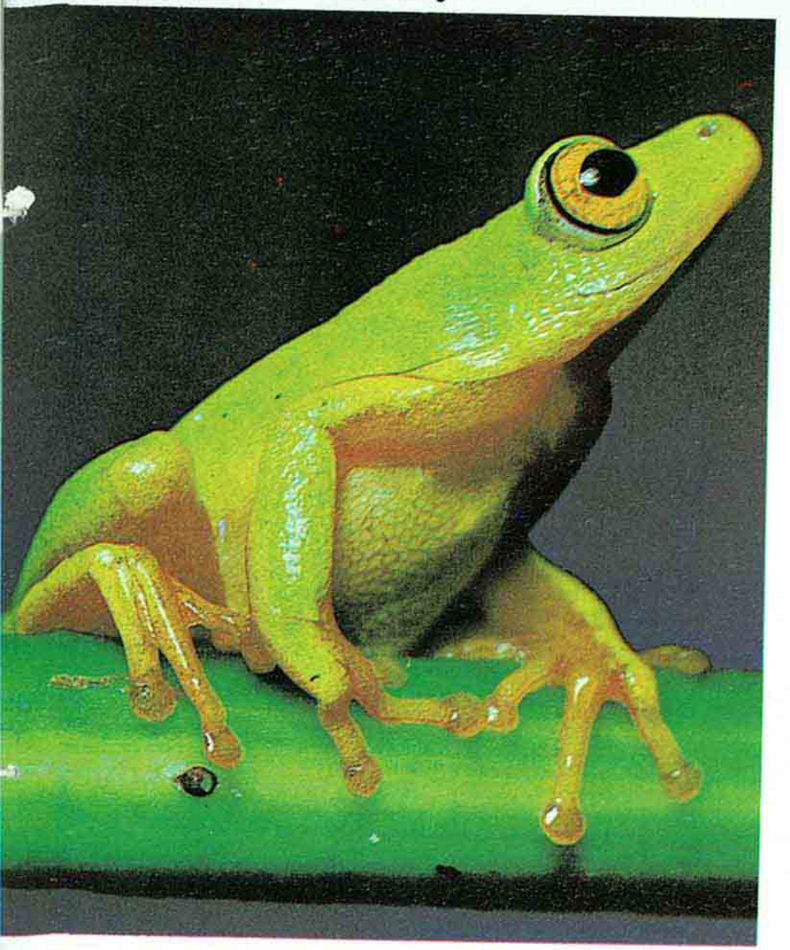
يجوز للبعض أن يطرح هذا السؤال عندما يجدون عدداً كبيراً من الضفادع المسلوقة والمشوية تزخر بها الأطباق والصحاف في المطاعم والفنادق الأوروبية ، لتُقدم إلى روادها وزبائنها كأحسن المأكولات وأشهى الأطعمة ! ففي سوق « ستراسبورج » وحدها يُباع ٧٥,٠٠٠ زوج من الضفادع شهرياً . . فماذا لو دخلنا غرف التشريح حيث يتم تعليم تلاميذ المدارس والمعاهد بعض مبادئ « الفسيولوجي » ؟! لا شك أننا نجدها مكتظة بآلاف من جثث الضفادع المقطّعة ؟! وتستهلك معامل البحوث والمستشفيات عدداً ضخماً من الضفادع ، لخدمة العلم والإنسان ! وكذلك مبيدات الحشرات ، وتقلص المساحات الزراعية بسبب العمران ، خطر يهدد جنس الضفادع !

فكم يستفيد الإنسان من الضفادع ؟! ناهيك عن الضفدعة الإفريقية المسماة **(Xenopus)** ، التي تستعمل في الكشف المبكر عن حمل النساء .

نستطيع أن نقول إن الضفدعة حيوان مسنّ ، عمّر طويلاً على الأرض ، وما يزال في عنفوان خصوبته ، واجه معوقات وصعوبات التطور كفنان واسع الحيلة ، انقرض أمامه الديناصور ، على حين تبقى وتستمر الضفدعة . . وستبقى ملايين السنين تملأ الأرض بغنائها « الكورالي » ـ الجماعي ـ برغم أنف أعدائها الكثيرين والمشمئزين من نقيقها الزاعق !

وأخيراً ، ألا يجوز لنا أن نقول إن الضفدعة قد استطاعت أن تدحض النظرية العلمية القائلة « بالبقاء للأقوى » ؟!

★ من أستراليا ★



الرنك

الفن القديم المتجدد

بقلم وتصوير: عبد الغني محمد عبد الله



★ بلاطة خزفية تحمل رنكاً كتابياً من ثلاث مناطق للسلطان قايتباي ★

لا بد من الاعتراف ـ بداءة ـ أن الوصول إلى مواقع الآثار المعمارية الإسلامية.. فضلاً عن لمسها وتصويرها.. هو شيء صعب في غالبية البلاد الإسلامية ـ إن لم يكن كلها ـ وذلك لسببين.

أول هذه الأسباب هو ذلك الزحام المحيط بمناطق الآثار الإسلامية باعتبارها مناطق قديمة لم تحصل على التخطيط اللازم الذي يوصلها إلى العصر الحديث.. فهي تعيش في ظل ازدحام بشري غير مخطط له.

وثاني هذه الأسباب هو تلك الحالة السيئة.. وذلك الإهمال البادي، مما يجعل هذه الآثار عبارة عن مناطق خربة من الصعب أن تصل إليها.. حتى وإن وصلت فأي شيء تراه؟

وبرغم أن واحدة من أعرق العواصم العربية والإسلامية ـ وهي مدينة القاهرة ـ التي تعتبر بحق حديقة للآثار الإسلامية، تشهد الآن ما يقرب من الانتفاضة في التعامل مع الآثار الإسلامية بقيادة العالم الأثري الدكتور أحمد قدري.. وبرغم أنه ومن خلفه جيش ضخم من المرممين... إلا أنه جهد

فردي مرتبط بشخص واحد وذلك الجهد في حد ذاته أضاف صعوبة ثالثة في سبيل الوصول إلى الآثار الإسلامية .. وهو كثرة السقالات والموانع والعمال والمرممين وأدوات البناء ووسائله وأدوات الصباغة والتلوين وغير ذلك .. مما جعل هناك حاجزاً ـ وهو مؤقت بطبيعة الحال ـ بيننا وبين تصوير تلك الروائع الإسلامية .. المسماة بالرنوك .

ويكفي أن نتصور أنني قطعت مسافة طويلة لتصوير واحد من أبدع الرنوك الإسلامية فوجدت أنه قد اختفى بسبب أن شخصاً أقام بجوار الحائط الحامل للرنك حانوتاً صغيراً ثم تولى الحائط الأثري بالأصباغ ليجعله نظيفاً فأضاع ثروة أثرية لا تقدر .. أضاع رنكاً .

الرنوك

والرنوك Runuk مفردها رنك Rank ويعرف أحياناً بكلمات لاتينية أخرى مثل Blazon ، Emblem ، Heraldy ، وإن كان رجال الآثار يحبون التعامل مع الآثار الإسلامية بأسمائها العربية مثلما يقولون Sahn لصحن الجامع والمسجد ، qiblah للقبلة ، Riwaq للرواق وهكذا .

وكلمة رنك تعني في اللغتين التركية والفارسية « لون » حيث إن الكاف في رنك جاء « جاف » في اللغتين التركية والفارسية .

نهايات مأساوية

شهدت النهاية المأساوية للدولة الأيوبية ، ظهور عنصر سياسي جديد على سطح الحياة في المنطقة العربية .. وكان ذلك هو العنصر المملوكي ، وهو عنصر مجلوب بالشراء في أغلب الأحوال ، واستطاع أن يؤسس دولة كبيرة امتد بها العمر حوالي ٢٦٧ سنة ابتداءً من عام ١٢٥٠ ميلادي[١] .

وبقدر ما كانت النهاية الأيوبية مأساوية .. فإن الأسى عند النهاية المملوكية كان أشد وأنكى[٢] حينما استطاع **السلطان سليم الأول العثماني** أن يسيطر على الدولة المملوكية ويسقط إدارتها إليه بدءً من عام ١٥١٧ الميلادي ، منهياً بذلك واحداً من أهم الأدوار السياسية الإسلامية .



الموقع الزماني والمكاني

وبين عامي ١٢٥٠ ، ١٥١٧ م ، كموقع زماني ، وعلى أرض مصر والشام والحجاز كموقع مكاني قامت الدولة المملوكية[٣] إلى جانب بعض المناطق الأخرى ، وقد تميز العصر المملوكي بظهور أنماط جديدة في السلوك السياسي والاجتماعي والاقتصادي والفكري والفني .. ومن خلال المجال الفني ظهرت **المدرسة الفنية المملوكية الإسلامية** ، وتطورت تطوراً عظيماً وهاماً خلال رحلة الفن الإسلامي ككل التي تعتبر من أطول الرحلات الفنية عبر الزمن ـ تقريباً ـ وقد وصلت الفنون الإسلامية المملوكية إلى درجة هائلة من الكمال الفني .. وظلت حتى اليوم تمثل واحدة من أعظم وأرقى المدارس الفنية الإسلامية .

وقد ضمت الفنون الإسلامية المملوكية أنواعاً وميادين جديدة من الأنشطة ضمت فيما بينها فناً جديداً .. اهتم بالشعارات .. كان أقرب إلى تحقيق الشخصية التي نعرفها في العصر الحديث ، ومن عجب أن يكتشف ذلك مؤخراً .. وبرغم الحديث عنه طويلاً من خلال مجالات فنية أخرى إلا أنه مؤخراً أصبح يشكل مادة علمية جديدة .. فإلى جانب العمارة الإسلامية .. والفنون .. والمسكوكات والكتابات كمواد علمية فنية أثرية إسلامية بالإضافة إلى علوم أخرى .. ظهرت مؤخراً مادة علمية جديدة اسمها **« الرنوك الإسلامية »** .

تحقيق الشخصية

إذا كنا في الوقت الحاضر نستخدم أكثر من وسيلة للتعرف على شخصية الإنسان .. فهو يحمل هوية شخصية « بطاقة » ، ولأنامله بصمة لا يتكرر شكلها مع بصمة شخص آخر على ظهر الأرض ولكل منا اسمه ولقبه وتاريخ ميلاده ... إلخ ، وكلها وسائل للتعرف على شخصية الإنسان .. وسائل حاسمة لا يمكن نفيها أو إنكارها .. وهي أكثر دقة في تحديد شخصية الإنسان عن ذي قبل .. ومرد ذلك يعود إلى التطور المعاصر وتقدم العلوم في العصر الحديث .. وتفتح العقول على خصائص المواد وذلك لم يكن متيسراً قبل عصر النهضة التي قادت إلى العصر الحاضر بكل تقدمه وتقنيته .

ولو رجعنا إلى الخلف .. إلى القرن الثالث عشر .. وما تلاه حتى القرن السادس عشر .. خلال العصر المملوكي في إطار هذا الموقع الزماني والموقع المكاني الذي سبق توضيحهما سنجد أن **فن الشعارات** كان عبارة عن فن يتعرف « بضم الياء وفتح التاء » بواسطته على انتماء عمارة أو تحفة فنية إلى شخص بعينه .. وكانوا هم حال حياتهم ـ المماليك ـ يتعرفون بواسطة هذه الشعارات أيضاً على بعضهم البعض .

وقد اتفق على تسمية هذه الشعارات بالرنوك باعتبارها علامات أو شارات بألوان مختلفة ورسوم متنوعة وأشكال متعددة .. أعدت خصيصاً للتعرف على شخصية حاملها وللتاريخ السياسي والاجتماعي والفني والاقتصادي .. وتعد من المعالم البارزة على العمائر والتحف الفنية المملوكية .

وبرغم انتشار الرنوك وكثرة الحديث عنها إلا أننا لم نجد مؤلفاً واحداً يتعرض لها من حيث قواعد صناعتها أو قوانين حملها .. وكل التعرض السابق كان من جوانب فنية أخرى كالتصوير أو النحت أو الزخرفة .. أو مقالات متنوعة .. كلها كانت بمثابة موضوعات بدائية لا تتعرض إلى صميم موضوعها .. وأهميتها الفنية والأهم من ذلك باعتبارها مادة علمية مستقلة في علوم الآثار والفنون الإسلامية .

ولعل أحسن الدراسات .. برغم أنها تطورت بعد ذلك بشكل كبير ، تلك التي أعدها **البروفيسور « ميشيل ماينكه Michael Meinecke »** ، وهو ألماني اشتهر بحبه ودراسته لذلك النوع من الفنون الإسلامية .

أيبك والبداية

أيبك التركماني .. أحد مماليك السلطان الملك الصالح نجم الدين أيوب

اشتراه في حياة والده الملك الكامل محمد، وكان أيبك عضواً في الحرس المملوكي الذي أنشأه الملك الصالح[٤] وكان يعسكر مع المماليك في القلعة التي كانت متواجدة في الطرف الجنوبي لجزيرة الروضة[٥] بالقاهرة وكانت هذه الفرقة المملوكية العسكرية، هي المصدر الذي خرجت منه الدولة المملوكية بسلاطينها. ومما هو جدير بالذكر أن أيبك التركماني هو نفسه السلطان المملوكي «عز الدين أيبك»[٦] أول سلاطين المماليك بعد زواجه من «شجر الدر» أرملة الصالح نجم الدين أيوب.

أيبك هذا قد استخدم شعاراً كان عبارة عن رسم «دائرة صغيرة» هي تعبير عن «ترابيزة أو طاولة» ويقال لها «خوانجا»، وذلك عندما تحرر في حياة أستاذه وتعين في وظيفة «الجاشنكير» أي ذائق الطعام، وكانت تلك الخوانجا تشير إلى تلك الوظيفة، وقد حمل هذا الشعار.. فقط عندما تحرر.. وأصبح أميراً أي محرراً وأميراً على الحرس السلطاني وله وظيفة أخرى حمل شعارها.

هذا الشعار تطور بعد ذلك ليشكل ميداناً فنياً غاية في الأهمية، هو الرنك.. أو الشعارات أو العلامات. وقد وصفت لنا كل المصادر التاريخية المملوكية الرنوك على أنها شارات ومفردها شارة على الممتلكات الشخصية بمعنى «الماركة المسجلة»، ومن هنا تظهر وظيفة الرنك على أنها تمييز للممتلكات الخاصة، إلا أن الصلة الواضحة التي كانت بين الرتبة العسكرية **والرنك توحي بشدة إلى أن الرنوك قد اخترعت في الأصل لأغراض عسكرية، ويؤكد ذلك ما يلي:**

●● وصف لمعركة في بداية العصر المملوكي وقعت بين المماليك والأيوبيين في سورية عام ١٢٥١ ميلادي، حيث ذكر شاهد عيان لهذه المعركة أمام «ابن واصل»، أن قوات المماليك قد تميزت بالرنوك المصرية أو رنك المصريين. ويمكن لنا أن نستنتج من ذلك أن الضباط المماليك في أرض المعركة كان يتم التعرف عليهم بواسطة رنوكهم التي وضعت على أسلحتهم وعلى عضدهم.

●● **القلقشندي**: أورد لنا قائمة بأسماء الأماكن التي يمكن مشاهدة الرنوك عليها أو الأدوات وهي السيوف والأقواس ومعدات الخيل ورأس الحربة والإصطبلخانات.. إلخ، وللأسف لم يتبق أي من قطع السلاح المستخدمة في العصر المملوكي المبكر.

وعلى أي الأحوال فتلك الإشارات المتكررة من مؤرخين لهم وزنهم كافية لإثبات النظرية القائلة بالأصل الحربي للرنوك المملوكية وإن كان يشوب هذه الكفاية بعض الشك، بسبب أنه لم يتبق مثالا واحداً لدرع مملوكي كدليل مادي، ويحتمل أن يكون ذلك راجعاً إلى مادة الخشب التي صنعت منها هذه الدروع[٧]، وهناك احتمال قوي أن تكون الرنوك التي تم تمييزها على التحف الفنية المملوكية والعمائر التي أقيمت أو شيدت في هذا العصر ليست إلا تمثيلاً للدروع المستخدمة في الحرب، وهذا الافتراض قد يبدو متوازناً فيما يتعلق بالشكل المدبب للدرع والذي كان أقل انتشاراً وشيوعاً وهو يجيء على نمط الدرع الذي استخدمه الصليبيون[٨]، ومن المؤكد أيضاً أنه كانت هناك رنوكاً للأمراء وغيرهم تُحمل أثناء المعارك الحربية ليتم التعرف على أصحابها خلال سير المعركة.. وخلال اللحظات الصعبة حينما يحتاج الجند للتعرف على بعضهم البعض.. من معهم.. ومن عليهم.

وعلى سبيل المثال كانت هناك رنوكاً للقائد الأعلى للجيش وهو السلطان، وضعت على الأعلام وإن كان لم يصلنا منها شيئاً بسبب أن مادة النسيج سريعة التلف، أو على رؤوس الرايات أو رؤوس المزاريق ــ المفرد مزراق بضم الميم ــ وهو الحربة التي قرب نهايتها علم مثلث صغير أو راية صغيرة وهو لا يستخدم في القتال ولكن للزينة، وهذه الأخيرة وصلنا منها الشيء القليل، ولكن ما وصلنا منها يؤكد وضع الرنك عليها حتى يتعرف عليه الجند أثناء المعركة، ومن المؤكد أن الأعلام الكبيرة أو الرايات كانت تحمل رنوكاً كبيرة يمكن التعرف عليها[٩].

القلقشندي وابن فضل الله

يمدنا **القلقشندي** برواية في صالح تلك النظرية حينما تكلم عن سلطان اليمن فقال: **«وأما شعار السلطنة فقد ذكر عبد الحكيم بن الدهان أيضاً أن شعار سلطان اليمن وردة حمراء في أرض بيضاء»**. وفي موضع آخر قال **ابن فضل الله: «ورأيت السنجق اليمني وقد رفع في عرفات سنة ثمان وثلاثين وسبعمائة وهو أبيض فيه وردات حمر كثيرة»** ــ ويقصد بالسنجق اليمني العلم اليمني ــ وهو أمر يؤكد أن الرنوك كانت توضع على الأعلام، نظراً للصلة القوية التي كانت تربط المماليك بسلاطين اليمن، الأمر الذي يجعل التقليد والنقل الفني ممكن وسهل بينهما.

والأمر الذي يؤكد قول القلقشندي وقول ابن فضل الله عن الرنك اليمني هو العثور مؤخراً على قطعة زجاج يمني عليها رنك عبارة عن وردة حمراء على أرضية بيضاء وهو أمر يتطابق مع القول السابق.

الرنوك المركبة

وعلى الرغم من أن الرسوم التي تتكون منها هذه الرنوك تشكل في حد ذاتها تنوعاً كبيراً.. ومختلفاً، إلا أنه من الممكن أيضاً أن يتم تجميعها إلى بعض داخل «برواز واحد» أي «درع واحد» أو «خرطوشة واحدة»، بمعنى أن الرنك الواحد يمكن أن يتكون من عدة رسوم اجتمعت كلها في تركيبة واحدة لتشير إلى شخص واحد، ولم يتم تجميع هذه الرسوم عبثاً ولكنها قد وضعت بجوار بعضها وفق نظم معينة، وهي بالتالي تحتاج إلى عين فاحصة وذهن حاضر من أجل قراءة معنى الرنك، وإلى من يجب أن ينتسب الرنك أو التحفة حاملة الرنك، وذلك أمر يوسع من دائرة تعدد هذه الرنوك واختلافها بعضها عن بعض، وسميت **«بالرنوك المركبة»**.

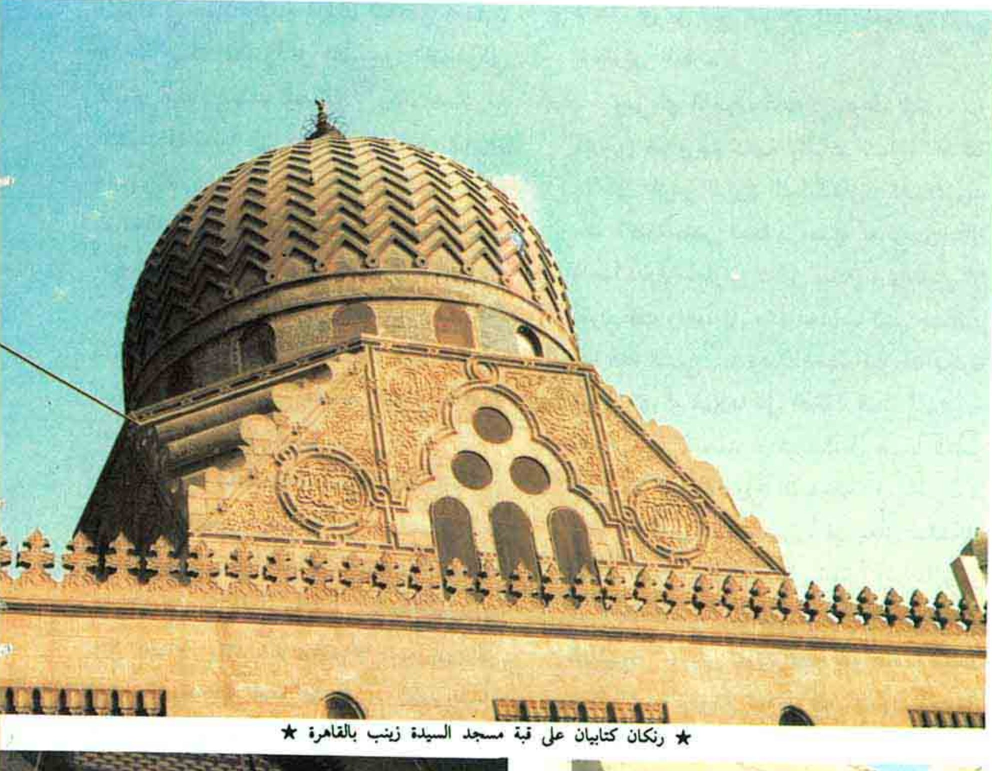
اللون والدرع

والألوان التي يتكون منها الرنك الواحد.. لها معناها ودلالتها أيضاً فرسم الكأس هو للساقي، فإذا كان لونه أحمراً فإنه يختلف عن رسم الكأس باللون الأزرق، فذلك لشخص والآخر لشخص مغاير، أما الدرع أو الخرطوشة الذي يحتوي ذلك الرسم فقد تعددت أشكاله فهو أحياناً دائري أو مربع أو مخمس وأحياناً أخرى له طرف مدبب من أسفل أو بيضاوي أو له خطوط مقوسة، وإن كان أكثر الأشكال شيوعاً هو الشكل الدائري، فقد جاء هذا الشكل معتاداً في أكثر ما عثر عليه من رنوك.

أين تواجدت تلك الرسوم؟

وليس هناك حصراً للقطع الفنية التي تحمل




★ رنكان كتابيان على قبة مسجد السيدة زينب بالقاهرة ★

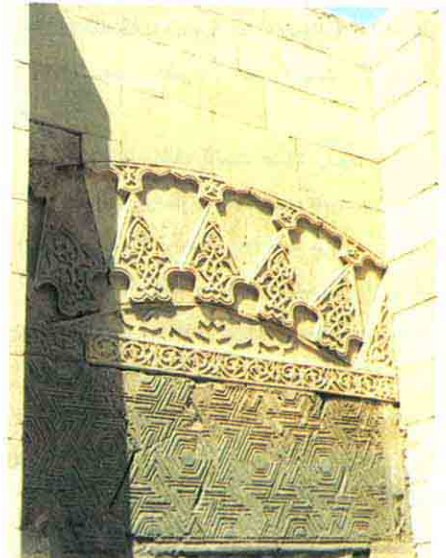
رسوماً (رنوكاً)، وإن كانت موزعة بشكل كثيف على معظم المتاحف العالمية، وإن كان يلاحظ قلة تداول المصادر المعاصرة للرنوك أو غير المعاصرة، أو عدم تناولها بشكل يجعلها مادة مستقلة للدراسة على النحو الذي ظهرت به مؤخراً.. وقد جاءت دراستها من خلال دراسات في ميادين الآثار الإسلامية المختلفة، ولم تظهر على شكل مادة علمية مستقلة إلا من سنوات قليلة فقط ومن ثم أصبحت الرنوك مادة مستقلة تدرس **بكلية الآثار ـ القسم الإسلامي بجامعة القاهرة..** وكان أول من درسها هو «**البروفيسور ماينكه**» وقد قامت بالترجمة له لطلاب الدراسات العليا «**الأستاذة هدايت تيمور**».

على العمائر

وقد تواجدت الرنوك أول ما تواجدت على العمائر المملوكية. وفي إحصائية للبروفيسور ماينكه، قال إن مدينة القاهرة بها ٢٢٠ مبنى مملوكياً منهم مائة مبنى تحمل رنوكاً، وإذا ما أضفنا إلى اعتبارنا أن معظم هذه الآثار ليست محتفظة بكل معالمها فإننا يمكن أن نستنتج أن كل منها كان يحمل رنوكاً تشير إلى شخصية واهبها أو مالكها، ولكي ندلل على ذلك فإننا سنعود إلى أقوال المؤرخين:

★★ **قال الشجاعي «تاريخ الملك الناصر محمد بن قلاوون الصالحي وأولاده»** إن الأمير «قوصون» عندما تم عزله عام ١٣٣٦ ميلادي وألقي به في السجن، أزيلت كل رنوكه من على داره فوراً، ولم يتبق لها أي أثر.

★★ **نقل لنا «ماينكه» عن «ابن صصرة» في «الدرة المضيئة»** أن الرنوك كانت تتغير مباشرة بتغير صاحبها، فمثلاً في عام ١٣٩١م، دخل أحد ضباط الأمير «**بوطة**» إلى


★ أسدان متواجهان على المدرسة الظاهرية ـ رنك بيبرس ★


★ رنك كتابي وسط شريط كتابي ـ جامع السلطان حسن ★

قصر نائب السلطان ليغير الرنوك القديمة ويضع رنوك أميره «بوطه» محلها، وفي العام التالي تغيرت رنوك بوطة وحل محلها رنوك «**سودون الطرنطائي**» الذي أصبح حاكماً على دمشق، ولم تلبث تلك الرنوك أن تغيرت في نفس العام عندما حل في تلك الوظيفة «**كمشبغا الحسكي**» وحل محلها رنوكه.

★★ **لاحظ «ابن تغري بردي الأتابكي ـ النجوم الزاهرة»** أن «**نوروز الحافظي**» حاكم دمشق عندما ترقى أتابكاً فإنه قبل أن يغادر دمشق أرسل برغبته في إعداد دار «**قوصون**» له وتجديدها ووضع رنكه عليها.

★★ **وفي الخطط ذكر لنا «المقريزي»** أنه عندما تم إعدام «**جمال الدين يوسف البجاسي**» عام ١٤٠٩م، وكان رجلاً على جانب كبير من الثراء صودرت ممتلكاته، ثم لما تم ذلك محي ـ بضم الميم ـ من هذه المدرسة اسم جمال الدين ورنكه.

والأحداث كثيرة.. أكثر من أن نعددها ومنها يتضح أن الرنوك قد وضعت على العمائر بكل أنواعها.. حتى أن معظم المصادر والمراجع قد



★ الرنك وسط الشريط الكتابي على جامع الناصر محمد بالنحاسين ★

أشارت إلى أن الملاك الجدد لأي عقار كانوا يطبعون رنوكهم الخاصة بهم على أملاكهم الحديثة ، وقد أشارت إلى ذلك بنص متكرر دائماً وهو «وضرب رنكه على . . . » . والأدلة المادية في إثبات ذلك هي الأقوى **وقد قدم لنا مانيكه قائمة بأماكن تواجد أكثرها وهي :**

●● **أولا : مدينة القاهرة** ـ مدرسة بيبرس «**المدرسة الظاهرية**» بشارع المعز لدين الله بالقاهرة ـ زوجان من الأسود فوق عتب النوافذ من ناحية قبة الملك الصالح نجم الدين أيوب ، وهناك زوجان آخران في الناحية الأخرى ، وحالة هذه الأسود سيئة جداً ، وصورها مرفقة بعد عملية تنظيف شخصية لها حتى يمكن إظهارها .

●● **ثانياً : الكرك بفلسطين** ـ على أسوار المدينة يوجد أسدان ، وهناك أيضاً أسدين على أحد المباني داخل المدينة نفسها .

●● **ثالثاً : القدس** ـ خان بيبرس ـ زوجان من الأسود على باب «ستنا مريم» ومن هنا يطلقون عليه اسم «باب الأسود» .

●● **رابعاً : قلعة الجبل بالقاهرة :** نسر كان ينسب بالخطأ إلى السلطان صلاح الدين الأيوبي ، ولكن ثبت فيما بعد أنه ينتسب للسلطان الناصر محمد ، تحطم بفعل انفجار أطاح بموقعه منذ فترة طويلة .

▲ ★ إبريق نحاسي للأمير طبطق يزينه رنك الكأس ★



★ صورة مفصلة لرنكي عتبة جامع برسباي ★ ▼



وغير ذلك فهناك الأدلة الكثيرة التي تثبت بلا أدنى شك أن الرنوك قد تم وضعها على العمائر من قصور وأماكن للعبادة ومدارس وحمامات وأضرحة وقباب وأسوار وأسبلة وخانات وإصطبلخانات وغير ذلك من العمائر .

المقتنيات والتحف

ويذكر لنا المقريزي أن الرنوك قد وضعت على السفن ومعدات الحيوانات كالسرج واللجام والقطع والتحف الفنية من صحون وأطباق وكؤوس وأباريق ودوارق .. إلخ ، وقد أشار القلقشندي إلى استعمال الرنوك على الممتلكات الأخرى للنبلاء المماليك وهناك القليل من التصاوير ذات الأشكال الآدمية والحيوانية مما كانت تستخدم أو تستعمل في مسرحيات خيال الظل أو كانت ترسم على الخزف أو المعادن ، وهي تعرض رنوكاً ، الأمر الذي يجعلها تشير إلى كيفية صنع الرنك وتلوينه .

وليس هناك أي شك في أن الرنوك قد وضعت على التحف والمقتنيات الفنية ، ويتضح لنا ذلك من تلك الأعداد الكبيرة منها والتي تحمل رنوكاً وموزعة بكثرة على المتاحف العالمية ، وهي تحف موزعة توزيعاً زمنياً على كل العصر المملوكي بشقيه البحري والبرجي .. وتعرض في نفس الوقت تطور هذا النوع من الفنون الإسلامية .

المواد المستعملة

لم تستخدم مادة واحدة في إخراجها .. بل استخدم الحجر والجص والأصباغ المختلفة لإخراجها على الحوائط وباطنية الأسقف وعلى النوافذ والفتحات وعلى مشتملات المباني من منابر ، وكراسي مصاحف ، وكراسي ، وأبواب ومصاريع ، وستائر ، وستائر جصية ، إلخ ، وقد صنعت بالحفر ، والنحت ، والإضافة ، واللصق ، وغير ذلك من وسائل الإخراج المختلفة . والمعروف أن الألوان لم تصل إلينا بكل سماتها ، ومن هناك جاءت الرنوك التي وضعت في أماكن تحفظ الألوان على جانب كبير من الأهمية ، مثل تلك التي وضعت على الزجاج المموه بالمينا ، أو الخزف الملون ذي الرسوم الملونة تحت الطلاء الزجاجي الشفاف ، الأمر الذي حفظ الألوان الأصلية . أما النحاس الذي شاع استخدامه فلم يكن ناجحاً بسبب الاكتفاء برسم الخطوط الخارجية فقط ، وهناك



حالات قليلة استخدم فيها الذهب والفضة والنحاس الأصفر على الأحمر أو العكس بطريقة التكفيت[١٠] وذلك عند عمل تلك الرنوك على النحاس .

الذين يحملونها

الكثير من رجال السياسة في الدولة المملوكية .. كان لهم هذا الحق وأمكن لنا أن نتعرف عليهم بواسطة رنوكهم ويمكن حصرهم على النحو التالي :

★ **أولا :** السلاطين أنفسهم ، وقد حملوا رنوكاً شخصية ، كانت في أول الأمر حيوانية ، فقد اتخذ بيبرس الأسد شعاراً له ، في حين اتخذ الناصر محمد ، النسر شعاراً له في فترتي حكمه الأولى والثانية ، أما في الفترة الثالثة من حكمه فقد اتخذ رنكاً كتابياً ، واستمر السلاطين من بعد ذلك يستخدمون من الرنوك الكتابية شعاراً لهم حتى نهاية العصر المملوكي .

★ **ثانياً :** الأمراء من ضباط الجيش المملوكي ، وقد كانوا أول الأمر عبيداً مجلوبين بالشراء ويتدربون على القتال والفروسية[١١] ثم يعتقون ويصبحون أمراء « بعد العتق وليس قبله » ومنذ تلك اللحظة « لحظة العتق » يصبح لهم أحقية حمل الرنوك .

وتتضح صورة الأمراء حاملي الرنوك من قول « ابن تغري بردي الأتابكي » في النجوم الزاهرة : « إن أبيك الذي أصبح فيما بعد أول سلطان مملوكي أصله من مماليك السلطان الصالح نجم الدين أيوب ، اشتراه في حياة والده الملك الكامل وتنقلت به الأحوال عنده ولازم أستاذه الملك الصالح في الشرق حتى جعله جاشنكيراً ، ولذا لما أمّره « بفتح الألف وتشديد الميم » كان يحمل رنكه صورة خوانجا أي دائرة داخل درع ، وكان يحملها أيضاً موظفو السلطان » .

أما الأستاذ « **ماريانو طاراديل** » فقد قال في المؤتمر الثالث للآثار : « **أما فن الشعارات الإسلامي الذي تستخدمه أقلية غير مرتبطة بنظام اجتماعي أو عائلي ولكن بمنظمة إدارية أو عسكرية فلم يكن له قط من الأهمية ما كان له ولا يزال في الغرب** » ـ والمقصود هو الأهمية الاجتماعية ـ ونتيجة لذلك يمكن لنا القول إن الأمراء قد استخدموا هذه الشعارات للدلالة على وظائفهم وللدلالة على أماكن جلبهم أو للدلالة على « إلى من ينتسبون » فهل هم من مماليك الملك الصالح .. أو ينتسبون لغيره .. وهكذا » . ويمكن لنا التفريق بينهم من خلال الرنك الذي قد يدل على وظيفة أو أنه من مجموعة الرنوك الدالة على رموز أو هي تمغات . فمثلاً القوس أو السهم كان إشارة لرامي السهم « البندقدار » والدواة أو المقلمة كانت إشارة للسكرتير « الدوادار » وهكذا .

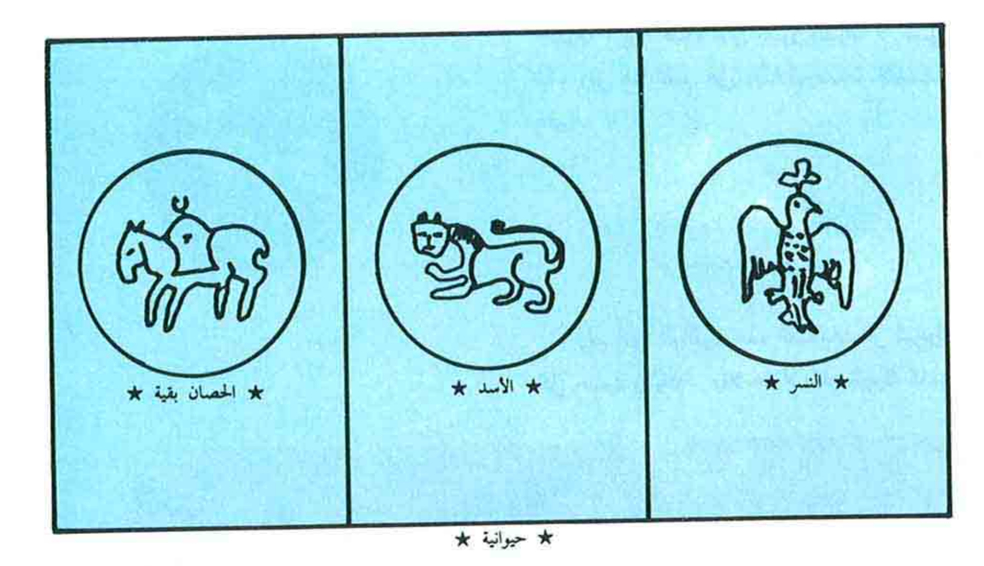
أنواع الرنوك

وتنقسم الرنوك إلى عدة أنواع ويتم تصنيفها حسب الرسوم أو الكتابات الموجودة عليها ، فبواسطة هذه الرسوم يمكن معرفة نوع الرنك ، وبالتالي يسهل نسبته إلى حامله أو صاحبه ، أو الوقت الذي تمت صناعته فيه .. وعلى أي الأحوال يمكن لنا أن نقسمها نوعياً حسب الرسوم التي تحملها على النحو الآتي :

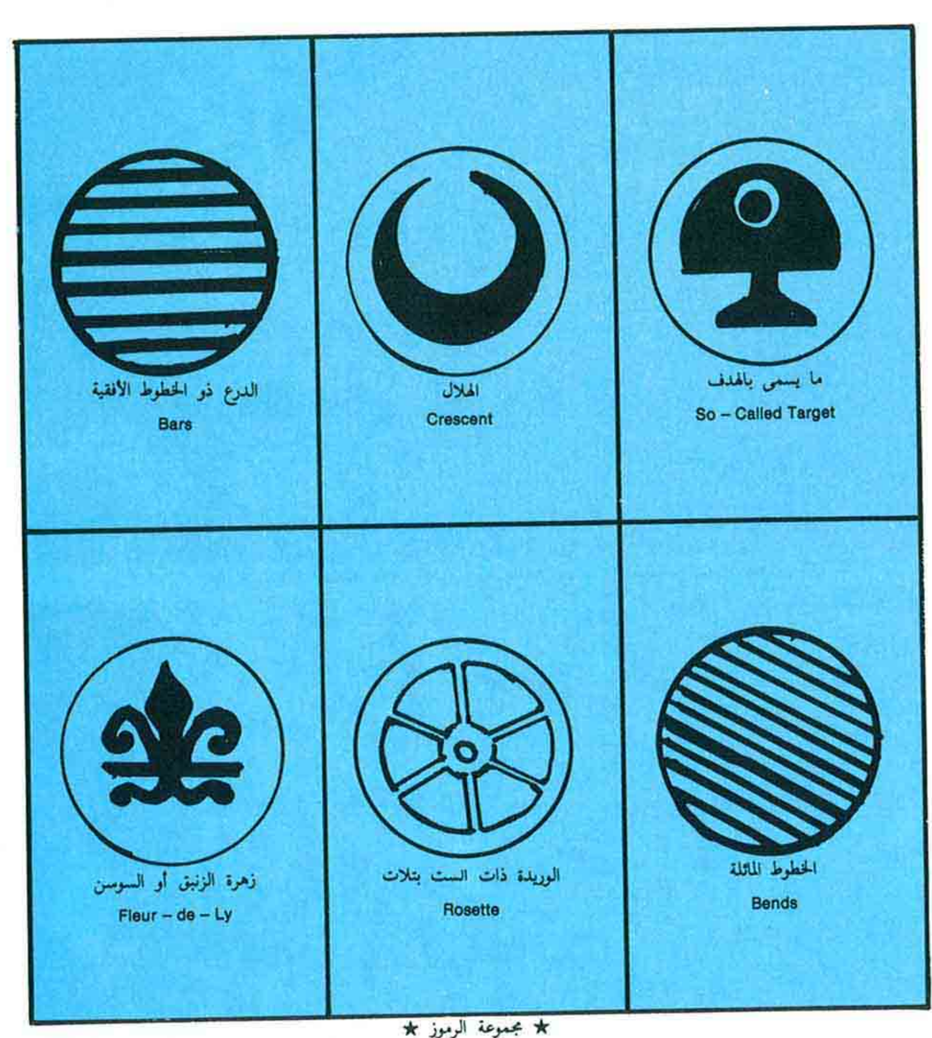
أولا : مجموعة الرنوك الحيوانية
Heraldic Animals

المقصود هنا بالحيوانية كل ما له روح عدا الإنسان ، بما في ذلك الدواب والأسماك والطيور .. وتمتلئ خراطيش تلك المجموعة برسوم حيوانية يمكن حصرها في :

أ ـ الأسد : قد يعرف باسم السبع أو الببر وهو أول الرنوك السلطانية التي اتخذت شكلاً حيوانياً ، وهو يعود إلى **السلطان الظاهر بيبرس** ، اتخذه شعاراً له بسبب أنه يرمز إلى القوة ـ الأسد ملك الحيوانات ـ ويعتبر أسد بيبرس أشهر شعار مملوكي ، وقد ذكر ابن إياس أن



★ حيوانية ★



★ مجموعة الرموز ★

اختيار بيبرس للأسد كان بسبب شجاعة الأسد وقوته .

ب ـ النسر : وقد ظهر النسر لأول مرة على المسكوكات ـ النقود ـ وقد كان عبارة عن نسر نشر جناحيه واتجه برأسه إلى اليمين أو إلى اليسار ، وقد يكون له رأسان ، وقد اشتهر هذا « الحيوان » الرنكي كثيراً في التاريخ الإسلامي[١٢] منتسباً بالخطأ إلى صلاح الدين ، فيقال « نسر صلاح الدين » ولكنه في الحقيقة يعود إلى السلطان **الناصر محمد** في فترتي حكمه الأولى والثانية ، ومن هنا فإن كل المسكوكات مجهولة النسب وحاملة النسر يجب أن تنسب إلى هذا السلطان . . وقد اتخذ النسر أيضاً بسبب قوته ، فهو ملك الطيور .

جـ ـ الحصان : لدينا منه الحصان الحامل للقبة qubbah ، Parasol وهذا الحيوان نادراً ما جاء على الرنوك إلا أنه قد تم العثور عليه منقوشاً على فلس نحاسي يرجع للسلطان **المنصور محمد** ١٣٦١ / ١٣٦٤ ميلادية ضرب سورية ولم يثبت بعد ـ على وجه اليقين ـ أنه يمثل رنكاً أو شعاراً شخصياً ، ويرسم هذا الحصان وهو يسير متجهاً إلى اليسار ويطلق عليه أحياناً اسم « الفرس » ويرجح علماء الآثار أنه بخيمته هذه يمثل شعاراً للجاويشية[١٣] وقد ذكروا أيضاً أنه يمثل وظيفة أخرى . . ربما ؟ فالأمر بالنسبة للحصان ما زال غامضاً .

د ـ البطة والسمكة : وهما « حيوانان » رنكيان نادران وقليلي الأهمية ولم يثبت حتى الآن أنهما تشيران إلى شيء ، فالسمكة جاءت على عملة نحاسية للأشرف شعبان ١٣٦٤ / ١٣٧٧ م ، ولم تتواجد على منتجات فنية من عصره وقد أطلق على السمكة « الرنكية » اسم « القرش » ـ القرش ملك الأسماك ـ ويستمد ذلك من قوة القرش بطبيعة الحال ، ويحتمل ألا تكون رنكاً . والبطة « كحيوان » رنكي آخر وجدت على بعض المنتجات الفنية التي تعود إلى السلطان **المنصور قلاوون « أصله قلاوون الصالحي من المماليك البحرية من مجموعة أيبك وبيبرس »** ١٢٧٩ / ١٢٩٠ م ، مع وجود تفسير آخر يشير إلى أن اسم قلاوون يعني في اللغة التركية « البطة duck » .

ثانياً : مجموعة الرموز الرنكية
Symbols

مجموعة من الشعارات الرنكية تحتوي على أشكال مختلفة مثل زهرة الزنبق « زهرة السوسن » أو الهلال وما يسمى بالهدف والخطوط المائلة والخطوط الأفقية والدرع المدبب والصليب والوريدة ذات الست بتلات . . وغير ذلك كثير ـ ارجع للصور .

وقد حمل هذه الشعارات أصحاب الأسماء المسلمة « وتعني تلك الأسماء المسلمة أن أصحابها قد ولدوا أحراراً بمعنى أن الذي وُلد حراً يحمل

اسماً مسلماً وبالتالي يحق له حمل الرنك ، فالمملوك لا يحمل رنكاً . . » ، وعلى سبيل المثال فإن زهرة الزنبق أو السوسن كانت شعاراً ملكياً لأسرة قلاوون ، ويجب أن نلاحظ أن أفراد أسرة قلاوون قد وُلدوا أحراراً في ظل إمارة عميد أسرتهم فجاءت أسماؤهم مسلمة لأنهم قد وُلدوا أحراراً ، وتسموا بـ : محمد ، منصور ، وحسن وغير ذلك من الأسماء المسلمة أو عميدهم قلاوون الصالحي ، فقد جاء مملوكاً جلبه واشتراه الصالح نجم الدين أيوب ثم تحرر بعد ذلك ، ومنذ تحرره حمل الرنك ولم يحمله قبل ذلك ، وكان رنكه عبارة عن زهرة ذات ثلاث بتلات فقط « **هناك مثال لزهرة ذات إحدى عشرة بتلة كمثال واحد وجد على ضريح بيبرس الصالحي بمدينة القدس ومؤرخ لهذا الرنك ٧٠٧هـ/ ١٣٠٧م ، وهي من مماليك الصالح نجم الدين ، ولذلك سمي بالصالح مثل قلاوون الصالحي أيضاً** » .

ثالثاً : مجموعة التمغات الرنكية
Tamghas

ومفردها تمغة أو دمغة بفتح التاء والدال والجمع تمغات ودمغات ، وقد اتخذ هذا الاسم لهذه المجموعة الرنكية بسبب أن الرسوم الموجودة داخل خرطوشة الرنك لا تدخل تحت أي عنوان فهي ليست حيوانية ، ولم تتخذ كشعار ولا تدل على وظيفة . . ولا غير ذلك مما أمكن تمييزه على كل الرنوك الأخرى .

وحاملو تلك الرنوك هم من الذين اتخذوا أسماء مسلمة ، وفي ذلك دلالة على ولادتهم أحراراً . . وفي نفس الوقت لم يخدموا كعبيد ، ولا ينتمون إلى أسرة حاكمة ، وهم في نفس الوقت لم يعملوا بوظائف عامة يمكنهم أن يستخدموا شارتها أو رنكها « بمعنى أنهم لا يحق لهم استخدام أي رنك كشعار لوظيفة أو شعار ملكي » ، ولذا فقد بدؤوا يستخدمون العلامات القبلية لمواطنهم الأصلية التي جاء منها أجدادهم أو آبائهم سواء بالجلب أو بالهجرة ، وهم على أي الأحوال أتراك أصلهم من أواسط آسيا قبل هجرتهم إلى آسيا الصغرى ، وهذه المواطن القديمة التي هاجروا منها إلى الشام ومصر خلال العصرين الأيوبي والمملوكي أو جلبوا إليها ، وهذه الشعارات التي اتخذوها كرنوك عبارة عن رموز متنوعة لا معنى لها ، ومن هنا اتفق على إطلاق صنعة التمغات عليها .

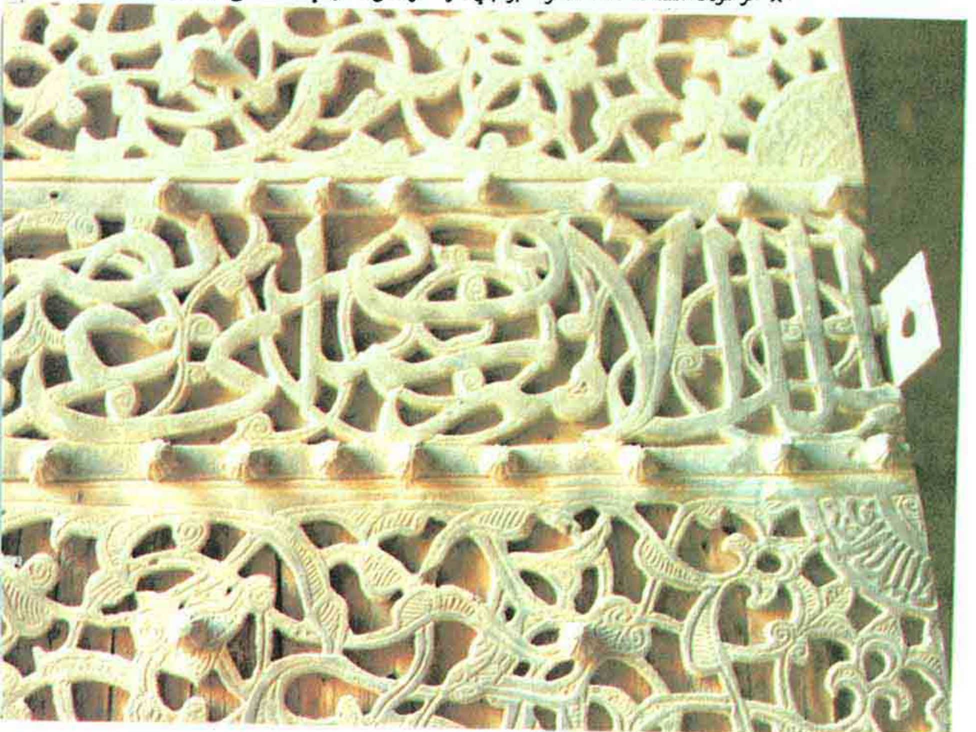


رابعاً : مجموعة شمارات الوظائف
Sings of Offices

وقد حمل الموظفون هذه العلامات أو الرنوك كل حسب وظيفته . ونلاحظ أن هذه الرنوك كانت



★ عز لمولانا السلطان الملك الأشرف برسباي عز نصره على مصراعي باب جامع برسباي ★



تحمل إشارات تدل على الوظيفة نفسها ، فالدائرة هي « طاولة » ترمز إلى وظيفة ذائق الطعام ، وعصا البولو للاعب البولو ، وهكذا كل من كان يعمل في خدمة السلطان أو في معيته أو يعمل في إحدى الوظائف فإنه يحمل شعاراً لهذه الوظيفة .

خامساً : مجموعة الرنوك الكتابية
Written Blazons

وهي نوع خاص من الرنوك لا يوازيه أي رنك آخر ، وهو يحتوي على كتابات خاصة تتكون من عبارات دعائية للسلطان ، وقد ظهر الرنك الكتابي لأول مرة في فترة حكم السلطان الناصر محمد الثالثة حيث استبدل رنكه الذي كان يحمل النسر بآخر كتابي عبارة عن درع مقسم إلى ثلاث مناطق ومن بعده استمر السلاطين في استخدام الرنك الكتابي حتى نهاية العصر المملوكي ، واستمر هذا التقليد حتى بعد سقوط بيت قلاوون على يد الظاهر برقوق عام ١٣٨٢ م ، حيث كان أول سلاطين الفترة البرجية .

وقد بدأت هذه العبارات الدعائية في المنطقة الوسطى من الدرع فقط « الملك الناصر » ثم امتدت إلى المنطقة العليا من الدرع باسم « محمد » فأصبح منطوق الرنك « **الملك الناصر محمد** » ثم امتدت لتشمل المنطقة السفلى من الدرع بعبارة « **عز نصره** » فأصبح منطوق الرنك « **الملك الناصر محمد عز نصره** » ثم تطورت العبارات الدعائية لتشمل عبارات جديدة مثل « **عز لمولانا السلطان الملك الأشرف أو الظاهر أو الناصر** » ثم يذكر اسمه في المنطقة العلوية وتجيء عبارة « عز نصره » في المنطقة السفلية ، واستمرت تلك العبارات على هذا المنوال حتى نهاية العصر المملوكي .

ويمكن قراءة هذا النوع من الرنوك من المنطقة الوسطى أولا ، يليها المنطقة العلوية ثم المنطقة السفلية بحيث يبدأ بكلمات « **عز لمولانا** » وينتهي بـ « **عز نصره** » وكمثال يمكن لنا قراءة رنك السلطان برقوق بجامع برقوق بالنحاسين على النحو التالي :

أولا : المنطقة الوسطى ، السلطان الملك الظاهر .

ثانياً : المنطقة العلوية ، برقوق .

ثالثاً : المنطقة السفلية ، عز نصره .

وهنا رنكاً آخر يمكن قراءته على النحو التالي :

أولا : المنطقة الوسطى ، عز لمولانا السلطان الملك الأشرف .

ثانياً : المنطقة العلوية ، أبو النصر قايتباي .

ثالثاً : المنطقة السفلية ، عز نصره .

جدول الرنوك

المجموعة	الرسم	حامله	ملاحظات
الحيوانية Heraldic Animals	١ ـ الأسد	بيبرس	Lion
	٢ ـ النسر	الناصر محمد فترة ١ ، ٢	Eagle
	٣ ـ الحصان (بقية)	الجاويش المرافق للسلطان (محتمل ؟)	Horse-qubbah
	٤ ـ السمكة (قرش)	صعب إثباتها	
	٤ ـ البطة duck	صعب إثباتها وربما لقلاوون	
الرموز Symbols	١ ـ زهرة الزنبق أو السوسن	أسرة قلاوون (شعار ملكي)	Fleur-de-ly
	٢ ـ الوريدة (٦ بتلات)	أسرة قلاوون (شعار ملكي)	Rosette
	٣ ـ الهلال	رمز إمبراطوري	Crescent
	٤ ـ ما يسمى بالهدف	رمز للسلطان الحاكم	So-Called-target
	٥ ـ الدرع المدبب	رمز إمبراطوري	Pointed Shield
	٦ ـ درع بخطوط مائلة	رمز	Bends
	٧ ـ درع بخطوط أفقية	رمز	Bars
التمغات Tamghas	عبارة عن رموز كشعارات استخدمها مسلمون لم يخدموا كعبيد أو كموظفين فاستخدموا الشارات التي كانت بمواطنهم الأصلية . . وهي علامات قبلية لا تندرج تحت أي عنوان .		
الكتابية Written Blazons	بعض العبارات الدعائية للسلطان ، وقد اختص بها السلاطين وحدهم ابتداءً من فترة حكم الناصر محمد الثالثة .		
إشارات الوظائف Signs of Offices	١ ـ الخوانجا « دائرة »	الجاشنكير « ذائق الطعام »	Khanga-table
	٢ ـ البقجة « رسم معين »	الجمدار « المختص بالملابس »	Napkin
	٣ ـ عصا البولو	الجوكندار « لاعب البولو »	Polo-sticks
	٤ ـ الراية	حامل الراية	Banner
	٥ ـ بوق البارود		Powder horns
	٦ ـ الدواة		Ink-pot
	٧ ـ المقلمة	الدوادار « السكرتير »	Pen-pox
	٨ ـ السيف المعقوف		Sicimiter
	٩ ـ السيف	السلحدار « خازن السلاح »	Sword
	١٠ ـ درع من ٣ مناطق	بريدي	3 feilded Shield
	١١ ـ الطبلة	قارع الطبل	Drum
	١٢ ـ السهم		Arraws
	١٣ ـ القوس	البندقدار « رامي السهم »	bow
	١٤ ـ المفتاح	الخازندار « الخازن »	Key
	١٥ ـ النفير	نافخ النفير « البروجي »	trumpet
	١٦ ـ الحذاء	البشمقدار « السكرتير »	
	١٧ ـ الإبريق	الطشقدار	وظائف في
	١٨ ـ الكأس	الساقي	الدار السلطانية
	١٩ ـ البلطة	حامل البلطة	ـ للسلطان ـ

هوامش

(١) تمثلت هذه النهاية في وفاة الملك الصالح نجم الدين أيوب أثناء الحملة الصليبية التي قادها لويس التاسع ملك فرنسا ، وإخفاء شجر الدر لخبر وفاته ، حتى تم النصر للمسلمين في المنصورة ، وزاد من مأساوية هذه النهاية ، إقدام

كبار المماليك البحرية على قتل «المعظم توران شاه» ـ آخر سلاطين بني أيوب ـ في مدينة فارسكور بشمال دلتا مصر، وذلك عقب الهزيمة النهائية للصليبيين، وقد ظهر في كل تلك الأحداث مدى قوة المماليك.

(٢) تمثلت تلك النهاية في مصرع السلطان «الأشرف قنصوة الغوري» في معركة «مرج دابق» عام ١٥١٦م، تحت سنابك الخيل بعد خيانة ولاته «خايربك»، «جان بردي الغزالي» لصالح سليم الأول العثماني، وقد روى ابن إياس أنه لم يعثر على جثة الغوري بعد المعركة بينما روى «ابن زنبل» أن بعض المماليك قطعوا رأس الغوري ورموا به في جب حتى لا يتعرف سليم الأول على جثته فيمثل بها.. وتزداد مأساة النهاية المملوكية بانهزام السلطان طومانباي ـ آخرهم ـ في معركة الريدانية ١٥١٧م، وشنقه على باب زويلة في أول مرة يقدم فيها حاكم مسلم على شنق وإعدام حاكم مسلم آخر.. وقد تلقى طومانباي قرار الإعدام في ثبات، ويقال إنه عند إعدامه قال للناس: «اقروا لي الفاتحة»، ثلاث مرات وقرأها معهم.. ثم التفت للمشاعلي «العشماوي أو الجلاد» وقال له: «اعمل شغلك»، وفي رواية أخرى «اعمل شغلك يا مشاعلي»، فالتف الحبل حول رقبته وسقط ميتاً على عتبة باب زويلة «بوابة المتولي» وسقط معه العصر المملوكي كله ـ ويقال إن الحبل انقطع به أكثر من مرة ـ.

(٣) تنقسم الدولة المملوكية إلى عصرين.. الأول هو عصر المماليك البحرية والثاني هو عصر المماليك البرجية، وقد تعددت التفسيرات لاسم البحرية، والرأي الشائع على الأرجح الذي يفضله الدكتور سعيد عاشور أنها سميت بالبحرية نسبة إلى بحر النيل بسبب سكناهم في جزيرة الروضة (بالقاهرة الآن)، وهناك رأي آخر يرى أن التسمية مصدرها أنهم كانوا يجلبون عن طريق البحر.. أما سبب التسمية بالبرجية فلأنهم كانوا يسكنون في أبراج قلعة الجبل بالقاهرة.

(٤) حكم الملك الصالح نجم الدين أيوب حتى عام ٦٤٧هـ/ ١٢٤٩م.

(٥) محل قصر المناسترلي الآن وما جاوره بالقرب من مقياس النيل بالروضة.

(٦) يعتبر عز الدين أيبك أول السلاطين المماليك عملياً ـ مع استثناء شجر الدر ـ والمعروف أن أيبك قد تزعم مؤامرة اغتيال توران شاه بمساعدة كل من بيبرس البندقداري، قلاوون الصالحي وأقطاي الجامدار وكلهم من البحرية مماليك الصالح نجم الدين وقد وصلوا جميعاً للسلطنة عدا أقطاي الذي لقي مصرعه بمؤامرة دبّرتها شجر الدر.

(٧) كانت الدروع ـ غالباً ـ دائرية الشكل وعبارة عن قطع خشبية تحاك بعضها إلى بعض بخيوط من القطن.

(٨) كان للمماليك شرف طرد الصليبيين نهائياً (على يد الأشرف خليل بن قلاوون الذي طردهم من عكا ١٢٩١م)، وقبلهم أوقفوا تقدم المغول (السلطان قطز ـ بعد أيبك ـ في معركة عين جالوت).

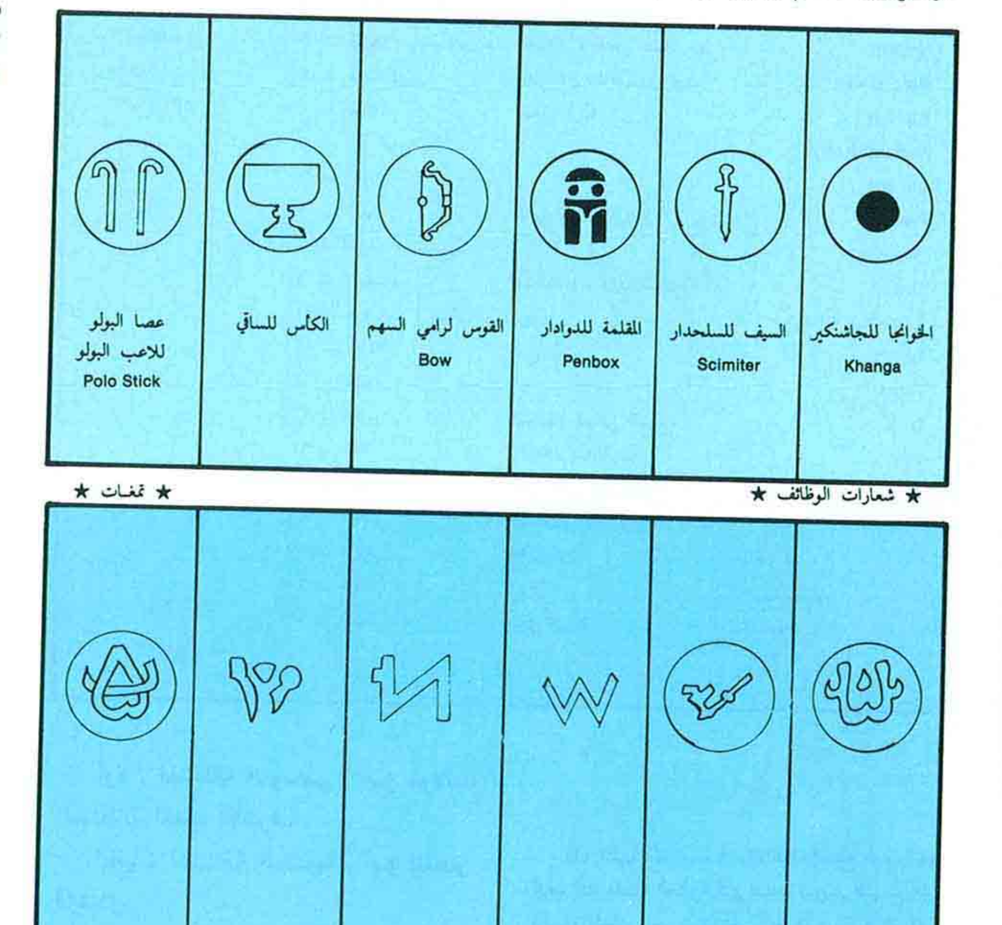
(٩) المعروف أنه في الوقت الحاضر توضع إشارات خاصة على الأعلام والرايات لتصبح أعلاماً تشير إلى تواجد الملوك والأباطرة ورؤساء الدول، وهي أعلام خاصة بهم وتوضع على وسائل تنقلاتهم وأماكن إقامتهم وأماكن تواجدهم.

(١٠) التكفيت هو إضافة معدن على معدن بالطرق أو اللصق، أما على الحجر فقد سميت الإضافة عليه بطريقة التلبيس، أما على الخشب فسميت بالتطعيم عندما يتم إضافة العظم أو السن أو الصدف أو الجلد عليه، وتم تسمية الإضافة بالجلد «ماركتري».

(١١) في أوائل العصر المملوكي كان المماليك يجلبون صغاراً ثم يتعلمون ويتدربون حتى يشبوا ولديهم الولاء لأستاذهم، أما في أواخر العصر المملوكي فكانوا يجلبون كباراً وبالتالي لم يكن لديهم الولاء الكافي وظهرت مشاكلهم وأطماعهم في الوصول إلى السلطة وصاروا أشبه بالمرتزقة لا يهمهم إلا مصلحتهم الشخصية.

(١٢) استمرت شهرة النسر حتى الآن وخاصة في شعارات الدول، وعلى أعلامها وراياتها.. وقد اتخذت منه بعض الشركات شعاراً لمنتجاتها واتخذت من اسمه مفرداً أو مركباً رمزاً لهذه المنتجات.

(١٣) الجاويش هو صف الضابط «ضابط الصف»، وتعادل رتبته الآن رتبة الرقيب، ويرمز له بثلاثة خطوط على شكل رقم ٧ على الذراع أو الذراعين، وكانت هذه الرتبة في العصر المملوكي ترافق السلطان في رحلاته وأسفاره.



المراجع

تم الاعتماد أساساً على عدة مراجع اعتمدت بدورها على المراجع والمصادر المختلفة:

١ ـ سعيد عبد الفتاح عاشور: العصر المماليكي في مصر والشام.

٢ ـ أحمد عبد الرازق: مقالة عن الرنوك بمجلة الجمعية التاريخية المصرية.

٣ ـ عبد الرحمن زكي: الأعلام وشارات الملك في وادي النيل.

٤ ـ ماريانو طاراديل: بحث مقدم للمؤتمر الثالث للآثار «فاس».

٥ ـ عبد الغني محمد عبد الله: أ ـ بحث عن رنوك جامع ومدرسة قايتباي. ب ـ تأملات في الرنك الكتابي «جريدة السياسة، أبريل (نيسان) سنة ١٩٧٦م». جـ ـ الشعارات المملوكية، مجلة الوعي الإسلامي، مايو (أيار) سنة ١٩٧٧م.

٦ ـ ابن تغري بردي الأتابكي: النجوم الزاهرة، جـ ١٥.

٧ ـ القلقشندي: صبح الأعشى، جـ ٤.

٨ ـ المقريزي: الخطط، جـ ٢.

٩ ـ Michael Meinecke «The Mamluk Heraldry» *

١٠ ـ Saracinio-Heraldry-Mayer *



التعلم المتقن

مفهومه ومنابعه

ودور الأهداف السلوكية فيه

بقلم: عيسى الجراجرة

شاعت في الفترة الأخيرة أنماط ومناحي وطرائق من التعليم وأساليب استراتيجيات في التعليم والتربية، مثل التعلم المتقن Mastery Learning Approach، والتعلم المبرمج والتعلم المفرّد (بتشديد الراء) أو تفريد التعليم وغيرها من أنماط التعلم وأساليب التعليم وطرائق التربية، وقد شاعت هذه الأنماط التربوية بفعل تأثر التربية والتعليم بما وصلت إليه الإنسانية، من قمم التطور والإنجاز في العلم والمعرفة عموماً، وبفعل تأثر التربية والتعليم على وجه الخصوص بالعلم وبمحاولة التربية والاستفادة من تطبيقات العلم وتقنياته في عالم الصناعة والتكنولوجيا في الحقول التربوية التعلمية والتعليمية. وأخذت التربية تستخدم مصطلحات العلم والتكنولوجيا ومفاهيمها وتقنياتها وكثيراً من أساليبها ووسائلها في صناعة التربية الضخمة التي أصبحت استثماراً يعنى بالفاعلية والإتقان والإنتاجية العالية مثل أي مشروع صناعي وتكنولوجي، (القلا، ١، ص ٣).

ولأن المعرفة الواسعة وتراكم المعلومات لا تخلق المثقف أو المتعلم الحق «لأن معرفة الأشياء العديدة لا تشكل حكمة وبصيرة»، هذا ما قاله **هيراقليطس** عام (٥٤٠ ق . م) (الينكوف، ٢، جريدة الرأي)، ومنذ ذلك الوقت وحتى الآن حرص الفلاسفة والمربون على تأكيد حقيقة كون الثقافة ليست ببساطة إجمالي تراكم المعارف والمعلومات، وليست كذلك استيعاباً ميكانيكياً للقواعد والحقائق والمعارف والمعلومات

والقوانين ، بل هي استيعاب وفهم وإتقان للمادة المتعلمة يتيح للمتعلم قدرة على توظيف تلك المعرفة في الحياة ، ويظهر القدرة والإتقان في ممارساته كسلوك يمكن مشاهدته وقياسه وقياسه أي قياس للثقافة الحقة ، الناجمة عن التمكن أو الإتقان للمادة المتعلمة ، علاوة على أنها تصبح أسلوب سلوك وطريقة حياة ، فهي كذلك المقدرة على « إبداء الطاقة وإظهار القدرة على إصدار الأحكام ، وتطبيق المعرفة والمعلومات والمهارات وتوظيفها والاستفادة منها في الحياة اليومية » . وكما قال (**إيمانويل كانت**) ، وبكلمة عميقة مختصرة ، عميقة الدلالة ، ثاقبة البصيرة : « إن الثقافة تمثل المقدرة على التعبير عن حكم مشتمل على الوقائع والأحداث والظواهر والناس » ، ويمكن توظيفه لصالح بني الإنسان وخير المجتمع الإنساني . وكما في الثقافة والتعلم والمعرفة الديناميكية الفعالة الموظفة لخير المجتمع الإنساني كذلك في التربية والتعلم والتعليم فإن المعيار هو مدى الإتقان والتمكن من التعلم من ناحية ومدى الجدوى والمردود من توظيف الأفكار والمفاهيم الجديدة التي تعلمها الفرد والتمكن منها من ناحية أخرى ، ومدى الإمكانية والقدرة عند الفرد على توظيف الأفكار والمفاهيم الجديدة التي جرى تعلمها والتمكن منها ، ومدى الإمكانية لوضعها موضع التنفيذ والتطبيق في البيئة الجديدة التي نقلت إليها ، وهذا ينطبق على كل تعلم عموماً والتعلم المتقن على وجه الخصوص .

التعلم المتقن

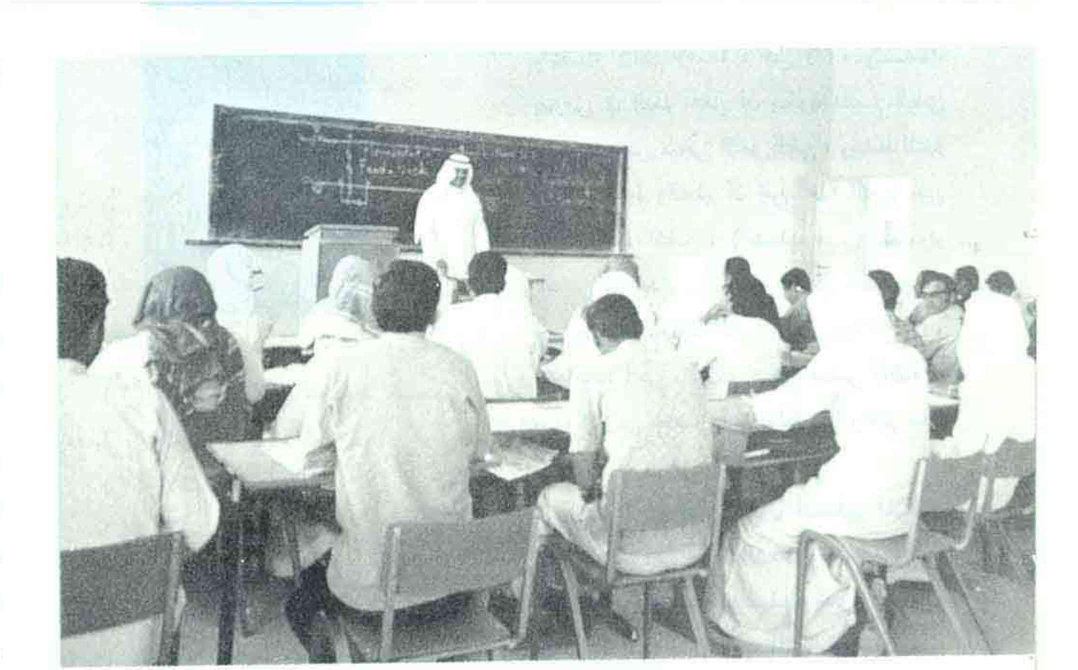
وسوف نقتصر في هذا المقال على معالجة وتناول نمط « **التعلم المتقن** » ومفهومه ، كواحد من المفاهيم والأنماط التربوية التي تهتم وتركز على زيادة فعالية المتعلم في تعلمه وتحصيله وإنجازه ، وتحقيق أكبر قدر ممكن من أهداف التعلم الموضوعة سلفاً (مرعي ، ٣ ، ص ٣٣ ــ ٣٥) أي أن التعلم المتقن « **يركز على إنتاج المتعلم وتحصيله وإنجازه الذي يقاس بسلوكه الظاهر الذي يبديه في نهاية التعلم** » (القلا ، ١ ، ص ٣ ــ ١٠) .



منابع التعلم المتقن

لقد أضفى الله عز وجل على عباده فيضاً من نعمائه ، إذ جعل بعضهم لبعض قدوة وعبرة ، وآتاهم من مكنون علمه ، ما لا يغفل عنه إلا هالك ، ولا يضيعه إلا مستهين لا يبالي ، حيث جعل الله عز وجل « الإتقان وإحسان العمل » قيمة عليا منشورة على الدوام في الإسلام وفي الثقافة والفكر العربي الإسلامي على السواء . وكلف سبحانه وتعالى رسوله الأمين **محمد صلى الله عليه وسلم** أن يبلغ العباد عن ربه عز وجل ، بلاغاً يضيء نهج حياتهم ودروبها في الإتقان في العمل ، والإحسان في الصنع والعمل والممارسة على حد سواء عندما قال **صلى الله عليه وسلم** : « **إن الله يحب إذا عمل أحدكم عملاً أن يتقنه** » (حديث صحيح) ، وقال : « **إن الله كتب الإحسان على كل شيء ، فإذا قتلتم فأحسنوا القتلة ، وإذا ذبحتم فأحسنوا الذبحة ، وليحد أحدكم شفرته ، وليرح ذبيحته** » ، (حديث صحيح) . فانظروا إلى أين كتب الله على عباده ، أن يبلغوا في إتقان ما يصنعون ، وإحسان ما يعملون .

أما منابع التعلم المتقن في الفكر التربوي الحديث والمعاصر ، فيمكن القول إنها منابع عديدة ، إضافة إلى تأثر التربية بالتقدم الهائل المعاصر في العلم وتطبيقاته في الصناعة والتكنولوجيا ، التي من أبرزها : سعي التربية إلى تبني نمط تربوي ، أو استراتيجية تعلم وتعليم ، ترفع مستوى فاعلية العملية التربوية وما فيها من تعلم وتعليم لدى المتعلمين من مستوى توصل : ٥٠ ٪ من الطلاب إلى إتقان أو تحصيل (٥٠ ٪) من المادة المتعلمة بما فيها من معرفة ومعلومات وقيم ومهارات ومفاهيم إلى مستوى أعلى . . . أو مستويات أكثر طموحاً وسعياً إلى توصل (٩٠ ٪) من الطلاب والمتعلمين إلى إتقان قرابة (٩٠ ٪) من المادة المتعلمة . ومن المعروف أن الوصول إلى مثل هذه المستويات العالية من الإتقان في الإنجاز والتحصيل التي يعبر عنها هكذا (٩٠ ٪) ، (٩٠ ٪) أي إتقان (٩٠ ٪) من الطلاب (٩٠ ٪) من المادة المتعلمة ، هو ضرب من الطموح الإنساني المبالغ فيه ، الذي يصعب تحقيقه في غالب الأحيان ، إلا في بعض الدروس العملية ، أو إذا تحسنت شروط التعلم والتعليم تحسناً كبيراً ، يتناسب ومثل هذا الطموح المنشود ، أو إذا انخفضت أهداف التعلم والتدريس عن المستوى المناسب والمقبول . (القلا ، ١ ، ص ٣ ــ ١٠) ولهذا يتطلب التعلم المتقن « للارتفاع بمستويات الإتقان في عمليات التعلم والتعليم » استراتيجية شاملة ومتكاملة لتصميم « عمليات تعلم متقن » قادرة على إعطاء النتائج المرجوة بعد إجراء تحسينات وتعديلات عميقة ، في « مدخلات » عملية التعلم المتقن ونشاطاته ومخرجاته ، وتلعب الأهداف السلوكية دوراً مهماً وأساسياً في مخرجات عملية التعلم عموماً ، والتعلم المتقن خصوصاً ، لأن الأهداف السلوكية هي المخرجات أو السلوك النهائي للمتعلم الذي يسعى القائمون على استراتيجية « التعلم المتقن » للوصول بالمتعلمين إليه . ولذلك يسعى القائمون على التعلم المتقن إلى تصميم عملية التعلم ، أو الدرس في استراتيجية التعلم المتقن ، وفق طرائق وأساليب يمكن التوصل إليها ، وتنفيذها عن طريق النشاطات ، وبطريقة غير مباشرة ، وبحيث يمكن « قياس ناتج التعلم » ، « للتحقق من مدى ومستوى إتقان المتعلمين للأهداف أو المادة المتعلمة » . باختصار فإن التعلم المتقن يركز اهتماماته على : « زيادة فاعلية الدرس أو عملية التعلم والتعليم » (مرعي ، ٣ ، ص ٣٣ ــ ٣٥) سعياً وراء رفع مستوى الإتقان في الإنجاز والتعلم ولكن بطريقة يمكن قياسها والتحقق منها من أجل استمرار العمل على تصميم أهداف التعلم المتقن وأساليب تنفيذ نشاطاته ، بحيث يمكن تعديل مختلف مكونات الدرس أو عملية التعلم في ضوء تقويم التجربة من ناحية والسعي



للارتفاع بمستوى الإتقان في عملية التعلم من ناحية أخرى.

مفهوم التعلم المتقن

ويتضمن مفهوم الإتقان في «التعلم المتقن» من جملة ما يتضمن ويعني ما يلي:

●● إتمام أمر ما وإنجازه بكفاءة وفعالية، وبمستوى عال من الأداء.

●● كما أنه يتضمن التوجه لزيادة مسؤولية المتعلم في الوصول إلى مستوى الإتقان المطلوب في عملية التعلم والتعليم والإنجاز والتحصيل على حد سواء (القلا، ١، ص ٣ ـ ١٠)، (مرعي، ٣، ص ٣٣ ـ ٣٥).

وإذا كان مفهوم التكنولوجيا التربوية برأي المربي باري جيمس لا تقترن بالآلات والأدوات والوسائل فقط، وإنما هي تطبيق العلم على العمل التربوي (مرعي، ٣، ص ٣٢)، كذلك فإن «منحى الإتقان» في التعلم المتقن يشمل جميع عمليات التعلم ونشاطاته، حيث نجد كما يعتقد المربي **ستانلي ايلام Stanley Elam** أن التطور التكنولوجي ودخول التكنولوجيا قد أمدَّ العملية التربوية، وعملية التعلم والتعليم عموماً، بمصادر وطرق تربوية جديدة (ستانلي ايلام، ٤، ص ٢ ـ ٤)، (مرعي، ٣، ص ١٩ ـ ٥٨) ومن أبرز هذه الطرائق التربوية والأنماط التعليمية واستراتيجيات التعلم التي استفادت وانتفعت من دخول التكنولوجيا إلى رحاب التربية استراتيجية «التعلم المتقن» (مرعي، ٣، ص ١٩ ـ ٥٨). ويمكن للمربين المهتمين بمنحى «التعلم المتقن» وتحسين استراتيجيات تصميم نشاطاته وأدواته وأساليب تقويمه للارتفاع بمستوى أدائه للوصول إلى مستوى أفضل من الإتقان في نتائج التعلم المتقن. أقول ويمكن لهؤلاء الاستفادة مما تقوله المربية الأميركية **باتريشيتا كي Ptricia Kay** في تقرير أعدته عن حركة تربية المعلمين القائمة على الكفايات: من أن الثقة في تحصيل المتعلم والسعي للارتفاع بمستوى هذا التحصيل، يتأتى من القدرة على قياس وتقدير أداء المتعلم وتحصيله، ولذلك فإنه يمكن القول إنه لا مفر اعتماداً على رأي هذه المربية لتطوير عمليات التعلم نحو الإتقان والتحسين، من التقويم المستمر لعملية التعلم لمعرفة مستوى الأداء والتحصيل المتحقق، في أي نوع من أنواع التعلم عموماً، وفي التعلم المتقن خصوصاً، كل ذلك من أجل محاولة إجراء التعديلات الضرورية على عملية التعلم للوصول إلى مستويات أعلى من الإتقان والتحصيل والأداء (كي، ٥، ص ٤ ـ ٧).

الأهداف السلوكية وأهميتها

تأتي أهمية الأهداف السلوكية في التعلم المتقن مما يلي:

★★ كون الأهداف السلوكية تشتمل على الشروط التي سيحدث فيها التعلم السلوك المتوخى والمنشود، كما تشتمل على معايير تقويم الأداء (أي الإتقان) المتعلق بالهدف المخطط.

★★ إن الأهداف السلوكية في التعلم المتقن حتى يمكن قياس مدى ومستوى إتقانها فإنه يتوجب صياغتها صياغة سلوكية على شكل نتاجات تعلمية وشاملة لمختلف نواحي التعلم المنشود وبحيث تكون قابلة للملاحظة والتحقيق وللقياس والتقويم (مرعي، ٣، ص ١٧ ـ ٥٢).

★★ إن التعلم المتقن يتطلب أن يكون مستوى الإتقان في التعلم أو التحصيل أو الأداء في نهاية عملية التعلم المتقن نتاجاً يمكن أن يظهر بفعل، ويشاهد ويلاحظ، ويمكن قياسه وتقويمه. أي أن التعلم المتقن فعالية وعملية تربوية تتعدى حدود الاكتفاء من التعلم بإتقان المعرفة المتعلمة لتصل إلى مستويات يكون فيها الإتقان أمراً أو حقيقة يمكن أن يظهر بالعمل أو الأداء.

طرائق التعلم التقليدية

ويرى المربي الأميركي **ك. ب. تورشن**، أن التعلم المتقن «Mastery Learning Approach» قد ظهر نتيجة لمحاولات معالجة مظاهر النقص والتقصير التي تعتور طرائق التعلم العادية، والتقليدية، وأساليبها ونتائجها، حيث كثيراً ما نجد طلاباً لا حصر لهم يمكن اعتبارهم من الطلاب والمتعلمين الفاشلين، وذلك لأنهم خلال تعلمهم بالطرائق العادية والتقليدية للتعلم لم يتعلموا ولم يحصلوا أو يتقنوا المهارات الأساسية للتعلم، مثل مهارة القراءة، وهي واحدة من المهارات الأساسية التي تكسب المتعلمين القدرة على التعلم من ناحية، والقدرة على استمرار هذا التعلم من ناحية أخرى (تورشن، ٦، ص ٣ ـ ٦).

التعلم المتقن

ويلاحظ المربي تورشن نفسه ، أن أهمية « التعلم المتقن » في معالجة مكامن النقص ومواطن التقصير في طرائق التعلم العادية أن « التعلم المتقن » لا يتم ولا يتحقق ولا يعطي كذلك أعلى مستويات الإتقان في الإنجاز والتحصيل إلا من خلال اعتماد أساليب التعلم المتقن على أساليب وطرائق « تفريد التعليم » مع الاهتمام بالأداء ولأن تفريد التعليم من ناحية أخرى يضع المسؤولية العظمى في عملية التعلم والتعليم على كاهل المتعلم نفسه لأنه يتطلب من كل متعلم أن يتعلم ويتقن ويعرف قدر المستطاع « المعرفة والمهارات والاتجاهات والقيم الأساسية اللازمة لجعله قادراً على التعلم » أي تحديد النتاجات والأهداف المتوخاة سلفاً . ويعتبر المربيان الأميريكيان **كارول Carroll** ، **وبلوم Bloom** أن التعلم المتقن «Mastery Learning Approach» نظاماً ، وعرفاه بأنه : **النظام الذي يستخدم في بناء المناهج ، بحيث يحقق هذا البناء أقصى ما يمكن أن يتحقق من تعلم يجعل المتعلم قادراً على الاستمرار في التعلم بفاعلية .**

ولقد اقترحا ستة عناصر لهذا النظام وهي :

(١) تحديد الأهداف بحيث تحدد هذه مستوى الإتقان المطلوب Mastery Level .

(٢) الاختبار القبلي لتحديد مستوى تحصيل المتعلمين السابق .

(٣) الأنشطة التعليمية .

(٤) الاختبار التشخيصي .

(٥) الأنشطة العلاجية والأنشطة البديلة ، وأنشطة الإثراء والإغناء التي توصف للمتعلم في ضوء الاختبار التشخيصي .

(٦) الاختبار البعدي لتحديد مستوى الإتقان للتعلم الذي تم ، (تورشن ، ٦ ، ص ٣ ـ ٦) ، (مرعي ، ٣ ، ص ٣٤ ـ ٣٥) .

ويميل جمهور المربين للاعتقاد أن منحى أو نمط ونظام التعلم المتقن قد فتح أبواب الآمال في المستقبل على مصاريعها لرفع مستوى الأداء والتحصيل ، وبالتالي الإتقان للعملية التربوية ونشاطاتها ونتائجها وعطائها . وعملية التعلم والتعليم في « منحى التعلم المتقن » كالمشروع الهندسي ، يصمم ، وينفذ ، ويقوم ، ولذلك فـي التعلم المتقن يكون الترابط وثيقاً بين التصميم والتقويم (القلا ، ١ ، ص ٦) ، ولذلك يفترض في التعلم المتقن أن يكون المتعلم الذي يدخل « درس منحى التعلم المتقن » وينشط للتعلم في أثناء التعلم والتعليم أن يخرج هذا المتعلم من عملية التعلم المتقن ، (ابتداء من مستوى الدرس الواحد . . . وانتهاء بالمساق الدرسي) ، مزوداً بمعلومات أكثر ، ومهارات أرقى ، واتجاهات أسمى ، وبالقدرة على قياس أدائه في نهاية الدرس خاصة وأية عملية تعلم وتعليم عامة (القلا ، ١ ، ص ٦) .

وقصارى القول فإن التعليم المتقن نمط جديد من أنماط التعلم والتعليم التي شاعت أخيراً وبدأ توظيفها لخير الإنسانية بفعل تأثر التربية بالتقدم العلمي والتقني (التكنولوجي) . وهو يهدف إلى الاستفادة من مختلف السبل لزيادة فعالية المتعلم في تعلمه وتحصيله وإنجازه ، لتحقيق أكبر قدر ممكن من أهداف التعلم الموضوعة مسبقاً ، وذلك بواسطة تصميم عمليات التعلم وتنفيذه وتقويمه بطريقة تؤدي في مجملها إلى زيادة : « فعالية عملية التعلم والتعليم » ، عن طريق زيادة مسؤولية المتعلم عن الوصول إلى أقصى درجة ممكنة من الإنجاز والتحصيل .



المراجع والمصادر

(١) ص ٣ ، الدكتور فخر الدين القلا ، تعيين « تصميم الدروس وفق الأهداف السلوكية » ، دمشق ، وزارة التربية ، مديرية التدريب (د . ت) .

(٢) ايفالد البينكوف ، مقال مترجم بجريدة الرأي ١٩٧٨/٩/٨ م .

(٣) ص ٣٣ ـ ٣٥ ، الدكتور توفيق مرعي ، الكفايات التعليمية في ضوء النظم ، عمان ـ الأردن ، دار الفرقان للنشر ، ١٩٨٣ م .

(٤) Elam, Stanely, performance-Based Teacher Education: What is the state of the art? (Washington, D.C: AACTE, 1975) P.P. 2 - 4.

(٥) Kay, Patricia M. What Competencies should be included in C PBTE Program? (Washington, D.C: 200361 American Association of Colleges for Teacher, Education,) P.P. 4 - 7.

(٦) Torshen, kay Pomerance, The Mastery Approach to Competency - Based Education (New York: Acamenic Press, INC., 1977). P.P. 3.6.

أشهر علماء الصرف

في الأطوار المتعاقبة

بقلم: د. عبد الكريم محمد الأسعد



★ سيبويه ★

يعدّ سيبويه المتوفى سنة ١٨٠هـ، في أوائل العلماء الذين عالجوا موضوعات الصرف وعرضوا لها، فقد عَنَى بالنحو كلّ ما جاء أيضاً في كتابه من أبواب الصرف، وإن اهتم في جمهرة كتابه بمسائل النحو التي كان يقصد منها إلى وقف تيار اللحن الكثير الذي خيف منه على القرآن والحديث وتراث العرب من النثر والنظم أن تمتد إليها ألسنة التحريف.

وقد استوفى سيبويه في كتابه كلّ أبواب التصريف، ولكنه بعثرها خلال أبواب النحو دون ترتيب وجعل بذلك الأقلية الصرفية تابعة للأكثرية النحوية، وقد أخذ سيبويه النحو عن أبي عمرو بن العلاء وعيسى بن عمر وحماد بن سلمة والخليل بن أحمد ويونس ابن حبيب وأبي الخطاب الأخفش وغيرهم، ويعدّ كتابه في النحو «مناراً يُهتدى به ومصدراً يُرجع إليه في معرفة خصائص العربية»[1].

وقد تتلمذ على سيبويه مباشرة عدد من مشاهير النحاة منهم الأخفش الأوسط سعيد بن مسعدة وقطرب، وتتلمذ عليه بقراءة كتابه على تلاميذه وغيرهم كثيرون منهم المازني الذي درس كتاب سيبويه على الأخفش الأوسط، وكان يقول «من أراد أن يعمل كتاباً كبيراً في النحو بعد كتاب سيبويه فليستح»[2]، ومنهم الجرمي الذي درس كتاب سيبويه على الأخفش الأوسط، أيضاً، والفراء الكوفي الذي



وجدوا كتاب سيبويه تحت رأسه حين مات ، وروى ثعلب عن محمد بن سلام قال : حدثني الأخفش أنّه قرأ كتاب سيبويه على الكسائي في جُمُعَه فوهب له سبعين ديناراً[٣] .

ولم يكن الاهتمام بكتاب سيبويه وبدراسته مقصوراً على أهل المشرق ، بل كان أهل الأندلس أيضاً يسألون النحويّ عندهم فإن كان قرأ كتاب سيبويه عظموه وإلا اعتبروه جاهلاً ، وكأنّهم جعلوا حفظه واستظهاره منافسة . وكانت شواهد الكتاب الكثيرة من القرآن وكلام العرب وأشعارهم وأمثالهم وحكمهم ، واحتج سيبويه[٤] بالحديث قليلاً .

وقد اعتنى العلماء بكتاب سيبويه وبدراسته وشرحه وتفسيره والتعليق عليه وشرح شواهده ، ومن أهمّ الشروح والتعليقات وأشهرها :

شرح المازني المتوفى سنة ٢٤٩ هـ ، وشرح عليّ بن سليمان الأخفش الأصغر المتوفى سنة ٣١٥ هـ ، وشرح ابن السراج المتوفى سنة ٣١٦ هـ ، وشرح السيرافي المتوفى سنة ٣٦٨ هـ ، وشرح أبي عليّ الفارسي المتوفى سنة ٣٧٧ هـ ، وشرح الرماني المتوفى سنة ٣٨٤ هـ ، وشرح أبي العلاء المعرّي المتوفى سنة ٤٤٩ هـ ، وشرح الأعلم الشنتمري المتوفى سنة ٤٧٦ هـ ، وشرح ابن الباذشي المتوفى سنة ٥٢٨ هـ ، وشرح ابن خروف المتوفى سنة ٦٠٩ هـ ، وشرح العكبري المتوفى سنة ٦١٦ هـ ، وهذا كلّه يدلّ بوضوح على أهمية كتاب سيبويه وأثره العظيم في الدراسات اللغوية والنحوية والصرفية .

ولم يترك سيبويه في كتابه باباً مهمّاً في الصرف إلا ذكره مع أنّه لم يجمع الموضوعات الصرفية المتشابهة كلّها تحت باب واحد ويضع لها عنواناً واحداً يدلّ على الصرف إلا ما كان من الباب الأخير الخاصّ بالتصريف ، وبذلك كان الكتاب المرجع الأول في الصرف ، وقد اعتمد عليه المازني كثيراً في باب التصريف عندما وضع كتابه « التصريف » واعتمد عليه أيضاً **ابن جني** في جمع قواعد الصرف وأصوله سواء أكان ذلك في شرحه لتصريف المازني أم في كتابه « **التصريف الملوكي** » أم في « خصائصه » أم في غيرها ، « ولم يضف من جاء بعد سيبويه والمازني وابن جني إلى مباحث الصرف شيئاً ذا قيمة كبيرة ، وكل ما فعله المؤلفون أن جمعوا قواعد الصرف وأمثلته المتناثرة في الكتاب وبوّبوها وهذبوا مسائلها فكان للصرف جزء هام في كتاب المفصّل **للزمخشري** ، وفي كتب **ابن مالك** ، وقد أفرد **ابن الحاجب** كتاباً في الصرف وهو الشافية واعتمد على كتب المتقدمين في المادة والتبويب ، ولم يخرج المتأخرون عمّا رسمه الزمخشري وابن الحاجب وابن مالك وغيرهم إلا ما كان من شرح مسألة غامضة أو مثل أو عبارة أو زيادة في التمثيل والشرح فنشأت من ذلك شروح كثيرة منها : شرح المفصل **لابن يعيش** ، وشرح **رضي الدين الاستراباذي** ، ونقره‌كار على الشافية ، وشرح **ابن عقيل** على **ألفية ابن مالك** ، وشرح **أبي حيان** على تسهيل ابن مالك ، وغيرها ، ومع أن هؤلاء المؤلفين رتبوا مسائل الصرف وبوّبوها إلا أن روح كتاب سيبويه لم تفارقها ، وبقي الكتاب المصدر الأول في جميع هذه الدراسات »[٥] .

معاذ الهرّاء

ومن أشهر علماء الصرف في مراحله الأولى **معاذ الهرّاء الذي لقب بذلك لأنّه كان يبيع الثياب الهرويّة نسبة إلى هراة بلدة بفارس** ، وهو من الموالي وعمّ **أبي جعفر الرؤاسي** رأس الطبقة الأولى من نحاة الكوفة ، ويعدّ معاذ نفسه من أعيان الطبقة الأولى من نحاة الكوفة أيضاً ، إذ كما اشتهر بالصرف اشتغل بالنحو كذلك وترك فيهما المصنفات ، ولكنّها ضاعت مع الزمان ، قال **ابن النديم** « ولا كتاب له يعرف »[٦] .

أخذ عنه الكسائي النحو واللغة ، وله شعر منه قوله يخاطب الكميت :

نصحتك والنصيحة إن تعدّت
هوى المنصوح عز لها القبول
فخالفت الذي لك فيه رُشْدٌ
فغالت دون ما أمّلت غول
وعاذ خلاف ما تهوى خلافاً
له عَرْضٌ من البلوى وطول

وقد اشتهر معاذ كما سبق أن ذكرنا **بالتمارين الافتراضية** التي أكثر منها ، وهي ما يسمّى بالتدريب أو بمسائل الامتحان أو بمسائل التمرين ، **روى الزبيدي**[٧] **أن مؤدب عبد الملك بن مروان** كان قد نظر في النحو فأعجبه ، فلمّا أحدث الناس التصريف لم يحسنه فأنكره ، ثم اتفق أن جلس يوماً إلى معاذ فسمعه يناظر رجلاً في النحو يقول له : كيف تقول من ﴿ **تَؤزهُم أزًا** ﴾[٨] يا فاعل افعل ، وصلها بيا فاعل افعل من ﴿ **وإذا الموءودة سُئلت** ﴾[٩] ، فسمع مؤدب عبد الملك كلاماً لم يعرفه فقام عن أصحاب النحو وهجاهم بقوله :

قد كان أخذهم في النحو يعجبني
حتى تعاطَوْا كلام الزنْج والرُّوم
لـمّا سمعت كلاماً لستُ أفهمه
كأنّه زجَل الغربان والبوم
تركت نحوهُمُ والله يعصمني
من التقحّم في تلك الجرائم

هذه رواية الزبيدي في طبقاته ، وفي معجم ياقوت[١٠] أن البيتين الأول والثاني لأعرابي حضر مجلس الكسائي ومن فيه يتناظرون في



النحو فأعجبه ذلك ، ثم تناظروا في التصريف فلم يهتد إلى ما يقولون ففارقهم وأنشأ يقول :

ما زال أخذهم في النحو يعجبني
حتى تعاطَوْا كلام الزنْج والرُّوم
بمَفْعَل[11] فعل لا طاب من كَلِم
كأنّه زجَل الغربان والبوم

والتعارض ظاهر بين الروايتين والنظم فيهما مختلف كما هو واضح . أمّا لفظ « التقحّم » في البيت الثالث فهو من رواية الزبيدي ، وقد رواه السيوطي[12] في البغية « التعجّم » والثاني تحريف ، والأول هو الصواب ، يقال قحم في الأمر كنصر قحوماً أي رمى بنفسه فيه فجأة بلا روية ، وقحّمَهُ تقحيماً ، وأقحمتُه فانقحم واقتحم[13] . وقد أجاب معاذ مؤدب عبد الملك بقوله :

عالجتها أمرد حتى إذا
شبتَ ولم تحسن أباجادها[14]
سمّيت من يعرفها جاهلاً
يُصدرها من بعد إيرادها
سهّل منها كلّ مستصعب
طودٌ علا[15] القِرْن من أطوادها

قال الزبيدي : والجواب يا آزّ أزّ ، وإن شئت أزِّ ، وإن شئت أزُّ ، فالفتح لأنّه أخفّ الحركات ، والكسر لأنه أصل التخلص من التقاء الساكنين ، والضمّ للاتباع ، وتقول :

يا وائد إدْ مثل يا واعد عِدْ ، أقول وإن شئت أوزُز بفكّ الحرف المضعّف وإبدال الهمزة من جنس حركة ما قبلها .

وقد توفي معاذ سنة ١٨٧ هـ ، بعد أن عمّر طويلاً وكان له أولاد وأولاد أولاد ماتوا جميعاً وهو باق ، وفي هذا المعنى قال **سهل الخزرجي** هاجياً :

إن معاذ بن مسلم رجُلٌ
ليس لميقات عمره أمدُ
قد شاب رأس الزمان واكـ
ـتهل الدهر وأثواب عمره جُدُدُ
قل لمعاذ إذا مررت به
قد ضج من طول عمرك الأبدُ
يا بكرَ حوّاء كم تعيش وكم
تسحب ذيل الحياة يا لُبُدُ
قد أصبحت دار آدم خَربَتْ
وأنت فيها كأنّك الوتدُ
تسأل غربانها إذاً نعبت
كيف يكون الصداع والرمدُ
مصححاً كالظليم ترفل في
بُرْديك مثل السعير تتقدْ
صاحبْتَ نوحاً ورُضْتَ بغلة ذ
ي القرنين شيخاً لوُلدك الوَلدُ
فارحل ودعنا لأن غايتك المـ
ـوت وإن شدّ ركنك الجلَدُ

ومن طريف ما يحكى عنه أن رجلاً سأله يوماً كم سنّك ؟ فقال : ثلاث وستون سنة ، ثم سأله بعد سنين كم سنّك ؟ فقال : ثلاث وستون سنة ، فقال : أنا معك منذ إحدى وعشرين سنة ، وكلّما سألك أحد : كم سنّك ؟ تقول : ثلاث وستون سنة ، فقال معاذ : لو كنت معي إحدى وعشرين سنة أخرى ما قلت إلا هذا[16] .

أبو عثمان المازني

ومن مشاهير علماء الصرف **أبو عثمان المازني** المتوفى سنة ٢٤٩ هـ ، على الأرجح[17] ،



★ المتنبي ★

وهو من الطبقة السادسة[18] من النحاة البصريين ، وكان أستاذاً للمبرّد ، وفيه يقول : « لم يكن بعد سيبويه أعلم من أبي عثمان المازني بالنحو »[19] ، روى عن أبي عبيدة والأصمعي وأبي زيد الأنصاري ، وكان لا يناظره أحدٌ إلا قطعه لقدرته على الكلام[20] . يروى أن **الواثق** أشخصه من البصرة إلى سرّ من رأى مكرّماً بسبب جارية اشتريت له منها فغنّت يوماً بين يدي الخليفة قول العرجيّ أو الحارث بن خالد المخزومي[21] :

أظَلُوم إنّ مُصَابكم رَجُلاً
أهدَى السلامَ تحيّةً ظُلْمُ[22]

فقال الواثق : قولي رجل ، فقالت : لا أقول إلا كما عُلّمت ، فقال للفتح بن خاقان : كيف هو يا فتح ؟ قال : هو خبر إنّ كما قال أمير المؤمنين ، فقالت الجارية : أخذت هذا من أعلم الناس بالعربية ، فقال لها : من هو؟ قالت : المازني ، فأحضره الواثق من البصرة ثم سأله عن البيت ، فأجابه بجواب الجارية ، فقال له : أين خبر إنّ ؟ قال : في آخر البيت ، وهو قوله « ظلم » أما ترى أنّ البيت معلّق بآخره ، ومصاب اسم في موضع أصاب ، ونصب رجلاً على أنه مفعول كقول القطاميّ :

أكفراً بعد ردّ الموت عنّي
وبعد عطائك المائة الرِّتاعا[23]

قال : صدقت ، وأمر له بصلة جزيلة ، وأجرى عليه في كل شهر مائة دينار ، فأخذها إلى أن مات الواثق فقطعت عنه[24] .

روَوا أن المازني طرح يوماً بأمر الواثق مسألة على يعقوب بن السكّيت فقال : ما وزن نكتلْ ؟ فقال : نفعل ، فقال الواثق : غلطت ، ثم قال : فسّره يا مازنيّ ، فقال : نكتل تقديره على الأصل نفتعل وأصله نكتيل ، فانقلبت الياء ألفاً لفتح ما قبلها فصار لفظها نكتال ،

فأسكنت اللام للجزم لأنه جواب الأمر ، فحذفت الألف تخلصاً من الساكنين ، فقال الواثق : هذا الجواب لا جوابك يا يعقوب ، أقول ووزنه إذا نفتعل[٢٥] .

وحضر المازنيّ يوماً عند الواثق وعنده نحاة الكوفة ، فقال : يا مازنيّ هاتِ مسألة ، فقلت : ما تقولون في قوله تعالى ﴿ **وما كانت أمك بغياً** ﴾ ، لِمَ لم يقل بغية وهي صفة لمؤنث ؟ فأجابوا بجوابات غير مرضية ، فقال الواثق : هات ما عندك ، فقلت : لو كان بغيّ على تقدير فعيل بمعنى فاعله لحقتها الهاء ، مثل كريمة وظريفة ، وإنّما تحذف الهاء إذا كانت في معنى مفعولة نحو امرأة قتيل وكفّ خضيب ، وبغيّ هاهنا ليس بفعيل ، وإنّما هو فعول ، وفعول لا تلحقه الهاء في وصف التأنيث ، نحو امرأة شكور ، وبئر شطون[٢٦] ، وتقدير بغيّ بغوي ، قلبت الواو ياء ، ثم أدغمت في الياء ، فصارت ياء ثقيلة نحو سيّد وميّت ، فاستحسن الجواب[٢٧] .

وللمازني شعر قليل ، منه قوله :

شيئان يعجز ذو الرياضة عنهما
رأي النساء وإمْرَةُ الصِّبيان
أما النساء فإنهن عواهر
وأخو الصِّبا يجري بغير عِنان[٢٨]

وحين مات واجتازت جنازته على أبي الفضل الرِّياشي أنشد :

لا يُبعِد الله أقواماً رُزِئْتُهُمْ
أفناهُم حَدَثانُ الدَّهْرِ والأبَدُ
نُمِدُّهُمْ كُلَّ يَوْمٍ من بقيَّتِنا
ولا يَئُوبُ إلينا مِنْهُمُ أحدُ[٢٩]

وقد صنَّف المازنيّ في محاولة فصل المباحث التصريفية عن مباحث النحو كتابه المنصف الذي يعدّ الإمام في هذا الاتجاه ، فقد جمع فيه موضوعات التصريف الموجودة في الكتاب لسيبويه وصاغها صياغة علمية متقنة[٣٠] ، ويذهب **الدكتور شوقي ضيف** إلى إمامة المازنيّ في هذا الميدان حيث يقول : « وبدون ريب هو الذي نظّم قواعده ومسائله وهو الذي فصله عن النحو الذي كان مخلوطاً به في كتاب سيبويه وأقامه علماً مستقلاً بأبنيته وأقيسته وتمارينه الكثيرة التي ذلَّلَ بها شوارده ويسّرها للباحثين من بعده من أمثال أبي عليّ الفارسي وابن جني »[٣١] .

ابن جني

ومن أشهر المشتغلين بالصرف **أبو الفتح عثمان بن جني** المتوفى سنة ٣٩٢ هـ ، في خلافة **القادر** ، وكان أبوه مملوكاً[٣٢] رومياً ، وهو من أحذق أهل الأدب ، وأعلمهم بالنحو والصرف ، وقد صنّف في ذلك كتباً عظيمة ، وله في التصريف كلام دقيق كامل[٣٣] ، وفي فتح مقفلاته وشرح مشكلاته ما ليس لغيره . روي أنّه كان يحضر عند **المتنبّي** بحلب ويناظره في النحو ، وكان المتنبي يُعجَبُ به ويقول « هذا رجل لا يعرف قدره كثير من الناس »[٣٤] .

صحب ابن جني أبا عليّ الفارسي أربعين سنة وكان سبب تلك الصحبة الطويلة أن أبا عليّ سافر إلى الموصل ، فمرّ بالجامع وابن جني في حلقة يقرئُ النحو وهو شاب ، فسأله أبو عليّ عن مسألة في التصريف فقصّر فيها ، فقال له أبو عليّ ، زببت قبل أن تحصرم ، فسأل عنه فقيل له : هذا **أبو عليّ الفارسي** ، فلزمه من يومئذ ، فلمّا مات أبو عليّ تصدّر ابن جني في مجلسه[٣٥] في بغداد .



★ د. شوقي ضيف ★

وكان لابن جني شعر أكثره أقرب إلى شعر الشعراء الأدباء منه إلى نظم النحاة والعلماء كما هو متوقع ، من ذلك قوله يرثي المتنبي[٣٦] :

غـاضَ القريض وأذوت نُضرة الأدب
وصَوَّحَتْ[٣٧] بَعْدَ ريٍّ دوحةُ الكُتُبِ
ما زلت تصحب في الجُلّى[٣٨] إذا انشعبت
قلباً جميعاً وعزماً غير منشعبِ
وقد حَلَبْتَ ـ لعمري ـ الدهر أشْطُرَه[٣٩]
تمطو[٤٠] بهمَّة لا وانٍ ولا نَصِبِ

ومن ذلك قوله في الغمز[٤١] :

فإن أصبح بلا نسب
فعلمي في الورى نسبي
على أنّي أؤول إلى
قُرُومٍ[٤٢] سادة نُجُبِ
قياصرة إذا نطقوا
أرَمَّ[٤٣] الدهرُ ذو الخُطُبِ
أولاك دعا النبيّ لهم
كفى شرفاً دعاءُ نبي

ومن شعره الشبيه بالنظم العلمي قوله في العتب على صديق له :

صدودك عنّي ولا ذنب لي
دليل على نيّة فاسده
وقد ـ وحياتك ـ ممّا بكيت
خشيت على عيني الواحده
ولولا مخافة ألا أراك
لما كان في تركها فائده[٤٤]

ابن الحاجب

ومن مشاهير أهل الصرف من المتأخرين **أبو عمر جمال الدين عثمان بن الحاجب**



المتوفى في الإسكندرية سنة ٦٤٦ هـ ، **وقد اشتهر بابن الحاجب لأن أباه كان حاجباً كردياً للأمير عز الدين الصلاحي** ، ولد بأسنا[٤٥] ورحل إلى **القاهرة** وهو صغير فحفظ القرآن وقرأ بالسبع وأخذ عن العلماء واشتغل بالدرس حتى برع في الأصول والعربية ، وكان النحو والصرف هو الأغلب عليه ، ثم رحل إلى دمشق فأخذ أهلها عنه ، وكان معاصراً لابن مالك الإمام النحوي الكبير المتوفى سنة ٦٧٢ هـ ، الذي كان أكثر منه إنتاجاً في النحو والصرف ، ولكنه لم يحز شهرة ابن الحاجب في الصرف على وجه الخصوص ، ولم يكن له فيه مصنّف في منزلة شافية ابن الحاجب فيه ، وقد رجع ابن الحاجب بعد ذلك إلى مصر واستقرّ فيها وتصدّر للتدريس في مدارسها . قال عنه ابن خلكان « كان من أحسن خلق الله ذهناً ، وجاءني مراراً بسبب أداء شهادات ، وسألته عن مواضع في العربية مشكلة ، فأجاب أبلغ جواب بسكون كثير وتثبّت تام »[٤٦] .

وقال عنه **الذهبيّ** « خالف ابن الحاجب النحاة في مواضع ، وأورد عليهم إشكالات وإلزامات مفحمة بعسر الجواب عنها ، وكان فقيهاً مناظراً مفتياً مبرّزاً في عدة علوم ، متبحراً ثقة ديّناً ورعاً متواضعاً مطرحاً للتكليف » .

كان أكثر مصنفاته في مختلف العلوم مختصراً منقحاً مثل : **المختصر في فقه المالكية ، والمختصر في الأصول ، ومتن الكافية في النحو ، ومتن الشافية في الصرف ،** وكانت له كتب أكثر ضخامة من هذه المختصرات نحو : **المنتهى في الأصول ، وشرح الكافية ، وشرح الشافية ، وشرح الإيضاح على مفصّل الزمخشري في النحو** ، وكان له مجلّد ضخم هو كتاب **« الأمالي في النحو »** ، وكل مصنفاته اتسمت بالحسن والجزالة وحظيت لذلك بالقبول .

الهوامش

(١) د . خديجة الحديثي ، أبنية الصرف في كتاب سيبويه ٥٥ .

(٢) السيرافي ، أخبار النحويين البصريين ٣٩ .

(٣) انظر ياقوت ، معجم الأدباء ١٦ : ١٢٢ .

(٤) انظر أحمد راتب النفاخ ، فهرس شواهد سيبويه ٥٧ ـ ٥٨ .

(٥) د . خديجة الحديثي ، أبنية الصرف في كتاب سيبويه ٨٣ .

(٦) ابن النديم ، الفهرست ٩٧ .

(٧) انظر الزبيدي ، طبقات النحويين واللغويين ١٢٥ ـ ١٢٦ .

(٨) سورة مريم ، الآية ٨٣ .

(٩) سورة التكوير ، الآية ٨ .

(١٠) انظر ياقوت ، معجم الأدباء ، ١٣ : ١٩٣ ـ ١٩٤ .

(١١) يريد بمثل هذه الألفاظ من الموزون بأحرف الميزان الصرفي .

(١٢) انظر السيوطي ، بغية الوعاة ٢ : ٢٩١ .

(١٣) انظر الفيروزابادي ، القاموس المحيط ٤ : ١٦٣ .

(١٤) أي حروف الهجاء ، وأبجد إلى قرشَتْ وكَلَمُن رئيسهم ملوك مَدْين ووضعوا الكتابة العربية على عدد حروف أسمائهم « انظر الفيروزابادي ، القاموس المحيط ١ : ٢٨٥ » .

(١٥) القِرن بكسر القاف من يقاومك في علم أو قتال أو غير ذلك ، والجمع أقران « انظر الفيومي ، المصباح المنير ٥٠١ » .

(١٦) انظر ابن خلكان ، وفيات الأعيان ٥ : ٢١٨ ـ ٢١٩ .

(١٧) انظر د . شوقي ضيف ، المدارس النحوية ١١٦ .

(١٨) انظر محمد الطنطاوي ، نشأة النحو ٩٢ ـ ٩٣ .

(١٩) انظر ابن عماد الحنبلي ، شذرات الذهب ٢ : ١١٣ .

(٢٠) انظر انظر ياقوت ، معجم الأدباء ٧ : ١٠٨ .

(٢١) انظر أبو البركات الأنباري ، نزهة الألباء هامش : ١٨٣ .

(٢٢) روي أظلوم وهي الرواية الشائعة ، وروي أظُلَيْمَ وهو مرخّم ظليمة تصغير ظلمة ، وظليمة هو اسم المرأة المشبّب بها ، وفي رواية ردّ السلامَ ، ومصاب مصدر ميمي مضاف إلى فاعله ورجلاً مفعوله وجملة أهدى السلام نعت رجلاً وتحية مفعول مطلق على حدّ قعدت جلوساً وظلم خبر إنّ وظلوم منادى بالهمزة « انظر ياقوت ، معجم الأدباء ٧ : ١١٢ ، وابن هشام ، مغني اللبيب ٦٩٧ ، وخالد الأزهري ، التصريح على التوضيح ٢ : ٦٤ » .

(٢٣) عطائك اسم مصدر مضاف إلى فاعله والمائة مفعوله الثاني وحذف الأول أي عطائك إياي المائة ، والرتاع بكسر الراء جمع راتعة وهي الإبل التي ترتعي نعت مائة والخطاب لزفر بن الحارث الكلابي وكان من خبره أن القطامي أسر فخلّصه زفر وردّ عليه ماله وأعطاه مائة بعير من غنائم القوم الذين أسروه « انظر خالد الأزهري ، التصريح على التوضيح ٢ : ٦٤ » .

(٢٤) انظر السيوطي ، بغية الوعاة ١ : ٤٦٤ ، وياقوت ، معجم الأدباء ٧ : ١١٩ .

(٢٥) انظر القفطي ، إنباه الرواة ١ : ٢٥٠ ، ونكتل هي اللفظة الواردة في الآية المذكورة فيها قصة إخوة يوسف وهي قوله تعالى ﴿ فلمّا رجعوا إلى أبيهم قالوا يا أبانا مُنِعَ منّا الكيلُ فأرسل معنا أخانا نكتَلْ وإنّا له لحافظون ﴾ « الآية ٦٣ من سورة يوسف » .

(٢٦) أي بعيدة القعر « انظر الفيروزابادي ، القاموس المحيط ٤ : ٢٤٢ » .

(٢٧) انظر ياقوت ، معجم الأدباء ٧ : ١١٨ ـ ١١٩ .

(٢٨) انظر ياقوت ، معجم الأدباء ٧ : ١٢١ ، والسيوطي ، بغية الوعاة ١ : ٤٦٦ .

(٢٩) انظر ياقوت ، معجم الأدباء ٧ : ١٢٢ .

(٣٠) انظر عمر الطرابيشي ، شراب الراح فيما يتوصل به للعزّي والمراح ١١ ، تحقيق د . البدراوي زهران .

(٣١) د . شوقي ضيف ، المدارس النحوية ١٢١ .

(٣٢) انظر ابن العماد الحنبلي ، شذرات الذهب ٣ : ١٤٠ .

(٣٣) انظر القفطي ، إنباه الرواة ٢ : ٣٣٥ ، وأبو البركات الأنباري ، نزهة الألباء ٣٣٢ .

(٣٤) ياقوت ، معجم الأدباء ١٢ ، ٨٩ .

(٣٥) انظر أبو البركات الأنباري ، نزهة الألباء ٣٣٣ .

(٣٦) انظر ياقوت ، معجم الأدباء ١٢ : ٨٦ .

(٣٧) صَوَّح البقل : جفّ ويبس من أعلاه « انظر الفيروزابادي ، القاموس المحيط ١ : ٢٤٤ » .

(٣٨) الجلّى على وزن فُعْلى الأمر الشديد والخطب العظيم « انظر الفيومي ، المصباح المنير ١٠٦ » .

(٣٩) جمع شطر ، وحَلَبَ فلان الدهرَ أشطره أي خبر ضروبه ، يعني أنّه مرّ به خيره وشرّه وشدّته ورخاؤه تشبيهاً لحلب جميع أخلاف الناقة ما كان منها حفلاً وغير حفيل ، ودارًا وغير دارّ « انظر ابن منظور ، لسان العرب ٤ : ٤٠٧ » .

(٤٠) تجدّ في السير وتسرع « انظر الفيروزابادي ، القاموس المحيط ٤ : ٣٩٣ » .

(٤١) انظر القفطي ، إنباه الرواة ٢ : ٣٣٥ .

(٤٢) جمع قَرْم ، وهو السيّد المعظّم ، من قولهم بعير مُقْرَم أي مكرم لا يحمل عليه ولا يُذَلَّل « انظر الرازي ، مختار الصحاح ٥٣١ ـ ٥٣٢ » .

(٤٣) أزَمُ الدهر : أي سكت « انظر الفيروزابادي ، القاموس المحيط ٤ : ١٢٤ » .

(٤٤) هذا يعني أنه كان أعور « انظر أبو البركات الأنباري ، نزهة الألباء ٣٣٣ » .

(٤٥) بلدة معروفة بصعيد مصر .

(٤٦) السيوطي ، بغية الوعاة ٢ : ١٣٥ .

الدراسة البنيوية لمعلقة امرئ القيس

بقلم: أعبو أبو إسماعيل

إن الوعي الإجرائي ، كرؤية منهجية ، وكممارسة أدبية ، لا يخرج عن انغلاقيته إلا حينما يشتغل على الخطاب الأدبي ، كموضوع له[1] .

فهو يكتسب فاعليته ، عبر ملامسته لموضوعه ، بيد أن هاته الملامسة متفاوتة الدرجات ، فحدتها تختلف باختلاف مرتكزات الرؤية المنهجية ، إذ إن القدرات والأدوات الإجرائية ، التي يتوصل إليها الناقد ، بواسطة وعيه الإجرائي ، ومرتكزاته النظرية ، تظل نسبية ، قابلة للمراجعة ، فهي تستدعي من كل دارس تطويرها ، فتكتسب بذلك أشكالا تتعدد بتعدد الدارسين ، وهذا التعدد ـ للأشكال ـ يدل على خصب الرؤية المنهجية القابلة للتغير كلما دعت طبيعة الخطاب الشعري إلى ذلك[2] .

والواقع أن افتقار العديد من النقاد العرب إلى هاته الفرضية ، جعلهم يعدون أحكامهم النقدية مطلقة ، بل يعدون ـ أيضاً ـ المعايير النقدية لا تقبل التطوير والتغيير فهي صالحة دائماً وأبداً .

فهذا الصنف من النقاد «ما يزال يقرأ النصوص الشعرية على غرار القراءة العباسية في أحسن الأحوال ، أي قراءة لغوية تاريخية تهتم باللغة اهتماماً نحوياً معجمياً (لا اهتماماً بنيوياً دلالياً)»[3] .

فهو يتبنى رؤية منهجية أحادية التحديد ، لا تنظر إلى الخطاب الشعري ، كبنية ، وبالتالي فهي تعمد إلى تحديده انطلاقاً من المستوى المنفرد والوحيد ، بمعزل عن باقي المستويات الأخرى التي تشكل هيكليته ، فهنا تكمن ضحالة الاستبصار المنهجي .

بل إن التراث العربي ، ينقل للقارئ بصورة مضببة ، وهاته الصورة لا يمكن أن تضمن استمراريته .

وما دامت دراستنا تتمحور حول **معلقة امرئ القيس** ، فإنها ستتم عن طريق ملامستها لبنيتها ، وما يجدر بنا الآن هو أن نشير إلى قضية مبدئية تعد مسلمة بنيوية ، مفادها أن كل بنية تتميز بما يلي :

١ ـ الشمول أو الكلية .
٢ ـ التحويل أو الدينامية الذاتية .
٣ ـ التنظيم أو الضبط الذاتي .

وهاته المميزات تجعلنا نستكنه ما يلي :

ـ الظواهر المنعزلة عن البنية الكلية لا تعني .
ـ البنية لا تتشكل من ظواهر مستقلة عن الكل .
ـ العلاقات الكائنة ما بين الظواهر الداخلية هي التي تشكل البنية الكلية .
ـ الظواهر التي تشكل البنية تخضع لدينامية ذاتية .
ـ التنظيم الذاتي للبنية يؤهلها لتحقيق الانسجام .

بعد هذه التوضيحات الوجيزة ، تتبين لنا نتيجة مبدئية وهي :

«الكل يحدد بالأجزاء ، والأجزاء تحدد هي كذلك بمقتضى موقعها داخل الكل»[4] .

والواقع أننا سنستهدي بهاته القضايا المبدئية ، أثناء ملامستنا النقدية لمعلقة امرئ القيس . . وينبغي أن نقر هنا ، أن النظر في العلاقات الداخلية ـ أي في البنية الداخلية ـ هو أيضاً وفي الوقت نفسه النظر في حضور «الخارج» في هذه العلاقات ، **ولكن ما هو الخارج ؟** هو كل مخزون الذاكرة التاريخية واللاحظوية ، التي هي ذاكرة الفرد[5] .

بيد أنه لا بد من التنبيه إلى أن دراستنا ستتم عبر مستويات تخضع للتراتبية التالية :

(١) المستوى الدلالي .
(٢) المستوى الصوتي .
(٣) المستوى التركيبي .

المستوى الدلالي

إن اكتناه المستوى الدلالي لمعلقة امرئ القيس ، يستدعي تحديد الموضوع المحوري ، بيد أن هذا التحديد يتبدى شديد التعقيد . . ذلك أن الموضوع المحوري ، هو المبدأ التنظيمي لدينامية البنية الدلالية للخطاب الشعري ، كما أنه يعد الحقل الدلالي الجوهري ، المسيطر على باقي الحقول الدلالية ، بل إن هاته الحقول لا تكتسب وجودها إلا إذا ارتبطت به .

من هنا تأتي أهمية تشريح المستوى الدلالي ، إلى حركات دينامية أو مكونات دلالية . فهذا التشريح ، يمكّننا من اكتناه مجلى الموضوع المحوري ـ **المبدأ التنظيمي** ـ ثمة ملاحظة ، تتجسد في كون معلقة امرئ القيس ، تتحرك عدة حركات وهي كما يلي :

١ ـ **حركة المرسِل** ـ الشاعر كحضور على مستوى الفضاء الشعري .
٢ ـ **حركة الموضعة** ـ جعل شيئاً ما موضوعاً[6] .
٣ ـ **حركة المرسَل إليه .**

إن الحيز **المكاني**، لكل حركة من الحركات المحددة، لا يتسم بالتساوي التام مع الحيز المكاني لباقي الحركات، بيد أن عدم التساوي ليس نتيجة مصادفة واعتباط، وإنما هو نتيجة خضوع للمبدأ التنظيمي ـ الموضوع المحوري ـ.

إن هذا الرصد، يجعلنا نستكنه أن حركة المرسل تشغل الحيز الأوسع فهي فاعلية دائمة، تنمو على مستوى فضاء الخطاب الشعري بأكمله.

بل إن هاته الحركة هي التي تمد باقي الحركات بنبضات حية، فهي مثار التفاعل بين الحركات البنيوية، ومن هذا التفاعل تتشكل سلسلة العلاقات التي تحدد بنية المستوى الدلالي.

إن المرسل ـ الشاعر ـ كحضور على **مستوى الفضاء الشعري**، يستهدف تشكيل علاقة تواصل مع المرسل إليه من جهة، وموضعة الأشياء من جهة ثانية. ويمكن تصنيف العلامات الدلالية المُمَوضعة كما يلي:

(أ) الطلل (ب) الغزل (ج) الليل (د) الصيد والفرس (هـ) السيل.

والملاحظ، أن عملية الموضعة تعكس ـ فيزيائية ـ انتصار علامة دلالية على أخرى، فالعلامة الدلالية (ب) تنتصر على العلامة الدلالية (هـ)، والعلامة الدلالية (د) تنتصر على العلامة الدلالية (ج)... إلخ.

بيد أننا على **المستوى السيميائي**، سندرك نتائج معاكسة للنتائج الفيزيائية، والواقع أن المرسل وظف هاته العلامات الدلالية للتعبير عن مواقفه، بل إن هاته العلامات عبارة عن مواقف موظفة بطريقة شعرية.

إن العلامة الدلالية (أ) تجسد الفناء، وهذا التجسيد لم ينتج بصورة اعتباطية، وإنما هو نتج نتيجة سيرورة زمانية، لذا فالعلامة مؤطرة بإطار «زمكاني» آني يمكن معايشته واقعياً، فهي لحظة حاضرة، ليست على مستوى الذاكرة وإنما على مستوى الواقع الآني للمرسل.

إن نوعية العلاقة بين المرسل والعلامة الدلالية (أ) سلبية، فهو يرفضها بإطارها الزمكاني منذ بداية خطابه الشعري ـ رغم أن حضورها كان بين الفينة والأخرى يطغى عليه ـ فهي تجسيد للفناء والدمار والاندثار، لذا فهو يتجاوزها باستحضاره زمكانيتها الماضية، ـ رمز الحياة والسعادة ـ على مستوى الذاكرة، ويتمثل هذا الاستحضار في العلامة الدلالية (ب) ـ الغزل ـ.

ويجلى رفضه للعلامة الدلالية (أ) يتجلى ـ خاصة ـ في قوله:

قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل
بسقط اللوى بين الدخول فحومل

فالكائن التركيبي الدلالي «قفا»، شمل مفعوله ـ من منظور سيميائي ـ العناصر التالية: المرسَل إليه، المرسل، الزمان، المكان.

إن اكتناه مفعوله على الزمكانية الآنية، يتبدى شديد التعقيد، إذ لا يتبين لنا هذا المفعول إلا على **مستوى السياق الشعري**، أي في علاقة ذلك الكائن التركيبي الدلالي بباقي الكائنات الدلالية الواردة في الخطاب الشعري.

إن الكائن التركيبي الدلالي «قفا»، في علاقته ـ خاصة ـ بالكائنين: «من ذكرى» يعكس لنا مفعوله على الزمكانية الآنية فهو يريد توقيفها وتنحيتها، لِيَسْتَحْضِرَ الزمكانية الماضية وهي زمكانية الحبيبة.

غير أن حضور زمكانية الحبيبة على مستوى الذاكرة، وغيابها على مستوى الواقع الآني يثيران بكاء المرسل.

والواقع أن الحضور والغياب يشكلان نبضات حركة المرسل، بشكل مخالف عن نبضات حركة المرسَل إليه ـ الصاحب أو الصاحبين ـ.

فرغم أن حركة المرسَل إليه تعي الغياب، فهي لا تعي الحضور، لذلك تفتقر فاعليتها إلى النبضات الشعورية.

لذلك قال **الباقلاني**: «فإما أن يبكي ـ يقصد المرسَل إليه ـ على حبيب صديقه وعشيق رفيقه، فأمر محال»[٧].

ولعلنا أدركنا مدى وعي المرسل بهذا الفناء حينما قال:

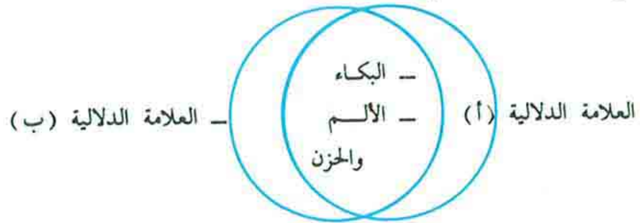
وإن شفائي عبرة مهراقة
فهل عند رسم دارس من معول

بيد أن المرسل لا يستسلم لهذا الفناء، أو لفاعلية العلامة الدلالية (أ)، لذا فهو يستحضر على مستوى الذاكرة علامة دلالية أخرى تتمثل في الغزل.

إن المرسل يحاول من خلال هذا الاستحضار أن يشكل قطيعة مع العلامة الدلالية (أ) وفاعليتها، غير أن هاته القطيعة ليست خالصة لوجود نقطة التقاطع بين العلامتين.

إن تحديد هذا الاكتناه بدقة، يتم بواسطة ملامستنا للمكونات البنيوية للعلامة الدلالية (أ) من جهة، والعلامة الدلالية (ب) من جهة ثانية.

والواقع أن هاته الملامسة تستدعي حيزاً مكانياً واسعاً لا يوازي الحيز المكاني المخصص لهاته الدراسة، لذا سنكتفي بتبيان نقطة التقاطع بين العلامتين من خلال الخطاطة التالية.



إن الكائنات الدلالية التالية: البكاء والألم والحزن تكتسب دلالتها على مستوى العلامة الدلالية (أ) بصورة لافتة، ولعلنا نتبين ذلك عند قول الشاعر ـ مثلاً ـ:

وقوفاً بها صحبي على مطيهم
يقولون لا تهلك أسى وتجمل

أما على مستوى العلامة الدلالية (ب) فهي لا تكتسب دلالتها بصورة لافتة لأن المرسل كان يستهدف تجاوز فاعلية تلك الكائنات الدلالية باستحضار كائنات دلالية أخرى تفيض حيوية ونشوة، يقول المرسل مشكلاً نقطة تقاطع بين العلامتين المشار إليهما:

كأني غداة البين يوم تحملوا
لدى سمرات الحي ناقف حنظل

بيد أننا على مستوى السيميائي نستكنه ـ سيميائياً ـ سيطرة الفناء والجدب على بنية العلامتين خاصة وأن استحضار الخصب والحيوية والحركية ـ بصورة لافتة ـ تم فقط على مستوى الذاكرة.

ولتوضيح ذلك نقر أن الطلل كعلامة دلالية، من منظور سيميائي، يتمثل في المعادلة التالية:

العلامة الدلالية (أ) - الطلل = زمكانية (الجدب والفناء) + طغيان

الدراسة البنيوية لمعلقة امرئ القيس

السكونية على الحركية . كما أن الغزل ـ كعلامة دلالية ـ يتمثل هو الآخر من منظور سيميائي في المعادلة التالية :

العلامة الدلالية (ب) = زمكانية الخصب والحيوية + طغيان الحركية على السكونية[٨] . والواقع أن المرسل لم يتوفق في جعل المعادلة الأولى تخضع للمعادلة الثانية بل إن المعادلة الثانية هي التي تخضع للمعادلة الأولى ، ويمكن تبيان ذلك عبر مرحلتين :

●● **المرحلة الأولى :** في هذه المرحلة يجب تمثيل المعادلتين برموز رياضية .

العلامة الدلالية (أ) - الطلل - H (أ) .

أ = (-) + (-)

العلامة الدلالية (ب) - الغزل - H (ب) .

ب = (+) + (+)

●● **المرحلة الثانية :** توظيف هذه الرموز كمعايير لتحديد العلاقة بين العلامتين ومدى هيمنة الواحدة منها على الأخرى ـ انظر الخطاطة ـ .

ـ خانات العلامة الدلالية ب أ

أ \ ب	(-)	(-)
(+)	(-)	(-)
(+)	(-)	(-)

\+ خانات العلامة الدلالية ب

إن نتائج هذه الخطاطة الرياضية تتمثل كما يلي :

١ ـ إن العلامة الدلالية (أ) ، لا تستهدف فقط نفي العلامة الدلالية (ب) ، بل إنها تهيمن عليها ، لذا فحضور العلامة (أ) على مستوى الذاكرة كان سلبياً .

٢ ـ إن العلامة الدلالية (ب) تتبدى على **المستوى الفيزيائي** ، في حالة انتصار على العلامة الدلالية (أ) ، بيد أننا على المستوى السيميائي ، ـ انظر الخطاطة ـ ندرك العكس .

٣ ـ إن العلامة الدلالية (ب) لا تكتسب دلالتها إلا في ارتباطها بالعلامة الدلالية (أ) ، ثمة اكتناه يتبدى على مستوى الفضاء الشعري للعلامتين (أ) و(ب) يتجسد كما يلي :

١ ـ توظيف فاعلية العين أثناء موضعة العلامة الدلالية (أ) .

٢ ـ توظيف فاعلية الذاكرة أثناء موضعة العلامة الدلالية (ب) .

« ذلك أن فاعلية العين والذاكرة تعتبران ركنين ركينين في كثير من النصوص الأدبية شعرية كانت أم حكائية ، فهما مرتع النشاط اللغوي في النص ومجاله الحيوي »[٩] .

ومن بين الكائنات التركيبية التي استحضرها المرسل أثناء توظيف فاعلية العين : منزل ، سقط اللوى ، الدخول ، حومل ، توضح ، المقراة ، لم يعف رسمها ، نسجتها ، بعر الآرام . . . إلخ .

إن فاعلية العين لدى المرسل تستهدف ما يلي :

١ ـ تحديد مكان الحبيبة ـ الطلل ـ من الجهات الأربع .

٢ ـ تحديد الاندثار الذي حل بالمكان .

٣ ـ الإشارة إلى غياب الإنسان عن المكان بصورة ضمنية ـ ترى بعر الآرام في عرصاتها . . . كما تجسدت فاعلية الذاكرة في استحضار التركيبية الدلالية المكونة للعلامة الدلالية (ب) ، والواقع أن الحيز المكاني لهاته الكائنات يتسم باتساعه ، ونحن سنحد من اتساعه بتنضيد تلك الكائنات التركيبية ، داخل حركات دينامية دلالية تخضع للتراتبية التالية :

ـ حركة الذاكرة الأولى : تتمحور حول لحظة البين .

ـ حركة الذاكرة الثانية : تتمحور حول أم الحويرث وأم الرباب .

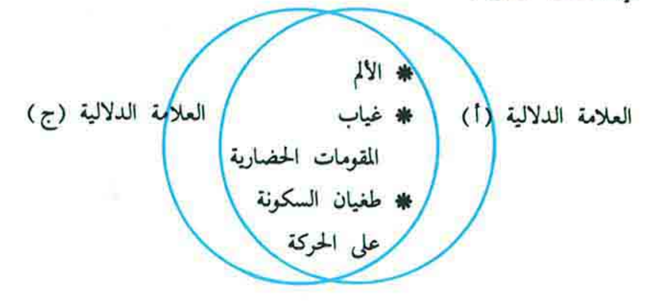
ـ حركة الذاكرة الثالثة : تتمحور حول المرسل والعذارى يوم دارة جلجل .

ـ حركة الذاكرة الرابعة : تتمحور حول المرسل مع المرأة الحبلى والمرضع .

ـ حركة الذاكرة الخامسة : تتمحور حول المرسل وفاطمة يوم تدلل عليها .

ـ حركة الذاكرة السادسة : تتمحور حول المرسل وبيضة خدر .

ولعلنا أدركنا مدى فاعلية العلامة الدلالية (أ) ، فهذه العلامة تتحرك على مستويات متعددة ، فهي لا تتجسد فقط على مستوى حيزها المكاني ، أو على مستوى الحيز المكاني للعلامة الدلالية (ب) ، بل إنها تتجسد على مستوى العلامة الدلالية (ج) ـ الليل ـ فهي تشكل معها نقطة التقاطع التي تتمثل في الخطاطة التالية :



ولعل هذا التداخل اللافت هو الذي جعل المرسل يرفض العلامة الدلالية (ج) . وكدليل لهذا الرفض قوله :

ألا أيها الليل الطويل ألا انجلي
بصبح وما الاصباح منك بأمثل

ولقد تولد عن هذه ـ العلامة ج ـ الكائن التركيبي الدلالي « الذئب » الذي شكل معه المرسل نقطة تقاطع . « فالشاعر والذئب كلاهما نحيف وضعيف ، وكلاهما يضيع ما كان قد حققه ، كلاهما عرف زمن الامتلاء والتحقق ، ولكنهما معرضان لطبيعة الزمن الزائلة ، وهكذا فإنهما يفقدان زمن الامتلاء وينتهيان صفر اليدين . ويظهر الذئب هنا بوصفه مرآة لدخيلة الشاعر ، وتجسيداً حقيقياً للبطل الخاسر »[١٠] .

جلي أن العلامة الدلالية (ج) ليست خاضعة للمرسل ، لأنها حالة

طبيعية ، فرغم أنه قام بموضعتها فهي لا تخضع لإرادتي ، لذا فإن تغيرها سيكون حتمياً ، بيد أن هذا التغير يقتضي تشكيل حالة طبيعية أخرى ، وهذه الحالة تتجسد في النهار ، ولقد استدعى ــ أيضاً ــ هذا التغير علامة دلالية (د) تتمثل في الصيد والفرس .

«وإذا كان امرؤ القيس قد اتخذ من وصف الليل في هذه القصيدة وسيلة إلى تشخيص ضيقه وقلقه وخوفه .. فإنه راح يحقق انتصاره على تلك المشاعر من خلال وصفه لرحلة الصيد التي اختار لها وقتاً بعينه هو الصباح الباكر ، وحصاناً أسطورياً لا يتعب ولا ينهزم»[11] .

والواقع أن فاعلية العين ، على مستوى هذه الحركة تستهدف تحديد صفتين للفرس السرعة والصلابة .

ولهذا فهي استدعت العديد من الكائنات التركيبية الدلالية : منجرد ، قيد الأوابد ، هيكل ، كجلمود صخر ، جياش ، درير كخدروف الوليد . . . إلخ .

ثمة اكتناه يتمثل في كون العلامة الدلالية (د) ــ على المستوى الفيزيائي وبمعزل عن سياقها الشعري ــ تجعلنا نستكنه غياب فاعلية العلامة الدلالية (أ) . بيد أن السياق الشعري يكشف عن حضور هاته الفاعلية يقول الشاعر :

ألا أيها الليل الطويل ألا انجلي
بصبح وما الإصباح منك بأمثل

فاعلية العلامة الدلالية (أ) لا تتوقف بانجلاء الليل ، فهي دائمة الفاعلية رغم حلول الصباح ــ زمن الصيد والفرس ــ بل إنها تجد استمراريتها على مستوى العلامة الدلالية (هـ) ــ السيل ــ التي انبثقت بعد العلامة الدلالية (د) .

إن العلامة (هـ) تتمثل في السيل وهي «تتيح تجسيد رؤيا ذاتية شديدة الخصوصية للواقع ، رؤيا إنسان وعلائق ظروفه في مواجهة الزمن والموت وهشاشة الحياة والعلاقات الإنسانية»[12] .

وبهذا فإن فاعلية العلامة الدلالية (هـ) تجد امتدادها على مستوى جميع العلامات الدلالية بل إنها تؤثر على حركة المرسِل والمرسَل إليه على مستوى فضاء الخطاب الشعري .. فهي إذن المبدأ التنظيمي والموضوع المحوري .

المستوى الصوتي ــ الإيقاعي

إن اكتناه بنية التشكلات الإيقاعية لمعلقة امرئ القيس يستدعي استحضار محورين :

١ ــ محور أفقي .

٢ ــ محور شاقولي .

(١) المحور الأفقي ــ الطولي : وهو الحركة الترديدية التي تعبر الأشياء أثناء قراءتنا من اليمين إلى اليسار وتؤلف إيقاعاً[13] .

وبهذا فإن هذا المحور يستحضر مجموعة من الظواهر الإيقاعية :

●● **البحر الشعري :** إن وحداته الإيقاعية تَمُدُّ بنية التشكلات الإيقاعية بنبضات دينامية وهي تتخذ شكلين :

★ **الشكل الأول** يتمثل في التقابل المتوازي للوحدات الإيقاعية كقوله :

مكر مفر مقبل مدبر معاً
كجلمود صخر حطه السيل من عل

(فعولن مفاعيلن فعولن مفاعلن   فعولن مفاعيلن فعولن مفاعلن)

القبض   القبض

وهذا التقابل المتوازي يؤدي كما أشرنا في دراسة سابقة[14] إلى نتائج حتمية :

١ ــ معادلة ما بين الوحدات المنطوقة للشطر الأول والوحدات المنطوقة للشطر الثاني .

٢ ــ تجاوب الوحدات الإيقاعية تجاوباً منضبطاً .

٣ ــ حدوث تداخل بين الوحدات الإيقاعية للشطر الأول والوحدات الإيقاعية للشطر الثاني .

★ **أما الشكل الثاني** فيتمثل في التقابل غير المتوازي للوحدات الإيقاعية كقوله :

وقد أغتدي والطير في وكناتها
بمنجرد قيد الاوابد هيكل

(فعولن مفاعيلن فعول مفاعلن   فعولن مفاعيلن فعول مفاعلن)

والواقع أن هذا الشكل يتميز بخلل ضمني تتعرض له بنية التشكلات الإيقاعية .

●● **التصريع :** إن التصريع لا يقتصر على البيت الأول من الخطاب الشعري ، إذ إن الشاعر صرع أبياتاً أخرى يقول في المعلقة :

أفاطم مهلاً بعض هذا التدلل
وإن كنت قد أزمعت صرمي فاجملي

ويقول أيضاً :

ألا أيها الليل الطويل ألا انجلي
بصبح وما الاصباح منك بأمثل

ولقد تنبه **قدامة بن جعفر** إلى ذلك ، وقال :

«وإنما يذهب الشعراء المطبوعون المجيدون إلى ذلك لأن بنية الشعر إنما هي التسجيع والتقفية . فكلما كان الشعر أكثر اشتمالا عليه كان أدخل له في باب الشعر وأخرج له عن مذهب النثر»[15] .

●● **المقاطع الطويلة :** هي امتداد صوتي يكشف عن امتداد آهات الشاعر كلما عبَّر عن آهاته ، كما أن هذا الامتداد يكشف عن حبور الشاعر كلما عبَّر عن حبوره . والملاحظ أنها تمتد على مستوى الخطاب الشعري بأكمله .

●● **الأصوات المهموسة والأصوات المجهورة :** نلاحظ أن الأصوات المجهورة ، تسيطر على بنية القصيدة سيطرة تكاد تكون تامة ، إذ إن الأصوات المهموسة رغم وجودها فهي تكاد تكون مفرغة من نبضاتها الإيقاعية .

وفي حالة الجهر نلاحظ أن فتحة المزمار تنقبض ويقترب الوتران الصوتيان ليهتزان بعد ذلك ، وعكس الجهر الهمس ، وفيه يرتخي الوتران الصوتيان ولا يهتزان[16] .

(٢) المحور الشاقولي : إذا كان المحور الأفقي يقتضي وصف بنية التشكلات الإيقاعية من يمين الخطاب الشعري إلى يساره ، فإن المحور الشاقولي

الدراسة البنيوية لمعلقة امرئ القيس

يقتضي وصف تلك البنية من أعلى الخطاب الشعري إلى أسفله .

لا شك أن الروي ــ من هذا المنظور ــ يعد ظاهرة إيقاعية بارزة ، تتكرر على مستوى الخطاب الشعري بأكمله ، إذ إنه يعد من الأصوات المجهورة ، لذا فهو يتميز بإيقاعيته عن الأصوات المهموسة .

والواقع أن الشاعر عمد ــ بصورة تلقائية ــ إلى تكرار أصوات مجهورة مماثلة للروي ليحدث تجاوباً إيقاعياً . . كما أن القافية تميزت بخضوعها لفاعلية الأصوات المجهورة أكثر من خضوعها لفاعلية الأصوات المهموسة .

وجلي أن القائم بدراسة البنية الإيقاعية لمعلقة امرئ القيس يجد نفسه أمام ظواهر إيقاعية عديدة تتطلب دراسة مستفيضة . . إذ إنه يصادف التجانس الصوتي ، والطباق الصوتي ، وترديد بعض الأصوات الموازية للروي .

والواقع أن دراسة هذه الظواهر الإيقاعية بأكملها يستدعي حيزاً مكانياً واسعاً لا يوازي الحيز المكاني المخصص لهذه الدراسة .

المستوى التركيبي

جلي أن الأفعال لا تكتسب نبضاتها الحية ، وفاعليتها الحقيقية ، إلا إذا ارتبطت بسياق معين ، إذ إنها خارج سياقها تتبدى مفرغة من دلالتها .

إن هذا التقصي يجعلنا نستشف سلسلة من الأفعال الدالة على ارتباطها بالشاعر ، فهي تجسيد لانفعالاته ومواقفه وفاعليته .

ويمكن معاينة هذا التجسيد لحظة الطلل ، وهي لحظة تأملية انفعالية ، تستدعي الحيز المكاني الضيق وذلك يتبين في الأفعال التالية :

قفا ، نبك ، ترى ، لا تهلك أسى ، تجمل ، فهذه الأفعال لا تستدعي المكان الشاسع لأنها تتم على رقعة أرضية ضيقة ومحدودة ، لذا فالسكونية ستطغى على الحركية .

أما على مستوى **الفضاء الشعري** للحظة الغزل فإن الأفعال الدالة تكشف عن اتساع الحيز المكاني لفاعلية الشاعر ، كما أنها تكشف عن نشوته الحسية وحبوره ، ومن ثم فإن الحركية تطغى على السكونية .

غير أن حلول الليل ــ كفضاء شعري ــ ليجسد لحظة توتر سيستدعي أفعالا دلالية أخرى تناظر على المستوى السيميائي الأفعال الدلالية للحظة الطلل فهي تجسد تصاعد توتر الشاعر ، وضيق حيزه المكاني وبالتالي مجاله الحركي ، بيد أن الحيز المكاني والمجال الحركي الضيقان سيتخلصان من هذا الضيق بانجلاء الليل وحلول الصباح ، حيث الحركية ستطغى على السكونية أثناء وصف رحلة الصيد ، والفرس ، والسيل .

والواقع أن الأسماء على مستوى الخطاب الشعري تلعب دوراً دلالياً إذ إنها تعكس توتر مجموعة من العلاقات .

١ ــ توتر العلاقة الكائنة ما بين الشاعر والمكان .
٢ ــ توتر العلاقة الكائنة ما بين الشاعر والزمن .
٣ ــ توتر العلاقة الكائنة ما بين الشاعر والمرأة .
٤ ــ توتر العلاقة الكائنة ما بين الشاعر والفئات الاجتماعية .

ثمة اكتناه يتجسد في وجود ازدواجية الدلالة على مستوى الخطاب الشعري ، وهي مزاوجة بين مستويين اثنين : فيزيائي ــ ظاهري ــ ، ورمزي . فالشاعر حينما يقول :

ترى بعر الآرام في عرصاتها
وقيعانها كأنه حب فلفل

فعلى **المستوى الفيزيائي** أو الظاهري نجد مشابهة ترتكز على الأبعاد الظاهرية والهندسية ، إذا إن الشاعر شبه بعر الارام بحب الفلفل . . بيد أنه على **المستوى الرمزي** ، نستكنه : غياب الإنسان .

وتتمثل أيضاً بازدواجية الدلالة في قوله :

كأني غداة البين يوم تحملوا
لدى سمرات ناقف حنظل

إذ يتبين لنا على المستوى الرمزي ــ وهو الخفي ــ بكاء الشاعر البكاء المر .

والواقع أن معلقة امرئ القيس مليئة بالعديد من الظواهر التركيبية الأخرى التي أريق فيها كثير من المداد .

بعد تقصي المستويات الدينامية التي تتحكم في نسج ترابط الخطاب الشعري ، يتبين لنا أن هذه المستويات كلما ارتبطت ببعضها البعض شكلت نسقاً من العلاقات . . والواقع أن هذا النسق هو التجسيد النزيه لمقصدية الخطاب الشعري .

الهوامش

(١) يمنى العيد : في معرفة النص ، ص (١٠) ، الطبعة الأولى ، بيروت .
(٢) أعبو أبو إسماعيل : الدراسة البنيوية للخطاب الشعري ، ص (١٢٦) ، مجلة «الفيصل» ، ع (٨٥) ، أبريل (نيسان) ١٩٨٤م .
(٣) خالدة سعيد : حركية الإبداع ، ص (٥٧) ، الطبعة الثانية ، بيروت .
(٤) F. de Saussure: cours de linguistique générale, p 177, payot, Paris, 1979.
(٥) يمنى العيد : في معرفة النص ، ص (١٢ ، ١٣) ، الطبعة الأولى ، بيروت .
(٦) بشارة صارجي : الاختبار التنظيري التفسيري للغة ، «عند هيدجر» ، مجلة «الفكر العربي المعاصر» ، ع (١٨/ ١٩) ، ص (٨٤) ، مارس (آذار) ، ١٩٨٢م .
(٧) الباقلاني : إعجاز القرآن ، ص (١٥٨) ، تحقيق السيد أحمد صقر ــ مصر ، سنة ١٩٦٣م .
(٨) للاستفادة راجع :
Georges Mounin: Clefs pour la semantique, Editions seghers, 1971.
(٩) نجيب العوفي : جدل القراءة ، ص (١٠) ، الطبعة الأولى ، المغرب .
(١٠) كمال أبو ديب : نحو منهج بنيوي في تحليل الشعر الجاهلي ، مجلة «فصول» ، ص (١٠٦) ، المجلد الرابع ، العدد الثاني ، ١٩٨٤م .
(١١) إبراهيم عبد الرحمن محمد : من أصول الشعر العربي القديم ، مجلة «فصول» ، ص (٢٨) ، المجلد الرابع ، العدد الثاني ، ١٩٨٤م .
(١٢) كمال أبو ديب : نحو منهج بنيوي في تحليل الشعر الجاهلي ، مجلة «فصول» ، ص (١٠٨) ، المجلد الرابع ، العدد الثاني ، ١٩٨٤م .
(١٣) عبد القادر الرباعي : تشكيل المعنى الشعري ، مجلة «فصول» ، ص (٦٥) ، المجلد الرابع ، العدد الثاني ، ١٩٨٤م .
(١٤) راجع الدراسة البنيوية للخطاب الشعري ، مجلة «الفيصل» ، العدد (٥٨) ، السنة ١٩٨٤م .
(١٥) نقد الشعر ، ص (٩٠) ، تحقيق عبد المنعم خفاجي ، بيروت .
(١٦) ريمون طحان : الألسنية العربية ، ج (١) ، ص (٥٠) ، بيروت .

شهادة وفاة

بقلم : د. يحيى ساعاتي

شهادة وفاة

- **الاسم : أشهب بن حالم .**
- **الجنس : ذكر .** ● **العمر : ٩٦ عاماً .**
- **رقم الهوية : ١٥٦٤١ .**
- **سبب الوفاة : فشل وظيفي لمراكز المخ الحيوية نتيجة هبوط كامل لوظائف الكبد والكليتين .**

كاتب الشهادة : اعتماد الطبيب : مدير المستشفى :

تبرز الملامح غائرة تنادي الحياة .

٩٦ عاماً لا تكفي .

يقرفص جسده .. يجلس ماداً يديه إلى الأمام .. يشير بهما طالباً المجيء إليه .. الملامح متآكلة .. اللحم يتفسخ عن العظم .. يتساقط اللحم كأنما قدد نشر على حبل في يوم شديد الحرارة .

رقم الهوية .

فشل الكبد .

أشهب بن حالم .

شهادة وفاة تقدم تبريراً واعتذاراً .

ينشب أظافره الطويلة في جدار المقبرة .. يحفر .. يحفر .. تتكسر الأظافر .. يبدأ في استخدام أسنانه ينهش بها التراب .. ينهش التراب .. ينهش التراب !!

تتعمق الظلمات في داخله .. يشعر بوحشة رهيبة !!

فشل الكبد .. يتحسس موقع الكبد الفاشل .. يضرب عليه .. يعود ، يستلقي على أرض المقبرة .. وسادته قطعة من اللبن .. فراشه أرض صلدة مغطاة بالتراب .. جيرانه .. ديدان .. وحشرات تعيش على رائحة الموت ، تغني له ، فعن طريقه تحيا .

أشهب بن حالم .. شهادة وفاة .. إنسان .. يرحمه الله ..

يحمل الخلف الشهادة .. يركض ، يركض قبل فوات الأوان .. يقدمها دليلاً على عدم الحضور في الوقت المحدد .

يقف أمام المسؤول ، معتذراً يتمتم :

« مات .. فلم أتمكن من الحضور .. هذه هي الشهادة .. تفضل ، ألا تكفي عذراً » .

يقدمها بيد مرتجفة .. يبعد المسؤول رأسه إلى الخلف كأنما يشم رائحة الموت تنبعث من الورقة الرسمية .

يقترب الخلف .. يتمتم :

« هذه هي الشهادة .. خذها .. لولا أنه مات .. لأتيت .. ولكن .. كما ترى .. فشل الكبد .. رغم ٩٦ عاماً إلا أنه ظل صحيحاً .. فجأة .. انتهى .. مات .. أنتم طلبتم إلي أن آتي بها .. هي هذه شهادة الوفاة .. خذها .. اقرأ .. لتصدق » .

يتراجع المسؤول إلى الخلف ، يغمض عينيه .. يقف أشهب ابن حالم .. ملامحه غائرة .. عيناه نافذتان ، تظهر من خلالهما الحشرات والديدان .. في تجاويف الجمجمة تسعى حثيثة لأنها وما تبق من لحم طري .. هيكل عظمي تساقط لحمه كان أشهب .

تمتد اليد العظمية .. تأخذ شهادة الوفاة .. الذعر المميت يستولي على المسؤول .. يصرخ فزعاً .. يستنجد .. يضحك الابن :

« ما بك .. إنها شهادة الوفاة لا غير .. أرجوك ، ألا تكفي عذراً لتأخري ، أرجوك خذها . انظر .. لقد مات فعلاً في تمام الساعة الرابعة من فجر السابع والعشرين من شهر جمادى الأولى من عام ... » .

الهيكل العظمي .. أشهب ابن حالم .. الأظافر تطول من جديد .. الأسنان تنبت صلدة قوية .

من عذابات الحياة .. يسمعها في نُواح قمري .. يقف على شجرة خضراء في يوم بالغ الحرارة .. جاء الموت .. هكذا .. دون إنذار .. تعطل الكبد ... نواح القمري .. شجرة خضراء .. يوم حار .. جاف .. يبلع ريقه .. ليتغلب على العطش ...

يغرس الأظافر في جدار المقبرة من جديد .. ينهش بأسنانه .. يتساقط التراب .. يتجمع على جسده الممدد على أرض صلدة .

يتزاحم الدود على المواطن اللدنة من الجسد .. يأكل فيها .. تشتد رائحة العفن .. جيفة منتنة .. يتحول أشهب بن حالم .. الهيكل العظمي يتفتت .. قطع عظام .. تتناثر في ركن مظلم .. ينتهي الدود .. يخيم الهدوء .

تنزل السكينة !!

طريق

تأليف :
ف . سكوت فيتزجرالد
ترجمة :
علي الملك

كنا نتحدث عن بعض الحصون القديمة في «تورين» ، وعن القفص الحديدي الذي سجن فيه (**الكاردينال بالومد**) ست سنوات على عهد **لويس الحادي عشر** ، ثم عن الزنزانات والأهوال تكلمنا ، ولقد رأيت بعض هذه ، محض آبار جافات يصل عمقهن ثلاثين أو أربعين قدماً . يلقى بالسجين فيها بانتظار لا شيء ، وبما أني أرهب الأماكن الضيقة ، فإن كابينة في القطار تسبب لي ضروباً لا حصر لها من الكوابيس ، وقد جعل مرأى هاتيك الزنزانات على نفسي أثراً لا ينمحي . لذا فإنه حين بدأ صديقنا الطبيب يقص هذه القصة غمرني قدر من الارتياح عظيم ، وما ذلك إلا أن قصته لا تمت بصلة لعهد تلك الأهوال :

كان هناك امرأة شابة اسمها «**مسز كنج**» ، وكانت سعيدة في حياتها الزوجية ، وكانت تبادل زوجها حباً بحب ، ولكن بعد مولد طفلها الثاني أصيبت بغيبوبة طال أمدها ، وحين أفاقت منها كانت تركت أثرها البليغ على مسز كنج : حالة ظاهرة من السكزوفرانيا أو انفصام الشخصية ، وبعد عشرة أشهر من علاج بإحدى المصحات زايلها المرض إلا قليلاً ، وكانت تتشوق تعود للحياة التي ألفت .

كانت في الحادية والعشرين ، واستأثرت بحب العاملين في المصحة ، وحين بلغت من العافية مبلغاً حسناً سمحوا لها أن تخرج في زيارة لرؤية زوجها . اهتم أهل المصحة بالحدث ، رافقتها إحدى الممرضات لشراء فستان من **فيلادلفيا** . وممرضة أخرى كانت تعلم خبر غرامها العابر في **المكسيك** ، وكل الناس بصروا بطفليها حين يزورانها في المصحة . وكانت رحلتها المرجوة خمسة أيام تمضيها في «**فيرجينيا بيتش**» . وكان جميلاً أن تراها تعد نفسها للقاء المرتقب ، تحزم أمتعتها ، ترتدي ملابسها قبل نصف ساعة من الموعد المضروب للخروج . تنفق ذلك الوقت تزور بعض المرضى ، عليها فستانها الأزرق ، وقبعة تبدو كأنك تراها دقيقة واحدة بعد أن يكون وافاها رذاذ المطر في أبريل (نيسان) . ووجهها النحيل عليه لمسة يسيرة من حزن مثار يكون ماثلاً بعد المرض تراه متألقاً بالرجاء ، تقول : «**ليس هناك ما يمكن عمله ، كل طموحي أن أنهض من الفراش متى أردت .. لثلاثة أيام متصلة ، وأن أسهر ثلاث ليال متتابعات ، وأن أشتري مايوهاً ، وأطلب ما أريد من طعام**» .

وحين أزف الوقت قر عزم مسز كنج أن تنتظر في بهو الطابق الأرضي ، وفي الطريق إليه كانت تحيي زملاءها المرضى ، وتأسف أن الوقت لم يحن بهم بعد لينعموا بمثل عطلتها . مراقب المستشفى يتمنى لها التوفيق ، وممرضتان أصابتهما عدوى سعادتها الغامرة قالت واحدة : «**يا لحظك الجميل سيصيب جسدك حقه من أشعة الشمس**» . وقالت الثانية : «**تذكري أن ترسلي إليّ بطاقة**» .

في نحو الوقت الذي غادرت فيه حجرتها في المصحة اصطدمت سيارة زوجها بشاحنة ، وأصابه أذى بليغ ليس من بعده شفاء ، وتسلم أهل المصحة الخبر ، وأسقط في يدهم أجمعين ، غير أن الطبيب قرر ألا ينبئ مسز كنج بشيء طالما أن الزوج ما زال على قيد الحياة . وينبغي ، والحال كذلك ، أن تعلم على الأقل أنه لن يحضر في ذلك اليوم . وحين أخبرت بتأجيل الزيارة حلت بها خيبة أمل عظيمة ، ولكنها قالت : «**أظن أن الأمر لا يحتمل كل هذا ، فبعد هذه الشهور الطوال فإن يوماً واحداً لن يؤثر**» . ثم التفتت إلى الممرضة وقالت : «**لقد ذكر أنه سيحضر في غده أليس كذلك ؟**» .

وصمتت الممرضة صمتاً أمكن معه إرجاع مسز كنج إلى حجرتها . ثم عهدت إدارة المصحة إلى ممرضة أخرى عرفت

ف . سكوت فيتزجرالد كاتب أمريكي ، ولد عام ١٨٩٦ م ، ومات عام ١٩٤٠ م . درس زماناً في برنستون ولم يتخرج فيها . اشترك في الحرب العالمية الأولى برتبة ملازم ، وحلّ في باريس وصار في عشرين هذا القرن صوت ما يسمى في تاريخ الأدب الغربي (الجيل الضائع) . وكانت باريس قد صارت ملاذاً لأدباء جيله وفنانيه ، فهناك «جيرترود شتاين» ، و«ارنست همنجواي» ، و«أزرا باوند» ، و«فورد مادوكس فورد» وغيرهم . ولسكوت رواية شهيرة هي قاتسبي العظيم .

الخلاص الطويل



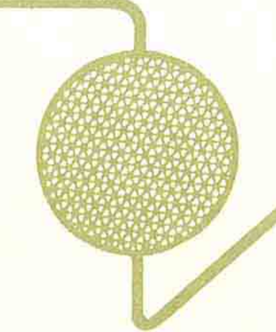
ببرودها لتحظر على مسز كنج الاختلاط بالمرضى الآخرين، ولتحجب عنها الصحف، بأمل أن الموضوع سيرسو على بر ما في اليوم التالي.

وصمد زوجها يغالب الموت عهداً لم يتوقعه أحد، واستمر أهل المصحة يكاذبون وفي اليوم التالي قبيل الظهر، وبينا كانت مسز كنج تمر في الردهة قابلتها إحدى الممرضات وهي على مثل ما كانت عليه في أمسها.. في أبهى ملبس وتحمل حقيبتها قالت مسز كنج: **«إني ذاهبة للقاء زوجي، لم يستطع الحضور أمس غير أنه سيحضر اليوم في نفس الموعد لا ريب»**. وسارت الممرضة إلى جانبها في البهو. كان لمسز كنج حرية أن تتحرك وتتجول في البناية، وعليه فلم يكن بالإمكان أن ترغم لتعود إلى حجرتها، كما أن الممرضة لم ترد أن تذكر شيئاً يعارض ما أعلم المسؤولون مسز كنج. وحين بلغتا صدر البهو نظرت مسز كنج في المرآة تصلح من شأن نفسها وقالت: **«أريد قبعات كثيرات مثل هذه القبعة لتذكرني أن أكون سعيدة على الدوام»**. وحين ظهرت كبيرة الممرضات بادرت مسز كنج تقول: **«لا تقولي إن جورج سيتأخر عن موعده»**. وترد كبيرة الممرضات: **«أخشى أن يكون الأمر كما ذكرت، وليس أمامك من شيء سوى الصبر»**. ضحكت مسز كنج حزين ضحك وقالت: **«كنت أريده يرى ثوبي وهو بعد جديد»**. ردت الممرضة **«لا عليك، ليس على ثوبك أي غضن»**. قالت مسز كنج: **«أظن أنه سيحافظ على مظهره حتى الغد، لا ينبغي أن أحزن ليوم انتظار واحد، بينما أنا سعيدة حق سعادة»**. ردت الممرضة: **«بكل تأكيد»**.

في تلك الليلة مات زوجها، واجتمع الأطباء يناقشون الأمر. إما أن تخبر مسز كنج لمغامرة لها خطرها، وإما ألا تعالن بالأمر لمغامرة يستوي خطرها وعدم إبلاغها. وأخيراً اتفق القوم أن يقولوا لها إن زوجها قد سافر في مهمة ما، إرادة أن يحطموا أملها في لقاء قريب، وحين تقر نفسها لما قد ذكروا يكون بالإمكان إخبارها بحقيقة الأمر.

وحين انفض اجتماعهم بصروا بمسز كنج متجهة صوب البهو تحمل متاعها، وقال **الدكتور بايري** المشرف على علاجها: **«هذا شيء مؤلم، أظن أنه يتوجب عليَّ إبلاغها بالأمر الساعة، إذ إنه لا فائدة من ذكرنا أن زوجها مسافر بينما اعتاد أن يتصل بها مرتين في الأسبوع، وإن قلنا إنه مريض فستطلب أن تعوده..»**.

سافر أحد الأطباء من الذين اجتمعوا يتشاورون، في إجازة غايتها أسبوعان. وحين عاد وفي ونفس البهو، وذات الساعة استوقف سيره موكب صغير يتجه إليه قوامه: ساع يحمل الحقيبة وممرضة ثم مسز كنج وعليها فستانها الأزرق وعلى رأسها القبعة تلك التي تصطنع لفصل الربيع قالت: **«صباح الخير يا دكتور، إني ذاهبة للقاء زوجي وسنمضي معاً إلى فرجينيا بيتش، إني متجهة**



إلى البهو ولا أريد له طويل انتظار . . ». نظر الطبيب إلى وجهها صافياً كان مثل وجه طفل ، أشارت للطبيب الممرضة تومئ أن هذا هو ما اتفق عليه ، فلم يقل الطبيب كلمة بل انحنى وقال كلاماً عن الطقس البديع . وردت مسز كنج : **« إنه يوم جميل حقاً ، ولكني أراه يوماً جميلاً وإن أمطرت السماء »** .

نظر الطبيب تلفه حيرة مطلقة وجعل يفكر في السبب الذي يدفع هؤلاء القوم أن يتمادوا فيما هم عليه وأي خير يرجون . وحمل أسئلته إلى طبيبها الدكتور بايري . قال بايري : « لقد حاولنا أن نخبرها ، ضحكت وقالت إننا إنما نحاول أن نختبر أمرها إن هي ما زالت مريضة أم أنها قد شفيت . . يمكن لك أن تستخدم تعبير لا يخطر بالبال بمعناه الدقيق جداً ، إذ إن موته لا يخطر على بالها أبداً » . قال زميله : « ولكن الأمر لن يستمر على ما هو عليه » . . رد الدكتور بايري : « نظرياً لا . . قبل أيام حين حزمت أمتعتها كالعادة حاولت الممرضة منعها ، ومن موقعي القريب نظرت وجهها ، كان كأنه يتداعى يحدث هذا لأول مرة ، بصرت بعضلاتها تتشنج ، وعينيها تلتمعان وصوتها يجيء خشناً يرتجف ثم سمعتها تقول للممرضة أنت كاذبة . وكان الأمر كما بدا لي مزعجاً فتدخلت وأمرت الممرضة أن تمضي بها إلى حجرة الاستقبال » . ثم انقطع سيل حديثه حين ظهر الموكب الثلاثي من جديد متجهاً نحو العنبر . توقفت مسز كنج عن السير وقالت للدكتور بايري : **« لقد تأخر زوجي ، لست فرحة لهذا بالطبع ، ولكنهم ذكروا أنه سيحضر غداً ، ليس مهماً يوم واحد لن يزيد انتظاري الطويل كثيراً ، ألا تتفق معي يا دكتور ؟ »** ، رد الدكتور بايري : **« بكل تأكيد »** .

ثم رفعت قبعتها تحية . . وقالت : **« يجب أن أخلع عني هذه الملابس ، أريدها أن تبدو نظيفة غداً كما هي اليوم »** ، ثم نظرت إلى القبعة ملياً وقالت : **« عَلِقَها بعض الغبار ولكن يمكن نظافتها ، وعلى كل فربما لا يلحظ ذلك »** . رد الدكتور بايري : **« إني واثق من ذلك »** . وحين مضت عنها قال الطبيب لزميله بايري : **« وما خبر الطفلين ؟ »** ، فرد الدكتور بايري : « لا أظن أن الأمر يهمها كثيراً ، إذ المشكلة أن هذه الرحلة ارتبطت بشفائها ، فإن صرفنا عنها النظر استفحلت بها العلة وعلينا أن نبدأ من جديد » . رد صاحبه : « أهذا ممكن الحدوث ؟ » .

– إني لا أتكهن بشيء ، إنما أردت أن أوضح السبب في سماحنا لها ارتياد البهو في هذا الصباح .

● ولكن ، هناك صباح الغد وصباح بعد غد .

– هناك دائماً أمل في قدومه .

ثم سكت صديقنا الطبيب عن قصته حين بلغ بنا هذا الحد ، وحين ألححنا عليه أن يخبرنا بما صار إليه الأمر ، ذكر أن ما تبقى من الحكاية يفيد أن العطف يتلاشى آخر الأمر ، ذلك أن المسؤولين في المصحة قد قبلوا الأمر على ما هو عليه . ثم سألناه :

– أما تزال تمضي إلى البهو إرادة لقاء زوجها ؟ .

● نعم . . ولكن المرضى ، باستثناء الجدد منهم ، لم يعد يستوقفهم مسيرها على الصالة صوب البهو . أما الممرضات فإنهن يأتينها بقبعة جديدة كل عام تقريباً ، غير أنها ما زالت ترتدي ذات الفستان وهي تعود كل يوم بقليل من خيبة الآمال ، ولكنها بذلك ترضى . وهي من بعد ليست حياة تعسة كما نراها ، بل هي وبصورة ما تضرب مثلاً للهدوء يفيد منه المرضى الآخرون . . بالله عليكم دعوا هذا الأمر ، ولنتحدث عن شيء آخر . . . فلنعد بالحديث عن موضوع الزنزانات

كبرياء تحتضر

بقلم: إنجي سندباد

أشارت السيدة ذات الرداء الأسود ناحيتها ، فأسرع بائع الطيور بإحضار **الإوزة** السمينة .. تحسست حويصلتها ، جَسَّت مؤخرتها .. فحصت أرجلها . ثم تحدثت إلى البائع فوضعها على الميزان .

أخرجت السيدة نقودها وعرضتها عليه . زام الرجل وصد يدها . أشاح بوجهه بعيداً وهو يزمجر .

شاهدت الإوزة صاحبها غاضباً ، قفزت من فوق كفة الميزان إلى الأرض . تأملت السيدة المتشحة بالسواد .. ثم استدارت وسارت خارج الحانوت . تتبختر يميناً ويساراً مزهوة بقوامها الرشيق .. بعنقها الطويل .. بريشها الأبيض الجميل .. تدق الأرض بقدميها ولا تبالي بمن حولها . تتلفت وراءها بين الحين والحين .. تنظر شزراً إلى سائر زميلاتها .. مسجونين داخل أقفاصهم .. يحسدونها على جرأتها وعلى مفاتنها .. تمشي بدلال وتؤدة .. لا تبالي بالمارّين ولا حتى بهذا الجرو الذي يلاحقها من بعيد ، ينبح نباحاً فاتراً .. يرنو إليها متفحصاً .. وهي لا تعبأ به .

تتلفت ذات اليمين وذات اليسار وكأنها تتحدى مخلوقات العالم كله .

قفزت فجأة بفزع من صوت نفير سيارة .. اندفعت نحو الرصيف .. نظرت شزراً بطرف عينيها مستنكرة ما فعله ذلك الشيء الذي أطاح بوقارها . فردت جناحيها وتمطت لتعيد إلى نفسها رباطة جأشها .

عادت أدراجها إلى عشها القابع في الحانوت . وإذا بالسيدة بعد طول محاورات مع التاجر ، تخرج مزيداً من النقود وتضعها في يده .

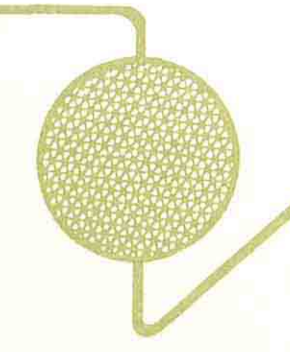
هدأ قليلاً ، انفرجت أساريره وهو لا زال يتحدث معها مشيراً إلى الإوزة الماثلة أمام الدكان .

وبغتة .. تناول صاحبها شيئاً من فوق المنضدة العتيقة ، شيء يبرق أمام عينيها .. انتفضت مذعورة ، جرت مسرعة إلى الخارج ، فاتحة فاها من هول ما رأت . كم من مرة شاهدت أحد زملائها يُنزع من القفص .. يحمله البائع .. يثني عنقه إلى الخلف بكل قسوة وإذلال .. ثم يحرك ذلك الشيء البشع اللامع .. غارساً إياه في رقبته الملتوية إلى الوراء ، خزياً وضعفاً وهواناً .. يحرّكه ذهاباً وإياباً .. وهي تراقب صديقها المسكين ينتفض بين يديه متألماً .

أما الرجل فهو لا يبالي بما يسببه له من عذاب . يلقيه على الأرض بعيداً كما لو كان يقذف بشيء كريه غير مرغوب فيه .. كم طال تأملها لأحد رفاقها وهو يتلوى مخضباً بالدماء .. يمتزج بالتراب فيتلوث ريشه الجميل حتى تبطل مقاومته فيهدأ تماماً . يلتقطه بعد ذلك أحد من هؤلاء المتوحشين ، يذهب به بعيداً فلا تعد تراه ثانية أبداً .

هل جاء دورها اليوم ؟ هل حانت الساعة التي تصبح فيها هي الأخرى فريسة لتلك الآلة المرعبة ؟

لا .. لا . انطلقت نحو الشارع .. راحت تهرول بعيداً . لا تدري إلى أين آخر المطاف . كل همها أن تبتعد قدر المستطاع عن ذلك التنين الفضي حتى لا



يفترسها. راحت تجري وسط الناس. منقارها منفرج.. يرتعش داخله لسانها الصغير المنتصب هلعاً.. تلهث.. تنظر حولها بقلق واضطراب. زائغة العينين.. تبحث عمن يحميها من ذلك الخطر الداهم..

تتخبط في الطريق بأقدام قطيع المشاة، مستغيثة.. فلا يبالي بها أحد.. تستعطفهم بدموعها المتحجرة داخل مآقيها.. فلا أحد يهتم، تحاول الصراخ فلا أحد يجيب.

فجأة تسمع صوت أقدام تعدو وراءها.. تنظر إلى الخلف.. البائع يركض لملاحقتها ماداً ذراعيه على أقصى اتساعها لمحاصرتها. اقترب منها.. تفلت من بين يديه. تقفز من فوق ذراعه.. تهرب منه في عرض الشارع. يتجمع بعض الناس.. يحذون حذو البائع.. يحيطونها من كل جانب.

تقول لهم دون أن يسمعها أحد:

«الآن فقط تقدمون يد العون حتى تلحقوا بي الأذى؟ وحينما استغثت بكم لتنقذوني لم تأبهوا لصراخي. تتعاونون دائماً على الشر، وتديرون ظهوركم للخير أيها الأشرار!!».

ودون أن تنتبه انقضت عليها السيدة ذات الرداء الأسود. أمسكت بجناحيها، أحكمت قبضة يدها أسفلها.

ضمتها إلى بعض.. قدمتها للتاجر الذي لا زال يلهث. أطبق على عنقها بكل شراسة وعنف يريد أن ينتقم منها على عنادها. ثناه للخلف، تبثه بين أصابعه الحديدية. وباليد الأخرى شهر آلته اللامعة وآتى بها على رقبتها الطويلة الجميلة. ومضت السكين الحادة بين طبقات الجلد والشحم ثم اللحم، حتى صدتها عظام فقرات العنق.

تدفقت نافورة من الدماء متقطعة الدفعات.. هدأ الرجل. ألقى بالطائر الأبيض الكبير على الأرض. وفي أقل من لحظة، انتصبت ثانياً الإوزة المذبوحة تحاول رفع رأسها المبتور، الممسك بنصف عظمة فقرة من عنقها.. معلق بنسيج رقيق من الجلد. اندفعت مسرعة إلى الأمام، واهمة أنه لا زال في مقدورها الابتعاد عن مصدر الخطر.. لا تدري أن الخطر قد تمكن منها لا مفر.. تحاول رفع رأسها الثقيل.. تود أن يظل شامخاً كعادته.. لكن الألم يمنعها.

ازداد تدفق السائل الأرجواني حتى غطى صدرها البارز. بدأ ينسكب على الأرض قطرة.. قطرة.. مع كل خطوة من خطواتها المرتجفة.. تترنح بجسدها الرشيق، سَكْرَى تحاول الصمود دون جدوى.. وعلقت آسفة:

● أبهذه البساطة أقترب من النهاية؟؟

ونظرت إلى صاحبها بأسىً وقالت له بحزن عميق:

● أيها الخائن السفاح: ماذا فعلت بك حتى تكافئني بهذا المصير؟ ألست أنت الذي أطعمتني صغيرة؟ ألم تقدم لي بنفسك مراراً، الماء لتسقيني؟ ألست أنت الذي كنت تغطي قفصي لتدفئه ليلاً حتى لا يؤذيني ندى الفجر؟ ما الذي فعلته بك اليوم حتى تسلبني حياتي؟ ألا تراني لم أعد أقوى على حمل رأسي أيها الخائن الغدار؟ اعتقدت واهمة أنك ترعاني لأنك تعطف عليَّ. أما الآن، فلقد اكتشفت الحقيقة المؤلمة. إنك كنت تعدني حتى أكون في النهاية ذبيحة لك. تبيع عمري مقابل بعض النقود؟ انظروا إليه لا إليَّ أيها المارّة.. تأملوا الجاني لا المجنى عليه. إنني لا أمثل أمامكم مشهداً تراجيدياً على المسرح، بل هي مأساتي الحقيقية.. فهل تشعرون بآلامي؟ امسكوا بهذا الكائن الغادر.. أطيحوا برأسه عقاباً له.. آه إن عنقي يؤلمني بشدة. لم أعد أقوى على السير.. لم أعد أرى جلياً.. قواي بدأت تخور.. ماذا أبغي؟ لا أعرف. إلى أين أنا ذاهبة؟.. لا أدري.. لقد تعبت.. إني مرهقة جداً.. أشعر بدوار.. جفوني ثقيلة. الهزال يصيب كل جسدي.

وداعاً يا أصدقائي الطيور.. وداعاً يا دنيا الخيانة والشر.. أما أنت أيها الإنسان، فإلى لقاء قريب.. سوف أنتقم منك عندما تنقلب الأوضاع وتصبح أنت تحت رحمتي. مكانك سيكون في أسفل الطبقات.. وأنا التي سأتحكم في مصيرك... و...؟؟

التوت قدماها... تدلى عنقها.. سقطت على جنبها.. ثم أسندت رأسها على الأرض مغمضة عينيها بلا حراك.. ترقد في بركة من دمائها النقية الحمراء المختلطة بتراب الأرض الرمادي الملوث القاتم.

صدى الصمت

بقلم: أحمد فريد

الصمت يخيم على المكان.. الحجرات واسعة وقد تكدست بداخلها قطع متعددة من الأثاث.. المصابيح بدت كأنها في طريقها للانصهار، فهي مضيئة أغلب النهار وبعض من الليل. الورود الصناعية في أوانيها نظيفة براقة لكنها.. بلا حياة. النوافذ محكمة الإغلاق وقد ماتت فوقها الستائر. الأبواب موصدة لا تفتح إلا مرتين في اليوم ولثوان قليلة. مرة في الصباح عند انصراف **الحاج منتصر** إلى عمله ثم يغلق على ابنتيه **التوأمتين**، وأخرى في المساء عند عودته ثم يغلق بعدها إلى اليوم التالي.

لا شيء أكثر من ذلك.. فكل ما بين الجدران محسوب، الخطوات، الهمسات، حتى الأماني والرغبات.

تلك كانت نواميس هذا المكان، بل كان دستور **الحاج منتصر**.. لقد استطاع أن يفرض ذلك الحصار بعد وفاة زوجته منذ سنوات طويلة، فاعتاد هو عليه، واعتادت عليه ابنتاه أيضاً، كان يلبي كافة احتياجاتهما، من مأكل وملبس وبعض رغباتهما من كماليات المنزل.. ولكن أيضاً بحساب.

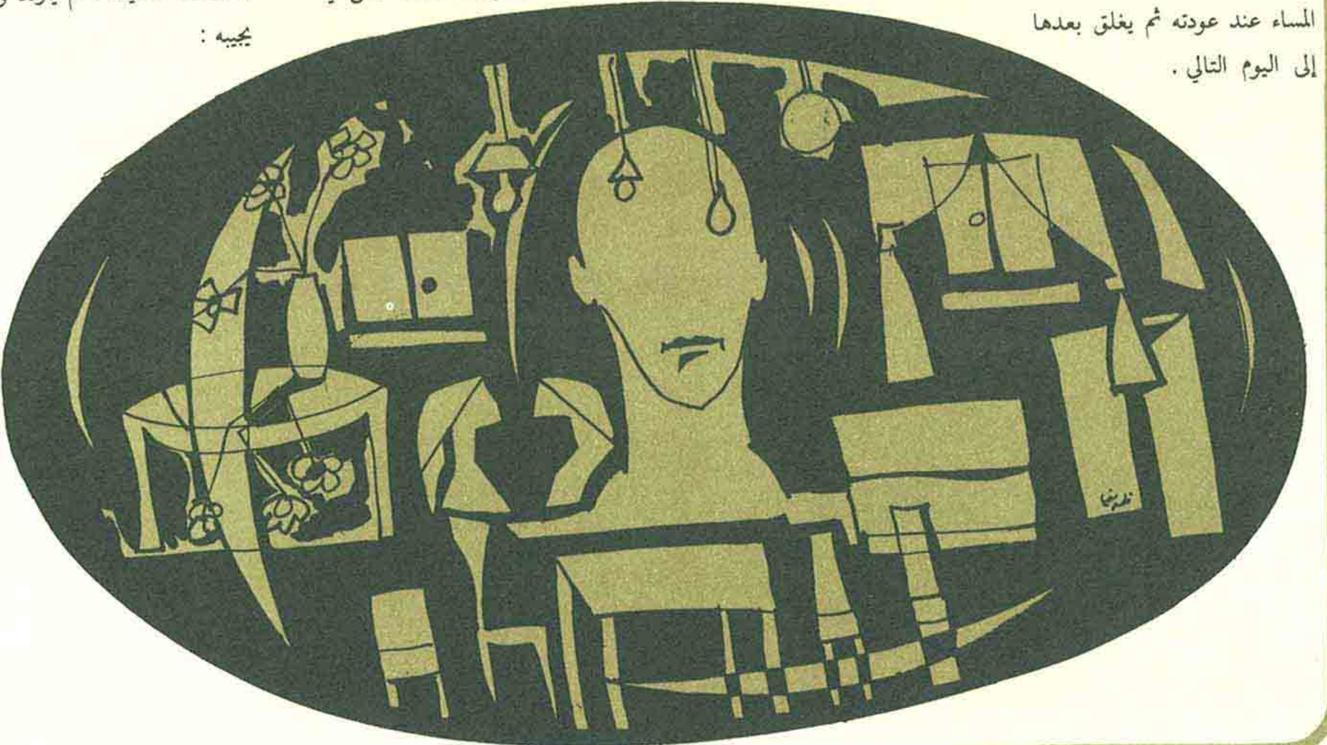
إلى أن جاءت لحظة اكتشف فيها أنها قد تسللت من كل حساباته دون أن يدري.. بدا الموقف غريباً عليه، فاستغرق في الصمت حتى استغرقه. وأخذ يتململ فوق مقعده وهو يجاهد من أجل أن يستجمع أفكاره المتناثرة، التي راحت تتقافز إلى أعماقه في اضطراب.

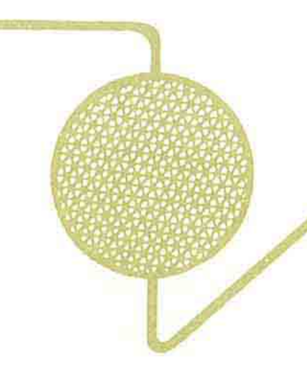
كيف تنقلب لحظات السعادة التي ينتظرها كل أب إلى لحظات ثائرة، تصارع نفسها كما لو كانت تسعى للانتحار كي توقف الزمن.. أو تقتله!

كانت البداية عندما همس في أذنه **الحاج حسين** أقرب أصدقائه، كلمات قليلة اجتاحت كل كيانه وتراقصت نبضات قلبه مع أحرفها:

- يا حاج منتصر.. أريد إحدى كريمتيك لولدي شريف.

أي سعادة هذه.. ها هو القدر يبسط له فجأة كفي الحنان.. خيل إليه أن الحياة تشاركه فرحته، وأن كل شيء من حوله كان يبتهج. **الحاج حسين** رجل له شأنه، وولده شريف شاب تحيط به كل الصفات الحميدة. لم يتردد وهو يجيبه:





ـ يا صديق كيف أتردد .. ولكن أمهلني ثلاثة أيام فقط.

مضى اليوم الأول .. وبدأت الليلة الثانية تتأهب للرحيل ، بينما **الحاج منتصر** غارق في حيرته وهمومه ، حتى اصطدم لأول مرة بالحقيقة الغائبة .

لم يكن الأمر مجرد قرار ، إنه أعمق من ذلك بكثير .

أي من ابنتيه يرشحها .. وأي منها يفضلها لتحقق حلمها قبل الأخرى ؟

إنهما ابنتاه . نفس الحب والمكانة ، ونفس أحاسيس الأبوة . أمور لا تقبل المناقشة كان القرار أصعب بكثير من مواد دستوره الخاص ، أقوى من النوافذ المغلقة والأبواب الموصدة ، أقوى من أحكامه التي لا تقبل المراجعة .

لأول مرة بعد سنوات طويلة يشعر بالتخاذل ، كان إحساسه بالضآلة يشتد ويقوى ، حتى استشعر الجبن يسري في عروقه . وبدت المسؤولية أكبر من أن يتحملها ، وكأنما اكتشف فجأة أنه الحاكم ، والقاضي ، والوكيل .. كان حصاره لهما عنيفاً وعنيداً لا زيارات ولا خروج ، ولا نوافذ مفتوحة .. ولا أشياء كثيرة !

ثم ماذا ؟

تململ مرة أخرى .. يريد أن يحرك ذلك السكون الجاثم فوق صدر المكان .. يريد أن يسمع شيئاً غير نبضات قلبه المضطرب ، تمنى لو استطاع أن يتخذ قراراً يواجه به تلك اللحظة العصيبة وأن يفجرها في أعماق السنوات التي مضت . ولكنها الذكريات التي لا تموت ، والتي أطاحت بما في نفسه من كبرياء ، وألقت به في دوامات عنيفة راح يسترجع من خلالها الأعوام التي غزل منها تلك القيود الحديدية التي كبلت خطى الجميع .

ولكنه الأمل .. أيهما يزفها للسعادة قبل الأخرى ، **فاطمة أم زينب !!**

تارة تقترب صورة **فاطمة** من مخيلته ، فيراها تضم شعرها الفاحم بلون الليل تحت وشاح أبيض ، فيبدو كأنه الأفق السابح في ضباب الفجر .. متحسساً بريق الأمل والحب في عينيها الواسعتين كأنها تضم الكون بما فيه . يراها تنتقل من مكان إلى آخر ، ومن فرحة إلى أخرى ، تسابق الزمن بأحلامها وهي تضم أحفاده في حنان وأمومة .. يراها مبتهجة تستقبل الحب بالحب ، وتسعى بشبابها في قلب الدنيا .

ولكن ! سرعان ما يخبو ذلك الخاطر محطماً فوق صخرة الواقع المرير . فجأة كل شيء يتوقف عند لحظة خاطفة تنقله إلى واقع ابنته الثانية **زينب** فيراها تذرف دموع الوحدة بعد أن تركتها أختها تائهة وحيدة ، لا تدري ماذا تفعل !

ويدور به الأمل من جديد .. وتبدو أمامه **زينب** وهي تغدو بين الأثاث ، تعانق الربيع وتراقص النسمات ، وتحيك سترة جديدة لحفيد آخر ، ثم تنهض لكي تعد الطعام وتستقبل زوجها .

ترقرقت ابتسامة متشائبة على شفتيه عندما طفرت إلى خاطره صورة صغيرها وهو يداعبه ويحاول أن يجذبه من أطراف ملابسه ، حتى ينحني ليقبله .

ولكن .. سرعان ما تذوب الابتسامة ، بل سرعان ما تنتحر فوق شفتيه ، عندما يكتشف فجأة أن ابنته الأولى قد باتت وحيدة ، وحزينة .

ثم ماذا ؟

وجاء **اليوم الثالث** .

بدا الإعياء واضحاً على كيانه كله ، عندما اقترب منه صديقه متسائلاً :

ـ اليوم موعدنا يا حاج .

ـ أي موعد ..؟

قاطعه الرجل بطيبة :

ـ موعد قرارك ... موافقتك على زواج ابني من إحدى بناتك .

ـ ولكنك لم تحدد إحداهما يا حاج .

لم يتمالك الصديق نفسه من الضحك وراح يقهقه بصوت مرتفع .. ثم قال :

ـ وهل كنت رأيت واحدة منها لكي أحدد .. إنني أختار لولدي من بيت طيب .

دارت الدنيا مرة أخرى **بالحاج منتصر** ، وسكن برهة مشدوهاً وكأنه قد تجمد .. وفجأة استجمع شجاعته ليواجه صديقه بقراره .. ثم أجاب :

ـ في الحقيقة ابنتاي ما تزالان صغيرتين ولا أعرف ماذا في بطن المستقبل .

حاول صديقه أن يثنيه عن رأيه بشتى الوسائل ومختلف الأساليب ، ولكن **الحاج منتصر** كان صلداً في قراره حتى بدا كأنه يعلن رفضه لتلك الزيجة بكثير من اللياقة .. وقليل من الاهتمام .

استدار عائداً إلى منزله ، لم يحاول أن يلتفت إلى الوراء ، وكأنه ألقى بقراره ليكون حائلاً بين الماضي والمستقبل .

وهناك اتجه إلى نوافذه المغلقة وفتحها ، وراح يجذب ستائرها الواحدة تلو الأخرى .. ثم ملأ رئتيه من الهواء بقوة واستدار نحو ابنتيه الواجمتين قائلاً في نشوة :

ـ ما رأيكما في زيارة للأقارب .. اليوم .. بل الآن .

التقت نظرة كل منهما بالأخرى دون أن يتفوها بكلمة واحدة .



باثولوجية



الالتهاب الرئوي :

التهاب حاد يصيب أحد فصوص **الرئة** مما يؤدي إلى التهابها وتصلبها وتقليل كفاءتها ، ويرجع السبب في هذا الالتهاب إلى بكتريا كروية الشكل تتكاثر داخل أنسجة الرئة فتؤدي إلى حدوث ارتفاع حاد في درجة الحرارة ـ إلى ما فوق ٤٠ درجة مئوية عادة ـ مع **السعال والبلغم** البني اللون ، وضيق النفس ، وآلام الصدر الحادة بسبب التهاب الغشاء البلوري المحيط بالرئة ، وقد يصاحب هذه الأعراض **فقد للشهية** ، وزيادة إفرازات العرق ، والضعف العام ، وزرقة لون الوجه والأطراف ، وعند تصوير الصدر **بالأشعة السينية** يمكن رؤية الجزء الملتهب والمتصلب من الرئة ، ويتكون العلاج من المضادات الحيوية في جرعات كبيرة على شكل حقن ، والأوكسيجين والتمريض الصحيح ، حتى يستعيد المريض نشاطه وحيويته تدريجياً .



بواسير :

مرض يطلق عليه أحياناً **دوالي المستقيم** ، وهو يصيب **أوردة الغشاء المخاطي** التي توجد في أسفل المصران الغليظ والمستقيم ، حيث تتضخم هذه الأوردة وتمتلئ بالدم وتتدلى نتيجة ضعف بجدارها ، أو نتيجة لزيادة ضغط الدم بها ، **ولم يعرف إلى الآن الأسباب الحقيقية لظهور البواسير** ، ولكن توجد عدة عوامل تساعد على تكوينها مثل **الإمساك** المزمن ، والسمنة ، والكحة المزمنة ، أو ارتفاع ضغط الدم بالدورة البابية نتيجة لتليف الكبد .

وتنقسم البواسير إلى نوعين : داخلية تحدث في الأوردة داخل فتحة الشرج ، وخارجية توجد خارج فتحة الشرج ، وتؤدي البواسير إلى حدوث ألم عند التبرز ، مع حكة في الشرج ، وإمساك مزمن ، وقد تؤدي إلى خروج الدم من منطقة الشرج عند التبرز ، ويؤدي ذلك إلى حدوث فقر الدم ، أما عن علاج البواسير فتتم بعدة طرق أنجحها الجراحة حيث يقوم الجراح بربط واستئصال الأوردة المسببة للبواسير ، أما في الحالات الخفيفة فيمكن علاج البواسير عن طريق حقنها بمادة كاوية تسبب انسدادها واختفاءها ، ويفضل في كل الحالات التخلص من الإمساك الذي يؤدي إلى تفاقم الحالة ، ويكون ذلك باستخدام الملينات ، وبتناول كميات كافية من الألياف التي توجد في الخضار ، وفي الفاكهة .



تصلب الشرايين :

مرض ينتشر بين كبار السن ، وبين الشعوب الجيدة التغذية ، وفي الذكور وفي الأشخاص المصابين بالسمنة وذوي الضغط المرتفع ومرضى الكلى ، كذلك فإن **المرض يصيب أكثر الذين يدخنون ، ويشربون القهوة ، ويحتسون الخمر** ، ولا يعلم أحد على وجه اليقين ماذا يسبب تصلب الشرايين رغم وجود عدة نظريات لذلك ، ويعتقد الأطباء أن المرض يسببه تناول كميات كبيرة من الدهون الحيوانية مثل الزبد والبيض ولحم وشحم الخنزير .

ويصيب تصلب الشرايين صمامات القلب ، أو الأوعية الدموية ، وأول تغير يحدث هو ترسيب طبقة دهنية على سطح الشريان الداخلي مما يسبب تلفاً وتليفاً في بعض أجزائه ، وهذا بدوره يؤدي إلى ترسيب مواد جيرية ، وتكون النتيجة النهائية لهذه العمليات هي ضيق الوعاء المريض ، مما يعوق مرور الدم به ، وقد ينتهي هذا إلى إغلاق الوعاء تماماً ، وفي أحوال أخرى يتسبب بطء مرور الدم به في **إحداث جلطة** بداخله ، تسبب انسداداً مفاجئاً ، وإذا كان تصلب الشرايين شديداً في أحد الشرايين الصغيرة فإن الجلطة التي تتكون تكون من الكبر بحيث تؤدي إلى تقليل كمية الدم التي تستطيع أن تمر عبر الوعاء الدموي ،

وإذا حدث ذلك في شريان يخدم **المخ** فسوف ينتج عنه **شلل نصفي** ، أما إذا حدث في أحد الشرايين التي تمد القلب فإن جزءً من عضلة القلب يموت .

وللوقاية من تصلب الشرايين ، يجب تناول غذاء خفيف قليل الدهن ، حيث تحتوي الدهون الحيوانية على **مادة الكولسترول Cholestrol** ، وهي مادة ترتفع نسبتها في الدم أثناء الإصابة بهذا المرض ، كما **يجب أيضاً تفادي السمنة** . ومن الجدير بالذكر أن **تصلب الشرايين مرض خطير** ، إذ يختار **الشرايين التاجية** التي تغذي عضلة القلب ، أو شرايين الأطراف أو المخ مما يؤثر تأثيراً سيئاً على حالة المريض الصحية .



ثؤلول WART :

نتوء أو ورم صغير ، صلب ، غير سوي ، يظهر على الجلد ، ويعرف **بالسنط**، ويسببه فيروس خاص ، يهاجم طبقات الجلد ويحدث بها تضخماً ، وهو شائع الحدوث في الأطفال ، وفي صغار البالغين ، ومعظم الثآليل تقل في قطرها عن ربع بوصة ، وقد تكون مسطحة أو مرتفعة ، جافة أو رطبة ، كما قد تكون بلون اللحم ، أو بلون أقتم من لون الجلد المحيط بها ، وهي تنشأ غالباً على الأجزاء المكشوفة مثل الأصابع والأيدي ، لكنها تظهر أيضاً على المرفق والوجه وفروة الرأس ، وهناك بعض الأنواع منها تحدث على الأعضاء التناسلية ، كما يظهر بعضها على أخمص القدم ، وفي هذه الحالة إذا كانت صلبة «كاللو» فإنها تسقط بصفة دورية .

وتتكون الثآليل في مدى يتراوح بين شهر وثمانية أشهر من تمكن الفيروس من الجلد ، ويمكن أن تنتشر الثآليل بواسطة الاستحكاك ، أو بالقطوع الصغيرة التي تسببها الموسى أثناء الحلاقة ، **وتعالج الثآليل بالاستئصال الجراحي أو بالكي الكهربي ، أو بالكيميائيات الكاوية أو بالأشعة السينية ، أو بوسائل أخرى يحددها الأطباء .**



الجديري :

مرض يطلق عليه أحياناً اسم **الجدري الكاذب**، وهو من الأمراض المعدية التي **تصيب الأطفال غالباً**، وتتراوح فترة حضانة هذا المرض بين أسبوعين وبين ثلاثة أسابيع ، وتبدأ أعراضه عادة بوعكة خفيفة مع ارتفاع في درجة الحرارة ، ثم يظهر الطفح في اليوم الأول على الجذع على شكل حلمات تتحول بعد ذلك إلى بثرات ، وليس للمرض علاج نوعي أو لقاح واق ، لكنه يهب المريض به حصانة بحيث لا يصاب بهذا المرض مرة أخرى .



الحصبة :

مرض معد ، يكثر انتشاره في فصل الشتاء ، ويحدث في الأطفال عادة ، وتعطي الإصابة به حصانة دائمة ، ويمكن تلافي الإصابة بالحصبة أو تخفيفها إذا أعطي للطفل المصل المضاد للحصبة في الوقت المناسب ، وتتراوح فترة الحضانة لهذا المرض من سبعة إلى أربعة عشر يوماً ، ويتم انتقال العدوى إلى الشخص السليم عن طريق مخالطة المريض ، أو استعمال الأدوات الملوثة بإفرازات المريض ، وتبدأ أعراض المرض بالدور الرشحي ، حيث ترتفع الحرارة ، وتحتقن الملتحمة ، ويتساقط إفراز مائي من الأنف ، ويستمر الحال كذلك نحو ثلاثة أو أربعة أيام ، ثم يظهر الطفح بعد ذلك على شكل بقع حمراء تنتشر على الوجه أولا ، ثم على باقي أجزاء الجسم والأطراف ، ويصحب ظهور الطفح عادة ارتفاع في درجة الحرارة قد تصل إلى ٤٠ درجة مئوية ، ثم تبدأ الحرارة في الهبوط، ويبدأ الطفح في الاختفاء بنفس الترتيب الذي ظهر به ، مبتدئاً بالوجه ومنتهياً بالأطراف ، تاركاً وراءه قشراً خفيفاً يشبه الرِّدة .

ويرجع الخطر في الحصبة إلى مضاعفاتها وأهمها **الالتهاب الشعبي الرئوي ، والتهاب الحنجرة والأذن ، والنزلات المعوية ، والتهاب الملتحمة الصديدي** ، وللوقاية من الحصبة يمنع الاختلاط بالمصابين .



خوف مرضي :

مرض نفسي يحس فيه الإنسان **بخوف شديد مصحوب بالقلق من أشياء ليس من طبيعتها أن تثير الخوف** ، ويرتبط الخوف المرضي عادة بأشياء متعددة كالأماكن العالية أو الضيقة ، أو الظلام أو المرض أو الموت ، وهو ينشأ عن ارتباط مصدر الخوف بالخبرات المؤلمة التي مرَّ بها الإنسان .



الدوسنتاريا الأميبية :

الاسم العلمي للكائن الدقيق الذي يسبب الإصابة بهذا المرض هو **الإنتاميبا هستوليتكا Entamoeba Histolytica** ، وهو كائن يعيش في **الأمعاء الغليظة** ، ويتغذى على البكتريا الموجودة في هذه الأمعاء ، وتؤدي الإنتاميبا هستوليتكا إلى حدوث جروح على جدار الأمعاء ، وقد يؤدي ذلك إلى اختراق جدار الأمعاء ، وخروج البكتريا إلى **الغشاء البريتوني** ، مما يؤدي إلى الإصابة بالتهاب هذا الغشاء ، ويمكن أن تؤدي الإصابة بهذا الكائن إلى هجرته إلى **الكبد** ، ويؤدي إلى حدوث التهاب أميبي في الكبد ، أو حدوث خراج أميبي ، ولا يستبعد احتمال أن تسبب الدوسنتاريا خراجاً في الرئة أو المخ إذا وصلت إليهما الأميبا هستوليتكا .

وللوقاية من هذا المرض يجب تناول الماء المعقم ، مع تجنب شراء أو أكل الخضروات ، وإجراء فحص على البراز بين فترة وأخرى إذا كان ممتزجاً بالدم والمخاط ، أو إذا أحس المريض بقروح في منطقة الإصابة بجدار الأمعاء ، أو بحدوث مغص في إحدى نهايات بطن المريض اليمنى أو اليسرى .



ذبحة صدرية :

مرض سببه حدوث ضيق في مجرى الشرايين التاجية التي توصل الدم إلى عضلة القلب ، ومما يساعد على حدوثه **السمنة ، وارتفاع ضغط الدم ، والتدخين ، والبول السكري ، والزهري** ، وعدم الاستقرار النفسي ، وهو يتميز بألم شديد يتركز تحت عظمة القص وسط الصدر ، أو فوق موضع القلب ، وقد يمتد أحياناً إلى العنق ، والذراع اليسرى للمريض .



روماتيزم القلب :

مرض يعد من أخطر مضاعفات **الحمى الروماتيزمية** كما ينتج من الالتهاب المزمن للوزتين ، حيث تمر الميكروبات من خلال الأنسجة التالفة إلى مجرى الدم ، حيث تنمو على صمامات القلب التالفة ، ولذلك **يجب استئصال اللوزتين إذا كان الالتهاب مزمناً بهما** ، مع تعدد إصابتهما بالتقيح .



زائدة دودية :

زائدة أنبوبية يبلغ طولها ٨ سنتيمترات تقريباً تخرج من **القولون الأعور** ، وتقع في الجهة اليمنى من أسفل البطن ، ويحس بألم عند موضعها إذا التهبت ، وتتقلص آنئذ عضلات البطن ، مع ارتفاع في درجة الحرارة وغثيان وقيء ، ويجب استشارة الطبيب عند أي اشتباه في التهابها .



السكر :

مرض يتميز بعجز الجسم عن الانتفاع بالسكر الذي يمتص من الطعام ، فيطرد في البول ، ولتسهيل مهمة إخراجه تفرز الكلى البول بكثرة ، ولهذا نجد أن من أعراض السكر إفراز كمية كبيرة من البول تحتوي على **سكر الجلوكوز** .

وتكثر الإصابة بهذا المرض بين الشيوخ ، وسبب هذا المرض يرجع إلى **نقص هورمون الأنسولين** الذي يصنع في خلايا **البنكرياس** ، ولكن الملاحظ أن مرض السكر ينتقي عائلات معينة ، ويختار ضحاياه من البدينين .



شلل الأطفال :

يعد شلل الأطفال واحداً من الأمراض الخطيرة التي يصاب بها **الأطفال** ، إذ يكون من الصعب أن يشفى الطفل منه خاصة إذا كانت الإصابة شديدة ، فهذا المرض يترك الطفل مريضاً عاجزاً أو نصف عاجز إلى الأبد ، خصوصاً إذا أهمل ولم يعالج ، فهو يسبب شلل وعجز أحد أو بعض أو كل الأطراف . ومن أهم أعراض هذا المرض أن الطفل يصاب بأعراض مشابهة لأعراض الأنفلونزا ، وتكون عادة مصحوبة بألم في الرقبة ، وفي معظم الأحيان تتصلب الرقبة والظهر ، كما قد يصاب الطفل بقيء وإسهال ، وارتفاع مفاجئ في درجة الحرارة يختفي بالتدريج

خلال ثلاثة أيام ، ثم فجأة وخلال يومين آخرين تظهر أعراض **الطور الشللي** التي تكون عبارة عن آلام بالعضلات ، وشلل تتراوح درجة الإصابة به من إتلاف عدد قليل من الألياف العضلية والأعصاب ، إلى إصابة الجسم كله بالشلل ، ليشمل مراكز التنفس بالدماغ مما يودي بحياة المريض في حالة الإصابة الشديدة ، ومن المعروف أن درجة خطورة الشلل ليس لها علاقة بكيفية علاج المرض عند ظهور أعراضه الأولية ، لكنها تحدث تبعاً لقدرة فيروس المرض على مهاجمة **الخلايا العصبية بالحبل الشوكي** . ومن الجدير بالذكر أن الطفل يولد ولديه مناعة ضد هذا المرض لمدة ثلاثة أشهر ، ويكتسب الطفل هذه المناعة من أمه – عن طريق المشيمة – فإذا حدث وتعرض الطفل للفيروس خلال هذه الفترة ، فإنه قد تظهر عليه أعراض التهاب الجهاز الهضمي لكنه لا يصاب بالشلل ، ثم بعد الثلاثة أشهر يكون الطفل عرضة للإصابة بالشلل إذا هاجمه الفيروس المسبب للمرض ، وللوقاية من ذلك يجب تطعيم الأطفال **باللقاح الخاص بمرض شلل الأطفال** في الأوقات التي يحددها الأطباء ومراكز التطعيم .



صرع :

مرض عصبي مزمن ، ينتج بسبب **ورم بالدماغ** أو أي إصابة وقعت بالدماغ عند الولادة وأثرت عليه بصورة حادة ، أو عقب أمراض جرثومية بالدماغ ، ومن مظاهر هذا المرض حدوث **نوبات تشنجية** ، مصحوبة بفقدان الوعي ، وتلعب الوراثة دوراً كبيراً في هذا المرض ، ويتم علاج هذا المرض باستخدام عقاقير خاصة يحددها الطبيب ، كما تفيد الجراحة في علاج حالات الأورام أو الحالات الناشئة عن الإصابات الناتجة عن هذا المرض .



ضغط الدم :

ضغط الدم هو القوة التي يندفع بها الدم داخل الشرايين ، محدثاً ضغطاً على جدرها يتراوح تقديره العادي بين ١٢٠ : ١٤٠ مليمتراً من الزئبق عند انقباض عضلة القلب و ٨٠ : ٩٠ مليمتراً عند انبساطها ، ويرتفع ضغط الدم مؤقتاً في أثناء المجهود الرياضي أو الذهني ، وبصفة دائمة مرضية في **تصلب الشرايين** ، **وأمراض الكلى** ، ومن أهم أعراض ارتفاع ضغط الدم **الصداع** ، **والدوار** ، **وضعف النظر** ، وقد ينتهي الأمر بضعف القلب ، ويعالج ارتفاع ضغط الدم بالاعتدال في الأكل والعمل واللهو ، كما توجد بعض الوسائل التي تؤدي إلى خفضه كبعض العقاقير ، بالإضافة إلى إنقاص الوزن .



طاعون :

مرض معد ينتشر بصورة وبائية يسببه ميكروب خاص يدعى **باسيل الطاعون** ، وينتقل إلى الإنسان بواسطة **البراغيث** التي تتطفل على الحيوانات القارضة كالفئران ، **وينقسم الطاعون إلى ثلاثة أنواع مختلفة** : الأول ويطلق عليه اسم **الطاعون الدملي** وهو يتميز بالتهاب وتورم في العقد الليمفاوية ، والثاني : **التسممي** وفي هذا النوع تتسرب الميكروبات من الغدد المصابة إلى الدم ، وتحدث في الجسم تسمماً ميكروبياً ، أما النوع الأخير فهو أخطر الأنواع حيث يصيب الرئتين ، وتنتقل عدوى هذا النوع من شخص لآخر عن طريق الرذاذ ، ويؤدي إلى حدوث التهاب رئوي ، ولهذا السبب يطلق عليه اسم **الطاعون الرئوي** ، ولقد عرف الإنسان هذا المرض منذ عهد قديم ، ويمكن الوقاية منه باستخدام المضادات الحيوية ، **ومركبات السلفا** ، كما يجب إبادة الجرذان التي تعتبر المصدر الرئيسي لميكروبات هذا المرض اللعين .



ظاهرة الحمل الكاذب :

حالة تصيب بعض النساء اللاتي لديهن رغبة شديدة في الحمل كالعواقر والمرأة التي اقتربت من **سن اليأس** ، كما يمكن أن تصيب أيضاً بعض البنات اللاتي لديهن خوف شديد من الحمل ، وتؤدي هذه الظاهرة النفسية إلى التأثير على منطقة موجودة بأسفل المخ Hypothalamus فتضطرب وبالتالي تؤدي إلى حدوث اضطرابات في وظيفة **الغدة النخامية** التي تهيمن على جميع غدد الجسم ، وتكون النتيجة هي **انقطاع الدورة الشهرية** ، واضطراب في عمل الأمعاء حيث تنتفخ وتكبر البطن مما يؤدي إلى جعل الأنثى تعتقد أنها حامل ، ويضاف إلى ذلك أن حركة الأمعاء مع كبر البطن يجعل السيدة تظنها حركة للجنين ، وعموماً فإن **ظاهرة الحمل الكاذب يكون مردها إلى ناحية نفسية** كالرغبة الشديدة في الحمل أو الرهبة منه .



عرق النسا :

ألم يمتد على مسار **العصب الوركي** من الالية إلى معصم القدم ، يصاحبه نمل ونخز قد يمنعان المريض من المشي ، كما يحس المريض بألم في الجزء الخلفي من الفخذ والساق ، وقد يكون سببه **الروماتيزم** ، كما قد ينشأ أيضاً عن أسباب أخرى ، منها **انزلاق الغضروف ، أو تضخم البروستاتا** ، أو الأورام التي تضغط على جذر العصب الوركي ، ويختلف العلاج تبعاً لسبب المرض .



غنغرينا :

مرض يحدث نتيجة لموت الأنسجة بسبب انقطاع **الدورة الدموية** عنها ، أو بسبب تأثير سموم بعض الجراثيم ، وهو **يحدث في الأطراف عادة** ، وخاصة في **الساقين** ، وقد يصيب هذا المرض أيضاً الجلد والأعضاء الداخلية ، وهو يؤدي إلى برودة الأنسجة ، وضياع حساسيتها ، وقد يتورم الجزء المصاب ويتعفن ، أو يضمر ويتيبس ، ولذلك تجب إزالته جراحياً في هذه الحالة .



فقر الدم :

يعتبر فقر الدم أو **الأنيميا** من الأمراض الشائعة في الدول التي يعاني مواطنوها من سوء التغذية ، وتوجد أنواع عديدة من هذا المرض تشترك جميعها في نقص معدل كمية **الهيموجلوبين في الدم** ، ويؤدي ذلك إلى نقص في عدد **كرات الدم الحمراء** ، ومن أهم أسباب هذا المرض **نقص الحديد** الذي يدخل في تكوين الهيموجلوبين ، وكذلك **نقص فيتامين ب ١٢ ، وحمض الفوليك في الغذاء** ، أو عدم القدرة على امتصاص فيتامين ب ١٢ من الأمعاء ، وينتشر هذا المرض في النساء أكثر من الرجال ، وذلك لأن حاجة المرأة إلى الحديد من أجل بناء الهيموجلوبين تكون أكثر من حاجة الرجال .

ويقسم الأطباء فقر الدم أو الأنيميا إلى عدة أنواع منها :

(١) أنيميا نزفية وهي تصيب الإنسان نتيجة لحدوث نزيف وفقد الجسم لكمية كبيرة من الهيموجلوبين .

(٢) أنيميا ناتجة عن عجز نخاع العظام عن صنع كرات دموية جديدة لتحل محل الكرات القديمة .

(٣) أنيميا ناتجة عن تكسير الدم ، وتحطم جزء من كرات الدم الحمراء أثناء دورانها في الجسم ، وتكسير الدم هذا شائع في المرضى الذين يعانون من مرض الملاريا .

ومن أهم أعراض فقر الدم **سرعة التعب ، وفقد الشهية ، وتغير لون الجلد** ، وإذا كانت الحالة سيئة فإن المريض يشعر **بخفقان في القلب** أكثر من المعتاد ، حيث يصبح من واجب القلب أن يضخ كميات كافية من الدم الذي أصبح في خفة الماء إلى الأنسجة .



قرحة المعدة والاثني عشر :

مرض يصيب الإنسان في أي سن ، وغالباً ما بين سن الخامسة والعشرين وبين سن الخمسين ، ولا يعرف الطب سبباً معيناً لقرحة المعدة والاثني عشر ، لكن المعروف أن هناك عدة أسباب مهيئة للمرض هي **زيادة الحموضة ، والإجهاد الذهني والنفسي والقلق النفسي ، والاضطراب العصبي** ، كما يلعب الغذاء دوراً فعالا في الإصابة بالقرحة ، خاصة إذا احتوت الأغذية على مواد مهيجة لغشاء المعدة مثل المخللات والمواد الحريفة .

وهناك سبب هام آخر للإصابة بهذه القرحة ، وهي **زيادة إفراز حامض الهيدروكلوريك في المعدة** بكميات أكبر من المعدل الطبيعي ، ويرتبط زيادة هذا الإفراز بالحالة النفسية حيث يرتفع معدل تهيج العصب الحائر المغذي للمعدة .

وأعراض القرحة هي الألم في منطقة المعدة عقب الأكل ، بساعة أو اثنتين ، ويخف هذا الألم عند تناول الطعام ، أو استعمال **بيكربونات الصودا** ، وقد يوقظ الألم المريض من نومه ، حيث تشتد نوبة الألم عندما تكون المعدة فارغة وليس بها من الطعام ما يعادل زيادة الحموضة ، ويتلخص علاج القرحة في مقاومة الحموضة ، إما عن طريق رسم خطة للمريض يتناول فيها وجبات صغيرة متعددة على فترات قصيرة ، وإما باستئصال الجزء المسؤول عن إفراز الحامض من المعدة في حالة سوء الحالة .



حصيات كلوية :

يعد التهاب الكلى أحد العوامل التي تهيئ الطريق لتكوين الحصى ،

حيث تفقد الأغشية المبطنة نعومتها ، مما يسهل ترسيب الأملاح عليها ، كما أن **نقص فيتامين (أ)** له التأثير نفسه ، وكذلك يؤدي اضطراب التمثيل الغذائي إلى حدوث تركيز في الأملاح ، مما يسهل ترسيبها على شكل حصيات ، خصوصاً عندما تكون هناك نواة ترسيب ، مثل بويضات **البلهارسيا** ، أو أي عائق آخر .

وللوقاية الكاملة من الحصيات الكلوية يجب العلاج الكامل من البلهارسيا ، واستعمال مطهرات المجاري البولية ، وتناول كميات كافية من فيتامين (أ) ، وتجنب الإسراف في تناول اللحوم والكبد والقهوة والشاي والشيكولاتة وغيرها من الأغذية الغنية **بقاعدة « البيورين »** التي يتخلف عن هضمها وتمثيلها حامض البوليك .



اللمباجو :

مرض يؤدي إلى التهاب الأغشية التي تحيط **بعضلات الظهر** ، ويتم علاجه باستخدام عقاقير الروماتيزم العادية **كالأسبرين والساليسيلات** ، مع تدفئة الجزء المصاب .



الملاريا :

من الأمراض المعدية يسببه طفيل من الحيوانات الأولية يدعى **بلازموديوم** ، وتقوم أنثى بعوضة **الأنوفيلس** بنقله من المرضى إلى الأصحاء ، وهو يتميز برعشة بردية شديدة ، مصحوبة بارتفاع في درجة الحرارة ، ويعقب ذلك عرق غزير ، ثم تزول الحمى لفترة ، لتستأنف بعد ذلك ، **وتنقسم الملاريا إلى ثلاثة أنواع** تبعاً للفترة التي تستغرقها نوباتها **فهي قد تكون ثلاثية أو رباعية أو لا قاعدة** لعدد وميقات نوباتها ، وهذا النوع الأخير من أخطر الأنواع نظراً لما يترتب عليه من مضاعفات خطيرة ، وللوقاية من هذا المرض يجب التخلص من البعوض عن طريق ردم البرك والمستنقعات التي يتكاثر فيها ، أو عن طريق المبيدات الحشرية .



النقرس :

مرض يطلق عليه أيضاً اسم **(داء الملوك)** ويعزى ذلك إلى أن من أسبابه الإفراط في تناول الأطعمة المحتوية على نسبة عالية من البيورين ، مثل اللحم والسمك ، فتزداد نسبة حامض اليوريك في الدم ، وتترسب أملاحه في جهات متعددة بالجسم ، وبخاصة حول المفاصل وغضاريف الأذن .

ومن أهم أعراض هذا المرض شعور المريض بألم شديد حاد ، يكون مصحوباً بتورم في أحد مفاصل الجسم ـ غالباً مفصل إبهام القدم ـ ويكون أيضاً مصحوباً بارتفاع في درجة الحرارة ورعشة .

وتلعب **الوراثة** دوراً في تهيئة أسباب هذا المرض الذي يختص الرجال بنسبة عالية من إصاباته ، والأغذية البيورينية والخمور من أقوى عوامل إحداث هذا المرض ، **ومن النادر أن يصيب هذا المرض نحيفاً** ، فهو يفضل البدينين دائماً ، ولذلك يجب أن ينقص وزن المريض إلى الوزن الطبيعي له ، كما يجب أن يخلو غذاء المريض من **المواد البيورينية** بقدر الإمكان ، كما يجب **الامتناع عن القهوة والشاي والكاكاو والخمور** ، مع استخدام العقاقير الطبية التي ينصح بها الطبيب .



هستريا :

مرض نفسي ينشأ نتيجة للصراع والكبت ، ومن أهم مظاهره اختلال وظائف الحواس أو اضطرابها ، مثل **العمى الهستيري** ، واضطراب الوظائف الحركية مثل الشلل والرعشة ، واحتباس الكلام ، وفقدان الذاكرة ، والمشي أثناء النوم ، واضطرابات القلب والمعدة ، ويتم معالجة المريض بالتحليل النفسي ، وإعادة بناء شخصيته .



وجع الأسنان :

هو الألم الذي يحسه الإنسان في مكان الأسنان والذي يكون نتيجة لتسوسها ، أو لتآكل عاجها ، أو نتيجة لأمراض اللثة أو التهابها ، أو لوجود خراج عند جذر السن .



اليرقان :

اصفرار يحدث في جلد المريض وبياض عينيه ، وقد يشمل أيضاً إفرازاته وأنسجة جسمه ، وهو يكون نتيجة لوجود **أصباغ الصفراء في الدم** بكثرة ، والتي تأتي نتيجة **لتكسير كرات الدم الحمراء** ، أو حدوث انسداد في **قناة الصفراء** ، أو التهاب في الكبد .



شعر : عبد الرحمن صالح العشماوي

أعيذكِ بالرَّحمن أن تَقصدي الغدرا … وأن تحملي من أجل أوهامكِ الوزرا

وأن تئدي حباً ، بعثناه بعد ما … طواه النوى حيناً ، وأذبله دهرا

لقد كنتُ في ليل من الحزن مُعتم … فأحسستُ أني قد لقيتُ بكِ الفجرا

أكتِّم في قلبي مشاعرَ لهفة … أداري بها شوقي وأنت بها أدرىٰ

وإحساس نفس آمنتْ أنَّ حبها … سيدفعها أن تقطع البرَّ والبحرا

★ ★ ★

أتدرين .. ما سرُّ اشتياقي وما كوىٰ … فؤاديَ حتى صار يحتقر الجمرا ؟

وما هزَّني ..حتى رأيتُ مشاعري … تفيض ، وحتى صرتُ أستسهل الوعْرا ؟

أتدرين .. ما معنى حنيني ولهفتي … وكيف أحَلْتُ الحبَّ في خاطري شعرا ؟

وما زادني في هجعة الليل وحشةٌ … وكنتُ أرى فيها سعادتي الكبرىٰ ؟

هو الحبُّ .. لو تدرين .. يُذكي مشاعري … ويرسم في عينيكِ لي صورة أخرىٰ

مَدَدْتُ إلى كفّيكِ كفيَّ فارحمي … وإني لأخشى أن تعيديهما صفرا

ولو أنني أستطيعُ ـ يا سرَّ لوعتي ـ … وضعتُك في عين ، وسلَّمتُك الأخرىٰ

أيبخلُ .. مَنْ في قلبه وزنُ ذرَّة … من الحبِّ .. أو ينوي لصاحبه هَجْرا ؟

أميرة قلبي .. لا تلومي مشاعري … فقد عجزتْ ـ والله ـ أن تجد الصبّْرا

ولا تتركيني في ظلام مخاوفي … أجرُّ رداءَ الوهْم في دربها جرًّا

ولا تعجبي من لهفتي وتحرُّقي … فأنتِ التي أشعَلْتِ في قلبيَ الجمرا

مخاوفُ قلب يعلم اللهُّ سرَّه … نثرْتِ به ـ من حيث لم تشعري ـ ذعرا

لصوتك سرٌ حاول القلبُ كشفَه … فلم يستطع قلبي ... بأن يكشف السرَّا

أقمتُ على أرض العفاف محبتي … فما أبتغي غَدْراً وما أرتضي نكْرا

أردتُ وفاءً حين أبديتُ لوعتي … ويُسْراً ، وأخشى أن تريدي بي العُسْرا

أعيدي إلى قلبي الهدوءَ ببسمةٍ … تُشيْعُ الرضى في خاطري تشرح الصدْرا



العيادة النفسية والاجتماعية

أصدقائي .. يزدرونني

● القارئ (ل . ن . ب) من الجزائر يشكو من معاملة أصدقائه السيئة رغم تودده إليهم .. في مجالسهم يوبخونه ويسخرون منه بصورة عدوانية .. ولم يجد منهم من يقف معه ، بصورة جعلته ينطوي على نفسه ويشعر بأنه عبارة عن ناقة جرباء ـ حسب تعبيره ـ فقاده ذلك إلى السرحان والخوف من الكلام ، وأصبح يشعر نحو نفسه بالاحتقار .. وتمر به حالات هستيريا .

ويقول : إن أصدقاءه يتوددون إلى من يسيء إليهم بالقول والعمل ، مع أنه يتسامح معهم على حساب نفسه .. وقد حاول أن يغيِّر تعامله معهم فيعاملهم بنفس أسلوبهم إلا أن ذلك لم يزدهم إلا نفوراً وغلواً في معاملتهم السيئة له .

ويذكر أن أهله وأقاربه يحترمونه كثيراً إلى حد أنهم يسكتون عندما يتحدث ، لكنه يشعر أن هذا الاحترام زائد عن الحد فزاد شعوره بالعزلة .. ولا يشعر بالراحة النفسية إلا عند الصلاة وسماع الأذان ، ويذكر أنه ما زال طالباً .

●● من الخير لك بادئ ذي بدء الابتعاد عن هؤلاء الأصدقاء بقدر الإمكان وإشغال أوقات فراغك بما يفيدك كالقراءة في الكتب والدراسات الإسلامية .. وهذا لا يعني الانعزال عن الناس ، ولكن الابتعاد عن هذا النوع من الأصدقاء يوفِّر لك الراحة النفسية .

أما علاقتك بأهلك وأقاربك فيجب إعادة النظر فيها ، ومحاولة رفع ما يضايقك نتيجة احترامهم الزائد عن الحد .. ويبدو لنا أن موقف أهلك وأقاربك ناتج عن مواقفك معهم ، فلو تلطفت معهم وعاملت الكبير معاملة التقدير والاحترام ، والصغير معاملة الود والرحمة لوجدت من الجميع معاملة لا تضايقك .. فالحياة فعل ورد فعل ، وبقدر ما تعامل الآخرين ـ ناهيك عن أهلك ـ بقدر ما تحدد نوعية العلاقة التي ترتاح إليها .

كما يبدو لنا من معاملة أصدقائك لك أنك تتبسط معهم إلى حد يخرجك عن الحدود الطبيعية .. وهذا يدفعهم إلى الخروج عن حدود التعامل المنشود .

ونوعية العلاقة مع الأهل والأصدقاء تتحدد من البداية ، فإذا بدأت هذه العلاقة بالسخرية والاستهتار والخروج عن ما تعارف عليه الناس فإن السلوك العام الذي سوف يصبغ العلاقة في المستقبل لن يخرج عن هذه البداية .

حاول أن تكون إنساناً طبيعياً .. وأن لا تعتدي على حقوق الآخرين ومشاعرهم لتحافظ على حقوقك ومشاعرك .. ولا تنس أن من كثر هزله قل احترامه .

والعلاقات البشرية مثلها مثل الشعرة إن شددتها انقطعت ، وإن أرخيتها فلت الزمام من يديك .. ودورك هو في الإبقاء على هذه الشعرة بينك وبين أهلك وأصدقائك .

وحاول الاهتمام بدراستك لتتفوق على أقرانك ، وهذا التفوق سوف يفرض عليهم احترامك ، وسوف تتغير سخريتهم إلى تقدير وإكبار .. مع دعائنا لك بالتوفيق .



عقدة الخجل

● القارئ (الزاوي علي) من قسنطينة بالجزائر يشكو الخجل الذي يسيطر عليه إلى حد أصبح يشكل عقدة تنغص عليه حياته .. وهذا الخجل الذي تمكن منه منذ خمسة أعوام حين كان عمره ١٨ سنة ليس وليد عاهة أو أي سبب من الأسباب المعقولة .. وفي الماضي لم يكن خجولا .. ثم يسأل كيف يستطيع التخلص من عقدة « الخجل » هذه .. وهل يمكن أن تعود إليه طبيعته الأولى ؟ .

●● من أجل أن نزرع وردة في جفاف صحراء النفس .. ونرسم فجراً مشرقاً في مواجهة الظلمة والعتمة الداخلية والخارجية .. و نمد جسوراً من الآمال أمام النفوس المحبطة والمتشائمة والمعقدة اجتماعياً ونفسياً .

من أجل كل هذه الأهداف والمعاني الإنسانية النبيلة تطل مجلة «الفيصل» من خلال هذه النافذة «العيادة النفسية والاجتماعية» على قرائها أملاً في الإسهام بإيجاد الحلول الصادقة المخلصة لكل صاحب مشكلة نفسية أو اجتماعية والله الموفق .

●● المعروف أن لكل عقدة أو مشكلة سبب معقول .. أما في حالتك فأنت لم تذكر سبباً لعقدة الخجل التي بدأت معك حين بلغت الثامنة عشرة من عمرك .

والخجل في حد ذاته ليس عيباً إذا كان في الحدود المتعارف عليها ، بل يعد محبباً في المواقف التي تدعو إلى الخجل ، وصفة حميدة يوصف بها البعض .

وكان بودنا أن تورد لنا موقفاً معيناً من المواقف الذي يعتريك فيها الخجل .

كل ما نستطيع أن نقوله إنك إنسان طبيعي .. وإن القضية تتوقف على تقديرك للموقف وتصرفك نحوه .

ويبدو لنا أنك مرهف الحس بصورة حادة . تنعكس على قدرتك في تقييم الأمور فتتصور أموراً ليس لها وجود .

ثق تماماً أنك لا تشكو من شيء . وكل ما يلزمك هو مزيد من الثقة بالنفس ، وإعطاء الأمور أحجامها الطبيعية .

حاول أن يكون لك أصدقاؤك الذين تثق بهم وترتاح إليهم وتبادلهم الآراء ، وتشترك في المناقشات ، والاختلاط بالأشخاص الذين تستطيع أن تتبادل معهم الآراء المفيدة .

وحاول تجنب المواقف المخجلة أو التي لا ترتاح لها ، لأن الإنسان عادة يشعر بالحرج الذي يقود إلى الخجل في بعض المواقف التي ينظر إليها الآخرون بشيء من الريبة .. ولا تجعل شعورك بالخجل غير المنطقي يسيطر على حياتك .. ولا تكثر من تأنيب نفسك في كل شيء .

وحاول أن تشترك في أحد الأندية الرياضية ، والندوات والنشاطات الثقافية والاجتماعية .. وممارسة بعض التمرينات الرياضية لأنها تساعد على تقوية البدن والنفس فتشعر بالارتياح الذي يساعدك على تنمية ثقتك بنفسك .. والثقة بالنفس من أهم صفات الناجحين .



الفقر ليس عيباً

● القارئ (ع . ح . م) من الصومال ، يقول إنه يعاني من ضيق وأرق وهبوط . ومما ذكره أن أسرته فقيرة ، ولا يستطيع بسبب ذلك أن يأخذ وضعاً محترماً بين الناس .

●● نشعر من رسالتك أنك تخجل لفقرك ، وتعتقد أن السعادة تأتيك إذا جاء المال .. هذا تفكير خاطئ . وإذا كنت تخجل من نظرات الناس وتعليقاتهم فلن تشعر بالسعادة يوماً من الأيام . فإذا ربط الإنسان سعادته بما يقوله الناس يعيش بائساً . فالناس ينتقدون سواء أحسن الإنسان أو أخطأ . وما يجب أن يعنينا من كلام الناس هو ما يوجهنا إلى نواحي قصور فينا بحيث يمكن أن نتلافاها . وليس هذا كلاماً نظرياً . فإذا نظرت حولك تجد من هو أفقر منك ولا يخجل مثلك .

لقد رأينا من لا يجدون ما ينفقون فيه مالهم من كثرته ، ومع ذلك فهم أتعس الناس . ونرى من يملكون أقل القليل ولكن يرفلون بالسعادة والرضى والقناعة .

إن نظرة الإنسان للأمور هي التي تحدد مدى حسنها وسوئها . فعليك أن تسعى لتغيير داخلك وتعديل نظرتك لنفسك وللآخرين ، وهذه ليست دعوة للتقاعس عن السعي للرزق ، إنما نسأل عن القناعة مع الجهد والبذل ، والأرزاق بيد الله .. يجب أن تعرف أن النعم لا تدوم مثلها مثل الفاقة .. ودوام الحال من المحال .. والله بصير بعباده .

رسالة من قارئ

أكتب إليكم لأخبركم أن زرعكم نما وترعرع ، وفجركم أشرق وسطع ، وجسوركم مدت وحققت أهدافها .

إني أخط هذه الرسالة لأعترف لكم بالجميل الذي أسديتموه لي بنصحكم لي من خلال رسالتي التي نشرتموها في العدد (٩٠) ، حيث عثرت على ضالتي التي طالما حيرتني ، وهديتموني إلى طريق النوم والراحة والهدوء .. جزاكم الله كل خير عما تقدمونه لقرّاء مجلتكم من خدمات إنسانية من خلال باب «العيادة النفسية والاجتماعية» .

القارئ
(أ . س . أ .)
مصر ـ بني سويف

مناقشات

و تعليقات

حول ديوان (أهازيج)

اطلعت على ما كتب في مجلة (**الفيصل**) بعددها رقم (٨٨) الصادر في شوال ١٤٠٤ هـ، تموز (يوليو) ١٩٨٤ م، وبالصفحة الثالثة والستين على وجه التحديد عن ديوان والدي الشاعر الراحل **محمد إبراهيم جدع** رحمه الله، وهو الديوان الثالث للشاعر رحمه الله، وله قصة يعرفها نفر غير قليل من قرائه ومحبيه وصحابه.. ويبدو أن الأخ الناقد لم يقرأ **الإلياذة الإسلامية الجديدة**، وهي الديوان الثاني الذي قدمه للقراء.. وتحدث فيه عن الأيام الخالدة في حياة الرسول صلوات الله عليه، والجوانب الكبرى العظيمة من مواقفه وأعماله وانتصاراته، تلك الإلياذة التي سبقت إلياذة الشاعر الكبير **أحمد محرم** في سبق الطبع، ونال الشاعر عنها تقديراً في **مؤتمر الأدباء المنعقد في جامعة الملك عبد العزيز بجدة**.. ولم يقرأ رأي الدكتور الناقد العربي المعروف **محمد عبد المنعم خفاجي** فيها وفي الشاعر.. أو رأي الكاتب **محمد فكري أبو النصر**.

كما يبدو أنه لم يقرأ أيضاً الديوان الأول (**وحي الشاطئ**) الذي صدر منذ ثلاثين عاماً مضت.. ولم يقرأ ما قوبل به من زملائه من أدباء الرعيل الأول الذين يعرفونه جيداً كشاعر متمكن.

أما الديوان الثالث (**أهازيج**) الذي نشرت عنه المجلة، فله قصة لا أريد الإسهاب فيها على القارئ.. ولكنه كان مع ديوانين آخرين هما: (**نبع الصفا**)، و(**نداء الحب**).. كانت مخطوطة منذ عام ١٣٩٦ هـ.. وقد عانى رحمه الله في طباعتها معاناة أقرانه من الأدباء الأوائل مع حركة النشر والتوزيع وقتها التي كانت تحبو حبواً حتى زمن غير بعيد عنا.. لقد دفع بالدواوين إلى **نادي جدة الأدبي** وقتها وشغله المرض الذي ألمَّ به ونال منه الكثير، فتعطلت حينذاك.. وكان ممن ساهم في سحبها وتقديمها إلى **نادي الطائف الأدبي** الأخ الصديق القاص **سباعي عثمان** عندما كان مديراً لتحرير (**عكاظ**) الجريدة آنذاك، حيث مكثت أيضاً فترة انقطعت أخبارها، ولكن القدر لم يمهل الشاعر فانتقل إلى جوار ربه عام ١٣٩٨ هـ، وصدر الديوان الثالث (**أهازيج**) بعد وفاته، وطبع في منطقة غير منطقته.. وفي ظروف مرضه.. وبالطبع لم تراجع (بروفاته) أو تطابق.. ولا أريد أن أتهم أحداً فيما ظهر من أخطاء به، ولكن انتقاله ورحلته مع الديوانين الآخرين من مدينة لأخرى.. ومن درج لآخر، ثم نسخ على الآلة، لا شك أنه أثّر كثيراً.. وليس ذلك بغريب أن يجد الكاتب خطأ رفع كلمة (يوم) في البيت:

لما ضرت النكسات (يوماً) ودينُنا
سلاح بأيدينا وعون لمفتد

وهو من قصيدة (**صراع الحق**) وقد صوب هذا الخطأ في مجموعة الشاعر الشعرية الكاملة التي صدرت هذا العام عن نادي جدة الأدبي.. وهي بالصفحة ٣٢٤ وله أن يراجعها.

ومن حيث التساؤل المطروح من الكاتب: لماذا الجزم أو النصب في الفعل (تبغي) المخاطب به فلسطين العزيزة؟.

حيث قال:

مهلاً فلسطين العزيزة لا يضج بك السؤال
(تبغي) الجواب من العزائم لا من القول المحال

فإننا نقول.. نعم لقد جزم الفعل بحذف النون لأن (تبغي) من الأفعال الخمسة، ولماذا جزم أو نصب بأداة منها، فإنه مما يجوز للشاعر، ولنا في بيت الشاعر الجاهلي المعروف صاحب المعلقات مثل صارخ حيث قال:

خلا لك الجو فبيضي وأسفري
ونقري ما شئت أن تنقري

قد رفع القيد لماذا (تحذري).

وصوابها تحذرين.. وهو مستخدم في الشعر العربي.

هذا وقد حكم الكاتب على قصيدة «فلسطين» أحكاماً عامة، وقطع بعدم مناسبة القوافي دون تعليل.. ثم شوه فيما شوه ما نقله منها في كتابته حيث قدم وأخر.

أما باقي الملاحظات.. فليعد الكاتب إلى المجموعة الكاملة.. ثم إلى ما ذكرت عن ظروف ديوان «أهازيج».

ولعلنا بعد هذه اللمحة التي سقتها في عجالة عن شيء مما خفي على الكاتب عن الشاعر الراحل.. ولعلنا لا نطلب صعباً حين ندعوه إلى قراءة المجموعة الشعرية الكاملة للشاعر الراحل في روية وأناة وتؤدة.

وإني ما كنت أود أن أكتب عن والدي رحمه الله.. فأنا دونه بكثير.. ودون أن أتمكن من الحديث عنه.. أما وقد كتبت الآن ما كتبت، فما هي إلا لمحة فقط للإيضاح.. وأترك من شاء أن يكتب من زملائه الأدباء والشعراء الذين يعرفونه حق المعرفة.

عبد الإله محمد جدع ـ جدة



مناقشات و تعليقات

« امرأة تتولى الحكم في اليمن »

معرفتي بالقاضي الأستاذ « **إسماعيل الأكوع** » اليمني تعود إلى عامين . في خلالها تمّت بيننا عدة اتصالات ، ومراسلات بريدية ، وعندما أشهد بإخلاصه وسعة علمه ورغبته بالإفادة والاستفادة فأكون قد أدّيت قسطاً ممّا عليَّ من ديون وواجبات نحو رجل من رجالات العلم والمعرفة .

أما الأديبة الباحثة الدكتورة « **فضيلة عبد الأمير الشامي** » العراقية فمعرفتي بها تعود إلى ما يقرب من السبعة أعوام ، عندما كانت في صدد إعداد أطروحتها للدكتوراه في **جامعة عين شمس** عن موضوع « **القرامطة** » . في ذلك الوقت قرأت لها ، فعرفت أنها باحثة ذات ضمير حي ، ويهمها إظهار الحقائق التاريخية المجردة ، والحصول على حرية الكلام والاعتقاد دون قيد أو شرط .

هذه الكلمة كان لا بد منها قبل الدخول في صلب الموضوع ، ومناقشة كلمة القاضي الأكوع الذي نشرها في مجلة « **الفيصل** » بالعدد (٨٨) الصادر في شهر تموز (يوليو) سنة ١٩٨٤ م ، رداً على مقالة الدكتورة فضيلة عن « **أروى الصليحي** » ملكة اليمن المنشورة في مجلة « **المورد** » العراقية . ولـمّا كانت هناك حقائق تاريخية جديرة بالبيان والتوضيح ، وموضوع مهم من تاريخنا العربي . . . جئت متطوعاً لجلاء الغموض ، وكلي يقين بأن الأستاذ الأكوع سيعذرني ، وهكذا الدكتورة فضيلة .

(١) أجل . . . ليعذرني الأستاذ الأكوع ، إذا ما قلت له بصراحة : إني أخالفه فيا ذهب إليه حول ملكة اليمن الصليحية ، والتسمية التي أطلقها عليها . . . فكلمة « **سيدة** » معرّاة من أل التعريف لا يمكن أن تكون اسماً عربياً له معنى ، كما لا يمكن القبول به أو الاعتراف به ، بالرغم من وروده في **كتاب** « **عيون الأخبار** » و « **نزهة الأفكار** » **لإدريس عماد الدين** .

نحن نعلم ونؤكد : بأن لقب « **السيدة الحرة** » كان يطلق على النساء الصليحيات المتزوجات من الملوك وهن : **أسماء بنت شهاب** زوجة الملك علي الصليحي ، **وأروى بنت أحمد الصليحي** زوجة الملك المكرّم . . . أما استناد الأستاذ الأكوع على المؤرخين الآخرين الذين جاءوا بعد **إدريس عماد الدين** فهؤلاء قلدوا ونقلوا وأخذوا التسمية عن المصدر الأول دون معرفة أو تدقيق ، لهذا لا يصح الاعتماد عليهم ، أو الركون إلى ما كتبوه ، وكان على الأستاذ الأكوع أن يعلم ، بأن إدريس عماد الدين ليس هو مؤرخ الإسماعيلية الأوحد ، فللإسماعيلية مؤرخين آخرين ضربوا بسهم وافر في هذا المجال ، واستحقوا التقدير ، وكانوا أكثر دقة ومعرفة واطلاعاً . . . وإني لا أذهب بعيداً عندما أذكر : أن أحد مؤرخي الإسماعيليين النزاريين وهو « **نور الدين أحمد** » الذي عاش في قلاع الدعوة ببلاد الشام في القرن السابع للهجرة أورد في كتابه « **فصول وأخبار** » (صفحة ١٠٧) اسم ملكة أروى . . . وجاء بعده « **قيس الداديخي** » من القرن الثامن للهجرة في كتابه « الجامع » (صفحة ٥٧) فذكر اسم الملكة أروى الصليحي باعتبارها كانت تميل إلى النزارية . وإني لا أدري ماذا أقول بعد ذلك ؟ خاصة وكان المرحوم **الدكتور حسين همذاني** اليمني وولده الدكتور عبّاس الذي يدرّس اليوم التاريخ الإسلامي في إحدى جامعات الولايات المتحدة الأميركية قد ذكرا لي أكثر من مرة بأن « السيدة الحرة » لم يكن اسماً وإنما هو لقب منحه للملكة أسماء ولأروى الخليفة الفاطمي الإمام **المستنصر بالله** ، ولا شك أنهما كانا يدعمان أقوالهما ويسندانها إلى مصادر عديدة ممّا في مكتبتهما الغنية التي تعتبر أضخم مكتبة إسماعيلية خاصة ، وهذه المكتبة ورثاها من والدهما الشيخ الجليل « **فيض الله همذاني** » الذي يتحدر من أعرق أسرة يمنية .

(٢) إني أؤيد أيضاً ما ذهبت إليه الدكتورة فضيلة : بأن الملكة أروى كانت هي الحاكمة في حياة زوجها ، وهذا يدل على قوة شخصيتها . وقد تجلى كل هذا عندما كان زوجها الملك المكرّم يذهب إلى الحرب والفتح فكثيراً ما كان يوكل إليها أمر إدارة شؤون البلاد ، ومعنى هذا أن نشاطها السياسي وولعها بالحكم كان قديماً ، أما قوة شخصيتها فليست موضع نقاش ، ويكفي أن نذكر : أن **الملك علي الصليحي** أوصى زوجته أسماء بالحفاظ عليها ورعايتها عندما جاءت بها وهي صغيرة ووضعتها تحت كنفها بقوله : « أكرميها فهي والله كافلة ذرارينا ، وحافظة هذا الأمر على من بقيَ منّا » .

هذا ويجب أن لا ننسى أنها رفضت أوامر خليفة مصر الإمام المستنصر بالله الفاطمي عندما كتب إليها طالباً منها الزواج من **الأمير سبأ** الذي كان ينازعها الملك ، وذلك حفاظاً على وحدة الدولة . . . ويومها قالت كلمتها المشهورة : ليس للخليفة الحق بالتدخل في شؤوني الخاصة . . . ويقول **عمارة اليمني** :

إن الملك المكرّم عندما ماتت والدته « **أسماء بنت شهاب** » فوّض الأمر لزوجته أروى فقامت بالأمر وحدها واستعفته في نفسها وقالت : « إن المرأة التي تراد للفراش لا تصلح لتدبير أمر . . . فدعني وما أنا بصدده » .

(٣) لا يسعني هنا إلا تأييد ما ذكره الأستاذ الأكوع بالنسبة

مناقشات وتعليقات

للداعي « الزواحي » . . . فهو **سليمان بن عبد الله بن عامر الزواحي** . وهو أيضاً الداعي المطلق الثامن للإسماعيلية في اليمن . وهذه أسماء الدعاة الذين سبقوه وتعاقبوا على رئاسة الدعوة بعد منصور اليمن :

١ ــ عبد الله بن عبّاس الشاوري .

٢ ــ يوسف بن موسى بن طفيل .

٣ ــ جعفر بن أحمد بن عبّاس .

٤ ــ عبد الله بن محمد بن بشر .

٥ ــ محمد بن أحمد بن العبّاس .

٦ ــ هرون بن محمد بن رحيم .

٧ ــ يوسف بن أحمد بن الأشبح .

هذا ، وتتفق المصادر التاريخية بأن سليمان هذا كان صديقاً حميماً **للقاضي محمد الصليحي** الذي كان مسلماً سنياً شافعياً ، وبحكم زياراته المتكررة تمكن من التأثير على ولده « علي » ومازال به حتى أدخله في دعوته وعلّمه وأخيراً أوصى له بخلافته وبثروته ، ومن الجدير بالذكر أنه بعد وفاة سليمان تزوج ولده عامر من « **الرواح بنت الفارع بن موسى الصليحي** » وهي أم أروى ، وكانت قد فقدت زوجها أحمد الصليحي الذي مات بحادث مفاجئ ، فأصبح ابنه **سليمان بن عامر** أخ أروى من أمها ، وهذا القائد لعب دوراً بارزاً في حروب الصليحيين وأبلى بلاء حسناً ضد العصاة وخاصة الأحباش .

٤ ــ وعندما ننتقل إلى الحديث عن صفات الملك المكرّم وأخلاقه نقول :

إنه اشتهر بالشجاعة والصبر وكرم الأخلاق والتسامح وعلو الهمة ، وكان فارساً شجاعاً عالي الهمة . . فعندما تم له تخليص والدته من أسر الأحباش أذاع أمراً على جيشه بأن لا يتعرض أحدهم إلى حريم « **النجاحيين** » الأحباش ، وأطلق كل من وقع منهم في أيدي الجند ، وعُرف بأنه كان يعفو عند المقدرة ويسامح المغلوبين . منحه الخليفة الفاطمي المستنصر بالله لقب « **ذو السيفين** » و « **داعي السيف** » ، وذكر بأنه لم يكن في زمانه من يستطيع حمل رمحه وسيفه وقوسه .

من هنا يمكن القول : إنه كان له من المزايا والصفات ما يفوق الوصف . . . أما والده الملك علي فكان يتفوق على ابنه بأنه : مؤسس دولة ومرسي قواعدها في أرض خراب . ويذكر عمارة اليمني عنه : « بأن هذا الأمر لم يعهد في جاهلية ولا في إسلام » . وقال **العرشي** في كتابه « **بلوغ المرام** » :

« ولم يقع لأحد فيمن ملك اليمن ما وقع لعلي الصليحي ، فإنه استولى على اليمن سهله وجبله ، شماله وجنوبه ، شرقه وغربه في مدة يسيرة » .

أخيراً : لا بد من توضيح النقاط التالية :

●● أن الملكة أروى ولدت من الذكور : **علي ومحمد** . . . وقد مات محمد ثم أعقبه علي أخيراً . أمّا من الإناث فقد ولد لها **فاطمة ، وأم همذان** ، فأم همذان تزوجت من ابن خالها **أحمد بن سليمان بن عامر بن سليمان الزواحي** ، فرزقت منه بعبد المستعلي ، وأما فاطمة فتزوجت من شمس المعالي علي بن سبأ بن أحمد الصليحي .

●● من المعلوم أن الملكة أروى كانت تلقب « **ببلقيس الصغرى** » ، وأنها هي التي أشارت إلى زوجها بعمارة « قصر العز » في ذي جبلة وتحويلها إلى عاصمة لعموم اليمن بدلا عن صنعاء .

●● ماتت أروى في **ذي جبلة** ، ودفنت فيها بقرب جامع كانت قد أعدته خصيصاً ، وقبرها في الركن الشمالي ، وليس في جامع صنعاء الموسوم باسمها كما ذكر بعضهم .

●● أما الملكة أسماء بنت شهاب فقد ماتت بصنعاء ودفنت فيها .

●● وأما ما يقال عن رأسي الملك علي وأخيه عبد الله ، فالآراء متضاربة والأرجح أن المكرم قد دفنهما في صنعاء مع الجسدين في موقع قريب من يمين الجبانة العامة .

●● في نهاية المطاف لا بد من القول : إن سياسة الملك علي بالنسبة لأمراء اليمن ، فكانت تقضي بعزلهم وإبعادهم عن مناطقهم وإلزامهم بالسكن معه وتحت نظره ، بعد أن يولي على حصونهم قواداً من قبله ، وقد سار الملك المكرم على هذه السياسة ، يدلنا على ذلك أن الملك علي الزم هؤلاء الأمراء بالذهاب إلى الحج قبله وفي تلك الرحلة قتل هو ومن كان معه من قبل الأحباش « النجاحيين » .

●● أخالف الدكتورة فضيلة بإطلاقها كلمة « **الزبيديين** » على الرجال الذين قتلوا الملك علي الصليحي ، ولا بد من التوضيح بأن الذين ارتكبوا جريمة القتل هم الأحباش التابعين للنجاحيين ولبني الأحول ، وليسوا الزبيديين سكان زُبيد .

د . عارف تامر

سلمية ــ سورية



مع الأصدقاء

عتاب الأصدقاء

إليكم بعض الاقتراحات التي أرجو تداركها .. أو زيادة موضوعات فيها كي تصبح مجلتنا الحبيبة متكاملة من كافة النواحي :

● **أولا :** بالنسبة للقصائد الشعرية التي أراها منشورة في أعداد مجلة « **الفيصل** » الاحظ أنها من (الشعر المرسل) أي ذي القافية .. ولم أر مثلاً قصيدة من الشعر الحر الحديث .. هل معنى هذا أنكم لا تعترفون به مع أن له نصيباً كبيراً بين قراء ومؤلفي الشعر في الوطن العربي .

● **ثانياً :** بالنسبة إلى نوعية الأوراق التي تصنع منها أبواب القصة القصيرة ومطالعات في الكتب نجد أنها من النوعية الرخيصة التي تتمزق بسرعة .

● **ثالثاً :** نرجو عمل فهرس للمجلة في نهاية كل عام يحوي كل ما كتب فيها طوال العام من شعر وأدب ومواضيع .. إلخ .

رابعـاً : بالنسبة للمسابقة .. نلاحظ أن أقيام الجوائز غير مقسمة التقسيم الصحيح فمن ٢٠٠٠ إلى ١٥٠٠ إلى ١٠٠٠ ثم سبع جوائز قيمتها ٥٠٠ ونرجو ملاحظة ذلك .

كذلك نرجو أن يحدث تنويع في مادة المسابقة وأسئلتها .

● **خامساً :** نرجو من إدارة المجلة الحبيبة تقديم هدية مميزة لقارئيها أول كل عام .

● **سادساً :** بالنسبة لمن يقولون إن غلاف مجلة « **الفيصل** » يعطيها الشكل غير الطبيعي ، أقول لهم إن مجلتنا بشكلها المميز حالياً يجعلها فريدة بين جنسها من المجلات الأخرى .

● **سابعاً :** بالنسبة لنشر الموضوعات التي تتلقاها المجلة من القراء ، نجد أن التجاوب مع القراء ضعيف في كل المجالات سواء الشعر أو القصة أو أي موضوع آخر .. وأنا مثال على هذا التجاهل حيث إنني أرسلت عدداً من القصائد على أمل أن أطالع إحداها على صفحات مجلتي الحبيبة لكن عبثاً أحاول .

● **ثامناً :** لماذا لا يكون في مجلتنا باب شعري بحت بمعنى نشر قصيدة لشاعر قديم مع شرحها بالمفردات .

بهاء لطفي عبد المجيد قابيل
مصر ـ منيا القمح ـ الشرقية

● **المجلة :** نشكر للأخ بهاء ملاحظاته ونرد عليها بما يأتي :

١ ـ لمعلوميتك فإن مصطلح الشعر المرسل من المسميات التي أطلقت على الشعر الحر أو الحديث .. هذه ناحية .. ومن ناحية أخرى فنحن لا نقف في وجه الشعر الحر في عمومه ، بل نشرنا عدداً من القصائد التي يتوفر فيها أهم عنصر وهو الوزن إلى جانب العناصر الأخرى .. أما الكلام الذي لا وزن له فهو ليس شعراً بصرف النظر عن اهتمام البعض به وإصرارهم على تسميته بالشعر .

٢ ـ بالنسبة لأوراق القصة القصيرة ، وباب رحلة في كتاب فلم ننظر إليه نظرة اقتصادية كما أشرت ، بل الهدف منه التمييز فقط .. وسوف ندرس قضية تمزقه بسرعة ، مع العلم أننا لم نتلق مثل هذه الملاحظة من قراء المجلة .

٣ ـ لقد اعتادت المجلة منذ صدورها على عمل كشاف (فهرست) في نهاية كل عام .. ويبدو أنك لا تطالع المجلة باستمرار .. فلو عدت للأعداد ١٣ و٢٥ و٣٧ و٤٩ و٦١ و٧٣ و٨٥ لوجدت الفهارس المطلوبة .

٤ ـ وتقسيم أقيام الجوائز يقوم على التفاوت بينها لتفاوت الجوائز نفسها ، وجهد الفائزين .. فليست قيمة الجائزة الأولى مثل قيمة الجائزة الثانية أو الثالثة .. أما الجوائز الأخرى المتساوية فهي محاولة لحصول أكبر عدد ممكن من القراء على نصيب من مجموع أقيام الجائزة .

أما تنويع مادتها وأسئلتها فهذا أمر وارد ، ولكن إذا كنت تقصد الكلمات المتقاطعة أو ما شابهها فالمجلة لا تميل إلى هذا النوع من الأسئلة .

٥ ـ فكرة الهدية السنوية جيدة .. وسوف تدرس ويحضر لها .

٦ ـ نحن معك أن غلاف المجلة جزء من شخصيتها ، وهذا هو أسلوب المجلات العريقة المتسمة بالوقار .

٧ ـ أما موضوعات القراء فنحن لا ننشر إلا الموضوعات الجيدة ، أما المحاولات الأولى فطبيعتها تختلف عن طبيعة مجلة ثقافية تخاطب المثقفين والعلماء والمفكرين .

٨ ـ اقتراحك تخصيص باب شعري تنشر فيه قصيدة لشاعر قديم مع شرح مفرداتها فكرة لا بأس بها .. لكننا نرى أنها فكرة مدرسية في الدرجة الأولى .

نأمل أن نكون قد رددنا على ملاحظاتك .. مع عميق شكرنا وتقديرنا .





شروط المسابقة وإيضاحات أخرى

١ ـ قيمة المسابقة عشرة آلاف ريال سعودي .. موزعة على عشر جوائز على النحو التالي :

أ ـ الجائزة الأولى ٢٠٠٠ ريال

ب ـ الجائزة الثانية ١٥٠٠ ريال

جـ ـ الجائزة الثالثة ١٠٠٠ ريال

إلى جانب سبع جوائز مالية قيمة كل جائزة (٥٠٠ ريال سعودي) . وعشر جوائز أخرى قيمة كل جائزة (٢٠٠ ريال سعودي) .

٢ ـ المطلوب الإجابة على جميع الأسئلة .. وارفاقها مع قسيمة العدد الخاصة بالمسابقة موضحاً عليها الاسم ثلاثياً أو رباعياً ـ إن أمكن ـ مع وضع العنوان بوضوح لضمان وصول قيمة الجائزة إلى المشترك في المسابقة حالة الفوز .

٣ ـ ترسل الإجابات على العنوان التالي :
(الرياض ـ المملكة العربية السعودية ـ مجلة الفيصل ـ ص . ب (٣) المسابقة) .
مع ذكر رقم المسابقة على الغلاف من الخارج .

٤ ـ أية إجابة تصل بعد ٤٥ يوماً من صدور العدد لا يلتفت إليها .

٥ ـ من حق القارئ أن يشترك باسمه في المسابقة الواحدة أكثر من مرة على شرط ارفاق قسيمة المسابقة مع كل رسالة .

٦ ـ ننصح بمتابعة أعداد المجلة لأن جميع الأسئلة مأخوذة من الموضوعات المنشورة بالمجلة .

السؤال الأول :

اذكر اسم مخترع مكبر الصوت «الميكروفون» .. وفي أي عام ؟

السؤال الثاني :

اذكر أسماء مؤلفي الكتب التالية :
فتح الباري ـ الذخيرة في علم الطب ـ التصريف لمن عجز عن التأليف ـ محاضرات الأدباء ـ حياة الحيوان الكبرى .

السؤال الثالث :

ما مرض «الدالتونيزم» .. ولماذا سمي بهذا الاسم ؟

السؤال الرابع :

من أضخم الطيور جثة وأكبرها خلقة ، تخطف الفيل كما تخطف الحدأة والفأر .. روي أنه يعيش ألفي عام .. ويبيض بيضاً كالجبال .. له ريش متعدد الألوان ، وله أربعة أجنحة ملونة .. حكيت حوله الأساطير ..
ما اسم هذا الطائر .. ولماذا أطلق عليه هذا الاسم ؟

السؤال الخامس :

من أشهر خطاطي العرب في التاريخ .. كان أبوه بوّاب بيت القضاء في بغداد .. ابتدع الخط الريحاني ، والخط المحقق .. وأسس مدرسة للخطوط .. توفي عام ١٠٣٢م .. ما اسمه ؟



قسيمة مسابقة مجلة الفيصل
العدد (٩٤)

الاسم : ------------------------------

المهنة : ------------------------------

العنوان : ------------------------------

● أجوبة مسابقة العدد (٨٧) ●

ج ١ أول سكرتير عام للأمم المتحدة هو (تريجفلي) ١٩٤٥ ــ ١٩٥٣م .

ج ٢ أرقام أعداد مجلة «الفيصل» التي صدرت في كل شهر من شهور رمضان منذ صدور المجلة عام ١٣٩٧هـ، وحتى عام ١٤٠٣هـ، هي على النحو التالي : العدد (٣) صدر في شهر رمضان ١٣٩٧هـ، العدد (١٥) صدر في شهر رمضان ١٣٩٨هـ، العدد (٢٧) صدر في شهر رمضان ١٣٩٩هـ، العدد (٣٩) صدر في شهر رمضان ١٤٠٠هـ، العدد (٥١) صدر في شهر رمضان ١٤٠١هـ، العدد (٦٣) صدر في شهر رمضان ١٤٠٢هـ، العدد (٧٥) صدر في شهر رمضان ١٤٠٣هـ.

ج ٣ مؤلفو الكتب التالية هم :

ــ الفريد في تقييد الشريد وتوصيد الوبيد : أبو القاسم الفجيجي ١٥٧٩م .

ــ جامع الأصول : ابن أثير الجزري .

ــ بدائع الزهور في وقائع الأمور : ابن إياس .

ــ بحر الأسانيد في صحاح الأسانيد : الحافظ الإمام الرحال أبو محمد الحسن بن أحمد السمرقندي .

ج ٤ أول جامعة أوروبية خصصت كرسياً للغة العربية هي «جامعة كمبردج» في بريطانيا ، وكان ذلك عام ١٦٣٢م .

ج ٥ لا يبصر الخفاش رغم أن له عينين ، فهو يستطيع التعرف على طريقه بواسطة جهاز غريب يملكه ، يشبه في عمله الرادار .. يستعمله لمعرفة طريقه وما حوله من الأشياء والكائنات الأخرى .



● نتيجة مسابقة العدد (٨٧) ●

● فاز **بالجائزة الأولى** ، وقيمتها (٢٠٠٠) ألفا ريال سعودي ، الأخ **عبد القادر خليل الشرقي** ، نهج إبراهيم بن دالي ، المدية ــ الجزائر .

● وفازت **بالجائزة الثانية** ، وقيمتها (١٥٠٠) ألف وخمسمائة ريال سعودي ، الأخت **يسرى سليم أبو الشكر** ، دمشق ــ سورية .

● وفاز **بالجائزة الثالثة** ، وقيمتها (١٠٠٠) ألف ريال سعودي ، الأخ **كمال أحمد مصطفى أحمد** ، ٢ شارع راغب ، كرموز الإسكندرية ــ مصر .

وهناك **سبع جوائز** قيمة كل جائزة (٥٠٠) خمسمائة ريال سعودي ، فاز بها الإخوة والأخوات الآتية أسماؤهم :

● من المغرب ــ الناظور ، الأخت الطاهري زهرة عبد القادر .

● من المملكة العربية السعودية ــ الباحة ، المندق ، دوس آل نعمة ، الأخ سليمان علي محمد الزهراني .

● من الإمارات العربية المتحدة ــ أبو ظبي ، ص . ب (٧) ، الأخ أحمد بشار بركات .

● من الأردن ــ عمّان ، الهاشمي الشمالي ، ص . ب (١١٢٩٥) ، الأخ أمين مصطفى محمود الزق .

● من العراق ــ بغداد ، مكتب بريد الرصافة ، الأخ طه خضير علي .

● من الباكستان ــ فيصل آباد ، شارع بلال ، ٧ ش عارف ، الأخ سهيل حسن عبد الغفار .

● من لبنان ــ بعلبك ، الأخ نعمة حسن عباس .

بالإضافة إلى **عشر جوائز** قيمة كل جائزة (٢٠٠) مائتا ريال سعودي ، فاز بها الإخوة والأخوات الآتية أسماؤهم :

● من السودان ــ أم درمان ، الأخت راجين الله جابر الشيخ .

● من الكويت ــ الرميثية ، ص . ب (٣٢٠٠٦) ، الأخ أحمد رامي علي القطان .

● من المملكة العربية السعودية ــ جدة ، ص . ب (٤٩٩٤) ، الأخ عودة أحمد الخالدي .

● من الجزائر ــ أولاد جلال ، بسكرة ، الحي الشرقي ، الأخ عقون صالح .

● من المغرب ــ الدار البيضاء ، (٥٤) قرية الجماعة ، بلوك (٣٧) ، الرقم (٣٥) ، الأخ ناول عبد الهادي .

● من تونس ــ صفاقس ، (٣٠١٨) ، ص . ب (٣٣٣) ، الأخ عبد الرزاق عبد السلام كمون .

● من البحرين ــ المنامة ، ص . ب (١٥٣١) ، الأخ إبراهيم مصطفى عبد الرحمن .

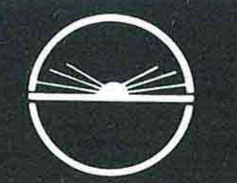
● من السودان ــ ود مدني ، ص . ب (١٥) ، مدني جنوب ، الأخ عثمان عوض عبد الله .

● من سورية ــ دمشق ، ص . ب (٤٥٢٨) ، الأخ فيصل محمد شقير .

● من المملكة العربية السعودية ــ المذنب ، ص . ب (١٣٦) ، الأخ مروان محمد الفهد .



كتب وردت إلى المجلة



«وردت للمجلة هذه الطائفة من الكتب في مختلف مجالات المعرفة الانسانية والمجلة ترحب بكل عطاء ثقافي جديد من شانه ان يفتح امام القارىء آفاقا أوسع وارحب وابعد مدى».

مسرحيات من المسرح السعودي

من إصدارات **الجمعية العربية السعودية للثقافة والفنون**، ويضم ثلاث مسرحيات بأقلام سعودية، هي: **«آخر المشوار»** للأستاذ **عبد الرحمن الشاعر**، و**«بيت من ليف»** للأستاذ **ناصر المبارك**، و**«مين يكمل الثاني»** للأستاذ **محمد رجب**. وقد تناولت المسرحيات معالجة موضوعات اجتماعية من البيئة المحلية. يقع الكتاب في (٢٠٤) صفحات من القطع المتوسط.

شهداء وضحايا من تاريخ الإسلام

من تأليف الأستاذ **جمال بدوي**، تناول فيه إلقاء الضوء على سيرة ومواقف نخبة من المجاهدين الأبطال في عصور مختلفة من تاريخ الإسلام الحافل بالبطولات، مبيناً كفاحهم واستشهادهم في سبيل العقيدة والوطن والكرامة. يقع الكتاب في (٢٤٠) صفحة من القطع المتوسط وأصدرته **مكتبة عالم الفكر ـ القاهرة**.

العمال والمسرح

تأليف كل من الأستاذ **إبراهيم الأزهري**، والأستاذ الشاعر **فؤاد حجاج**. تناولا فيه قضية قيام **المسرح العمالي في مصر** ومفهومه ودوره في تثقيف هذا القطاع الهام من قطاعات المجتمع، وشحذ هممه لمزيد من الإنتاج، بالإضافة إلى دور المسرح العمالي في تقديم المتعة الفنية الراقية. يقع الكتاب في (١٤٤) صفحة من القطع الصغير.

فهارس الخزانة الحسنية

هذا هو المجلد الثالث من فهارس **الخزانة الحسنية بالمغرب**، من تصنيف الأستاذ **محمد العربي الخطابي**. يشتمل على فهرس وصفي للمخطوطات المتعلقة بالعلوم الرياضية والفلكية والجغرافية لمختلف المؤلفين منذ القرن الثالث الهجري إلى أوائل القرن الرابع عشر الهجري. يقع المجلد في (٥٢٤) صفحة من القطع المتوسط، وطبع **بمطبعة المعارف الجديدة بالرباط**.

إعلام السائلين عن كتب سيد المرسلين صلى الله عليه وسلم

يضم الكتاب مجموعة من رسائل **الرسول صلى الله عليه وسلم**، قام بتصنيفها الإمام **محمد بن طولون الدمشقي** المتوفي عام ٩٥٣ هـ، تولى **محمود الأرناؤوط** تحقيق المصنف معتمداً على النسخة الخطية الموجودة **بالمكتبة الظاهرية بدمشق**. يقع الكتاب في (١٦٨) صفحة من القطع المتوسط، وأصدرته **مؤسسة الرسالة ببيروت**.

المذاهب الأدبية في الشعر الحديث لجنوب المملكة العربية السعودية

دراسة من **إعداد الدكتور علي علي مصطفى صُبح** حول اتجاهات المدارس الأدبية المختلفة في شعر جنوب المملكة والخصائص الفنية لهذه المدارس وأغراضها الشعرية مع تقديم نماذج من كل مدرسة. صدر الكتاب ضمن **مطبوعات تهامة ـ جدة**. يقع الكتاب في (٣٧٠) صفحة من القطع المتوسط.

الصحافة القطرية.. نشأتها.. وتطورها

بحث قيم عن الصحافة القطرية، تناول نشأتها ومراحل تطورها وما حققته من إنجازات رائعة رغم حداثة عهدها. أعد البحث كل من **حسين أحمد محمد**، و**أسامة سيف الدين**، وأشرف عليه **الدكتور أحمد حسين الصاوي**. يقع الكتاب في (٢٢٨) صفحة من القطع المتوسط، وطبع **بمطابع الدوحة الحديثة**.

الله سبحانه وتعالى إنكار الكافرين دليل وجوده

يعتبر الكتاب باكورة **«سلسلة العلم والمعرفة للشباب»** التي تصدر عن **دار القبلة للثقافة الإسلامية في الرياض**. يضم الكتاب مجموعة مختارة من أحاديث الشيخ **محمد متولي الشعراوي**، في دحض محاولات إنكار وجود الله وبيان ضعفها أمام الأدلة القاطعة لوجود الخالق سبحانه وتعالى. يقع الكتاب في (٨٨) صفحة من القطع الصغير.

البحث عن شيء ما..!! وقصص أخرى

مجموعة من القصص القصيرة تأليف **جمال نجيب التلاوي** مع مقدمة تحليلية للدكتور **عبد الحميد إبراهيم** تناولت دراسة وتقييم المجموعة القصصية. تقع المجموعة في (١٦٨) صفحة من القطع الصغير، وطبعت **بالمطبعة الفنية بالقاهرة**.

